

محمود عوض



مبتدع التداول

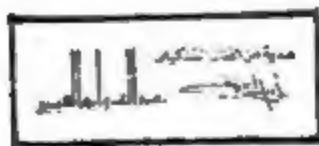
دار الشروق

• دار الشروق للطباعة

الطبعة : ١٦ جلد حقوقي ت ٥١٢١٤ برتانيا : بيروت القاهرة
بيروت : ص.ب ٨٠٦٤ ت ٢٢٢٨٢٨ برتانيا : دال سروك بيروت

محمد عوض

ممنوع من التداول



دار الشروق

- الطبعة الأولى : ٨ يونيو ١٩٧٢
- الطبعة الثانية : ٢٢ يونيو ١٩٧٢
- الطبعة الثالثة : أول ديسمبر ١٩٧٢
- الطبعة الرابعة : ٢١ ديسمبر ١٩٧٢
- الطبعة الخامسة : أول أبريل ١٩٧٢

المطابع : مطابع القلعة

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
● مقدمة :	
بقلم الدكتور محمد عبد القادر حاتم	٧
الجزء الأول	
البيداية	١١
● عندما نأملت مصر :	
بقلم : محمود عوض	١٣
● الصلوة :	
بقلم : محمود عوض	٢١
● يهودى نصف الوقت :	
بقلم : محمود عوض	٥١
● المهاجرون من البلقان :	
بقلم : محمود عوض	٦٧
الجزء الثانى	
كتب اسرائيلية متنوعة من القتل	
● التاريخ السرى لهرب اسرائيل :	
تأليف : ميشيل بارزوخ	٩٧

- **بناء الجيش الاسرائيلي :**
تأليف : ايجال ألون ١٧٢
- **مستقبل اسرائيل :**
تأليف : شاول غريد لاندو ١٩٢
- **الجيش والسياسة في اسرائيل :**
تأليف : غايوس بير ليوتر ٢١١
- **المراجع لهذا الحج :**
تأليف : بن بورا ويوري دان ٢٢٧
- **الطريق الى الحرب :**
تأليف : وولتر لاكير ٢٤١
- **الصرب واسرائيل :**
تأليف : شارلز دوغلاس هيوم ٢٥٥
- **جوناذا ماتير :**
تأليف : ماري سيمركين ٢٦٩

الجزء الثالث

- **واخيرا ، كلمات ليست لظرة :**
بقلم : محمود موسى ٢٨٧

مقدمة

بقلم الدكتور محمد عبد القادر حاتم

منذ ثلاث سنوات ، ظهر « موسى دايان » وزير الدفاع الاسرائيلي على شاشة التليفزيون البريطاني ، ووقتها .. سألته المذيع : ان الخطة التي اتبعتها في حرب ١٩٦٧ هي الخطة نفسها التي فكرتها في كتابك « مذكرات حيلة سيناء - ١٩٥٦ » .. ألم تكن تخشى ان العرب قد يعرفون من كتابك .. خططك المستقبلية التي ستتبعها في حرب ١٩٦٧ ، ليمتدون مثبها لمواجهةها ؟ .

ورد موسى دايان قطلا : لا .. لان العرب لا يقرأوا ولم يكن هذا الرد غريبا من موسى دايان ..

على صباح الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ ، كان أملي الثمارات صوتا في حياتنا العامة ، شسمار « امرف عدوك » . وفي الوقت نفسه كان لقل الثمارات تطبيقا في جهازنا الاعلامي هو شسمار : « امرف عدوك »

ولم تكن صفحة الساعات الاولى من القتال .. كثيفة لكي تند بسرعة تلك الفجوة الواهمة بين الشسمار المعلن ، وعدم تنفيذه . على العكس ، مع تطور القتال في مساحة المعركة .. كانت الفجوة تتسع وتتسع بين الشمار والتطبيق . لهذا كنا نرى اننا نحن - وليست اسرائيل - الذين احسنا بخيبة الأمل في جهازنا

الاعلامي . وهي خيبة لبل تطورت بعد ذلك الى أزمة
لغة في الجهاز الاعلامي ، فتحت الطريق واسما أمام
« العدو الاسرائيلي » لكي يخوض ضغنا حربا نفسية
عنيفة وشرسة وضارية .

ان الحرب النفسية ليست جديدة علينا في مصر ..

لقد تعرضنا لها وعشنا فيها ، قبل ذلك بسنوات
طويلة .. بل ومنذ اليوم الأول لثورة ١٩٥٢ . وفي وقت
من الاوقات .. كقمت هناك ١١ محطة اذاعة سرية
تعمل ضغنا في وقت واحد ، وقشلت كلها في وقت
واحد .. !

ان ما جعل ١١ محطة تقشلت في الحرب النفسية
ضغنا سنة ١٩٥٦ ، هو نفسه ما جعل النجاح المؤقت
من نصيب محطة اسرائيلية واحدة تعمل ضغنا في
سنة ١٩٦٧ . هو سبب واحد في الحالتين ، ولكنه سبب
قوى وجهين :

اننا في الحالة الاولى (حالة حرب ١٩٥٦) اعتمدنا
على الصدق في مخاطبة الجماهير . الصدق والواقع
والحقيقة ، التي كانت تبدو مؤلمة أحيانا ، ولكنها كانت
في النهاية .. تبطل تحصينا للشعب ضد الحرب النفسية
الضارية .

وفي الحالة الثانية .. كان اعتمادنا على المبالغة
والتهويل وتجاهل الحقيقة ، بل وتجاهل العدو نفسه ..
هو الذي أدى الى هزيمتنا الاعلامية سنة ١٩٦٧ .

ومعنا قام الرئيس ثور السادات ، بعملية
التصحيح الكبرى في ١٥ مايو سنة ١٩٧١ ، كان جزءا
من التصحيح هو إعادة الأسس العلمية للعمل الاعلامي

إن لمألفنا عدوا شريفا .. ومثقبنا .. ومثقلنا ،وعطينا
في جميع الأحوال أن نصارىه .

وفي حيننا ضد اسرائيل ، فإن أول سلاح نعتد
عليه .. لابد أن يكون هو معرفتنا بهذا العدو ..
معرفتنا بأساليبه وخططه وتفكره ، ونصوره نفسه ،
ونصوره للرأى العام العالمى ، وتصور الرأى العام
العالمى له . إن هذه المعرفة .. هي التى ستبكتنا بعد
ذلك من مواجهته في المكان الصحيح ، وبالأسلوب
الصحيح ، وبالسلاح الصحيح .

لهذا .. كان لابد أن نعتد السيلة الاعلامية
الجديدة على تحويل شعار « اعرف عدوك » من مجرد
شعار ، الى تطبيق هي يمارسه كل مواطن . لتد
اتخذنا في هذا الصدد خطوات عديدة ، كان من أهمها
رفع الحظر عن الكتب الاسرائيلية التى ظلت لسنوات
طويلة ممنوعة من التداول ، ثم اتاحتها أمام المعلمين
والدارسين والباحثين في بلادنا ، بغير نقص أو تحريف .

وقد تبدو الأمثلة التى تتضمنها هذه الكتب الممنوعة،
مغيرة للبرارة .. أو مجانبية للحقيقة .. ولكن ، هل
نعم نتوقع من عدونا غير ذلك !!

إن المهم .. ليس هو أن تناقش نسبة الحقيقة الى
الأكاذيب في مثل تلك الحالات ، لأن العدو يستخدم
كثيرا من الأكاذيب ، وحتى حيننا يستخدم جزءا من
الحقيقة .. فإنه يفعل ذلك من زاوية تحقق مصلحته
هو .

ليس هذا إذن هو المهم .. ولكن المهم أن نتصرف
طبقا للقول المأثور : من تعلم لغة قوم .. لمن مكرهم .

ونحن حينما ننشر عشرات الكتب التي صدرت عن الصهيونية وإسرائيل .. إنما نبين بذلك لهذا الجبل والأجيال القادمة .. كيف يخطط العدو لنا ، كيف يبنى جيشه ، كيف يحاول تضليل الرأي العام العالمي ، كيف يضاعف — بالحرب النفسية — حجم انتصاراته مائة مرة ؟ ! .. الخ ..

إن هذا هو الأسلوب الصحيح .. الذي يجعلنا نرسم خططنا المستقبلية ، على أساس دراسة علمية حقيقية .. لكل شئون إسرائيل والصهيونية ، فقد خططت الصهيونية منذ مؤتمر « بازل » الصهيوني سنة ١٨٩٧ ونفذت كل خططها بعد ذلك ، حتى قامت دولة إسرائيل في سنة ١٩٤٨ ، وما زالت هناك خطط أخرى ، تريد إسرائيل أن تحقق بها لنفسها إمبراطورية ، تمتد من النيل إلى المرات ! .

لذلك ، فإن سماحتنا بتداول الكتب التي تبثت في شئون إسرائيل — وهذا الكتاب يقدم أحدها — قد أصبح ضرورة استراتيجية من أجل الدفاع من حياتنا ، ومقاومة هذا المخطط العدواني ضد بلادنا . لقد أصبح من الضروري .. لن نضع أفكار عدونا تحت ميكروسكوب دائم .. نلخصها دائماً ، ونراجعها دائماً ، وندرسها دائماً ، لكن ننقصر على عدونا في النهاية .. دائماً .

د . محمد عبد القادر حاتم
نائب رئيس الوزراء للشقافة والإعلام

الجزء الأول

البدائية

عندما نامت مصر

نامت مصر في تلك الليلة مبكرا !

نامت مصر ، مع انما ما رانا في الصيف ، في الواقع مصر في
الشهر الأخير منه . ومازلنا في وقت مبكر — الساعة الخامسة
مساء .

ومصر في يوم ٢٩ أغسطس سنة ١٨٩٧ ..

وفي هذا اليوم .. كانت قد مضت خمسة اشهر على وفاة
جمال الدين الأفغاني ، وسبعة اشهر على تعيين أحمد لطفي السيد
وكيلا للصبية ، وعشره اشهر على وفاة عبد الله النديم ، وثلاثين
سنوات على مولد طه حسين وعباس محمود المقاتل ، و ١٣ سنة
على ١٠٠٠ أحمد عرابي التي « جزيرة سيلان » !

ولكننا في ٢٩ أغسطس سنة ١٨٩٧ ، وعباس حلمي هو حبيب
مصر ، واللورد كرومر هو المنحوب السليبي البريطاني ، وبالتالي
لهو الحاكم الفعلي في مصر .

هذا عن مصر ..

ولو ابتعدنا قليلا — في اليوم نفسه — مسجد الاحتلال الفرنسي
في الجزائر منذ ٦٧ سنة ، وفي تونس منذ ١٦ سنة ، ومسجد
بريطانيا موجودة في عدن منذ ٥٨ سنة . ومسجد لن الشمام
— ونظم سوريا ولبنان وفلسطين — ذائعة للحلانة التركية هي
والعراق .

مرة أخرى : مصر مازلنا في ٢٩ أغسطس سنة ١٨٩٧ .

الجو حار ، والى كلن ههنا . وتلك مصر على الحال التي رايناها
فيه ، الى ان تلبث منكروه في تلك الليلة ..

ولكن ..

وهذه لكم « لكن » .. في التاريخ العربي المعاصر .. !

لكن .. على بعد ١٧٠٠ كيلو متر تقريبا من القاهرة ، كانت
تدور قصة أخرى في مدينة « يازل » السوفيتية . ان « يازل » —
و ذلك اليوم — لم تكن تزيد في مساحتها ، ولا في عدد سكانها ،
عن نصف مدينة المنصورة ، أو خمس مدينة بيروت .

في مدينة (يازل) هذه .. يوجد مكمل عادي للموسيقى
والرقص اسمه Stadt Casino مجاور لمبنى المتحف السريخي في
يازل .

لكن هذا الرقص في هذا المساء — مساء ٢٩ أغسطس
١٩٩٧ — لم يكن فيه موسيقى ولا رقص . ان في محل صالة
الرقص راية مطلة شيلا ويبعا فيها شريطان أرقاس ، وموق
المنحل رسمت بحبة داود السداسية .

والى هذا المساء .. فحل الى صالة الرقص ١٩٧ وعدا من
١٥ دولة مختلفة هي : روسيا ، ألمانيا ، النمسا ، المجر
رومانيا ، بلغاريا ، هولندا ، بلجيكا ، فرنسا ، سويسرا ،
السويد ، إنجلترا ، الولايات المتحدة ، الجزائر ، فلسطين .

وهم لا يعرف بعضهم بعضا مثل هذه الليلة ، ولأول وهلة
لا يبدو ان هناك شيئا يربط بينهم . فبهم الاشتراكي ..
والرأسمالي .. والليبرالي ، ومنهم المتزمت .. والمتحرر ، ومنهم
المتدين .. والملاحد .

شيء واحد يجمع بينهم : انهم يهود . شيء ثان انهم
صهيونيون . لقد جاءوا الليلة .. يحضرون لول مؤتمر صهيوني .

انهم جميعا يطلبون جميعات (حب مهيون) وهي حركة يهودية سياسية بدأ تأسيسها قبل ١٥ سنة من الاجتماع . وهدف هذه الجماعات .. هو حجرة اليهود الى فلسطين ، وأعماله أحياء اللغة العبرية — التي ماتت منذ المئتي سنة . وكان رئيس هذه الجمعية رجلا اسمه « ليون بسكر » ولقد سبق له أن وضع كتابا في سنة ١٨٨١ بعنوان (التحرير الذاتي) يتناول فيه مشكلة اليهود في أوروبا ، وقال فيه

« ان اليهودي شخص مكروه في كل مكان يذهب اليه . ولذلك فعلى اليهود ، أن يحرروا أنفسهم من هذه الكراهية .. بأن يقبوا لأنفسهم دولة خاصة بهم - ولا يهم مكان هذه الدولة » .

ولكن تلك الحركة مثلت وحيد .. لأن عددا كبيرا من اليهود أنفسهم حاربوها .

وبمع ذلك ، فإن الشخص الذي أعاد تلك الحركة الى الوجود مرة أخرى ، هو نفسه الذي دعا الى هذا الاجتماع في (بازل) وهو الذي سيصبح فيما بعد (بنى) الحركة الصهيونية الحديثة .. انه يهودي اسمه « ثيودور هيرزل » ولد سنة ١٨٦٠ في جنيف « بولندا » — عاصم النمسا الآن — انه يعمل صحفيا ومراسلا في باريس لصحيفة نمط في فيينا

وقد أصدر هيرزل كتابا في ١٤ فبراير سنة ١٨٩٦ — بعنوان (الدولة اليهودية) ، طالب فيه بإنشاء دولة لليهود في فلسطين أو الأرجنتين . وقال أيضا ان موطنه النمسا والمملكة ، التي بدأت في أوروبا بعد الثورة الفرنسية ، هي سبب وجود المشكلة اليهودية .. وفي الوقت نفسه ستكون هي أكبر عتية في مستقبل أقاليم دولة يهودية . لأن تحقيق المساواة سيمرر اليهود بالانفصام والذوبان في مختصات الدول التي يمشون فيها

ثم قال : (ان ضغط الظروف ، قد أدى الى تكوين طبقة متوسطة يهودية .. هي في ماضيها مباشرة مع الطبقة المتوسطة المسيحية) .

ثم قال : ان المشكلة اليهودية يجب معالجتها كمسألة سياسية
يتم تناولها مع احدى الدول الكبرى .

ولو توقفا الان لحظة واحدة .. فلتنا سطع ايديسا على
الحقائق التالية :

● أولا ان الحركة الصهيونية لاتشاء وعلى قومي لليهود - من
اللحظة التي بدأها هرتزل الى الان - هي حركة سياسية محقة
لا علاقه لها بالدين اليهودي . وهذا على عكس الدعاية الصهيونية
الحديثة تماما .

● ثانيا * ان هذه الحركة ، كانت هي الرد على توجه معاداة
السبب التي كانت تلامي في أوروبا ، وأنها بالقي لم تعد لها
أساس في المجتمعات التي احتلت منها برعة معاداة السبب . .

● ثالثا * ان الفكرة الدينية اليهودية القديمة ، من العودة
الى فلسطين ، قد انضلت في مرحلة ثانية على الفكرة الصهيونية
المجرد استعمالها لدى اليهود لكن يمسوا الى الحركة .

على ان هذه الحقائق - وكثيرا غيرها - مستفح تماما كلها
تقريبا أكثر في دراسة تطور الحركة الصهيونية فاليهود أنفسهم
يعترفون بهذه الحقائق - سراة او ضمنا - حسب الأحوال .

ولعل هذه لحظة مناسبة لكي نرجع الى الوراء قليلا الى
(بوميت هرتزل) التي كتبها بنفسه قبل وبعد اعتقاد المؤتمر
الصهيوني الأول في (بازل) سنة ١٨٩٧ . مع ملاحظة ان هذه
(ايوييات) هي مذكرات حاضرة كتبها هرتزل ولم نشر الا بعد
وفاته بوقت طويل ، وعندما نشرت .. تلقى أول طبعة كائنة لها
صدرت سنة ١٩٦٠ ، ولما هنا أعتمد على الطبعة التي أصدرتها
المنظمة الصهيونية العالمية نفسها .

لقد بدأ هرتزل ، بعد أيام تحيله الاولى للدولة اليهودية ،
ومن قبل ان يعتار « فلسطين » بوشما لهذه الدولة .. بدأ يصر في

يومياته من ضرورة الاتصال بالدول الكبرى ، وعن الدور الذي لابد أن تلعبه . ولقد كتب في ٧ يونيو ١٨٩٥ يقول : (حالما يتم الاتفاق على الأراضي ، وتوضع اتفاقية أولى مع الحاكم الموحد ، سوتب بدأ مباحثاتنا السلوية مع الدول الكبرى) وبالفعل ، بدأ هرتزل يبدل مساعيه لدى ألمانيا أولا ، ثم لدى بريطانيا ، وتركيا (كانت تركيا هي الحلقة العنقودية التي تتبعها فلسطين) .

ثم مآخذ الآن ميثاق هرتزية من يومياته هرتزل :

● في صفحة ٢ كتب هرتزل سنة ١٨٩٥ يقول (لي البروف موريس دي هيرش هو — مثل عائلة روتشيلد ، واحد من أكبر أصحاب الملايين اليهود في القرن التاسع عشر — قد أبدى اهتماما انسانيا هيبا بحصص الاستعمار اليهودي — وهي جمعية يهودية تأسست سنة ١٨٩١ — وحصل لها مائتا مئط ٤٠ مليون دولار لتوطين المهاجرين اليهود في الأرجنتين ، ولكن في سنة ١٨٩٥ لم تكن الأمور على ما يرام في المستعمرات التي تم انشائها هناك) .

● ان هرتزل يشرح كيفية الاستيلاء على الأرض من جانب الحركة الصهيونية ، فيقول في ١٢ يونيو سنة ١٨٩٥ (عندما يحتل البلاد ، سيعمل سريعا على اعادة الدولة التي ستأخذها .. ويجب ان يستخلص ملكة الأرض التي ستعمل لها ، ولكن بالملطف وانتدريج سيعاول ان شجع فقراء الككل على التروح الى البلاد المعاصرة ، وذلك بتأمين أعمال لهم هناك ، ورفض اعطائهم أي ميل في بلدنا . أما أصحاب الاملاك فسيتكلمون بجنتنا ، على أننا يجب ان نقوم بكتنا العمليتين — استخلاص الأرض وابعاد الفقراء — ببطء وحذر . يجب ان نحصل على ليهام لأصحاب الاملاك غير المنقولة .. بأنهم يهدمون ما يبيعها لنا بكثر مما تلوي) .

● في ٢٧ فبراير ١٨٩٦ يكتب هرتزل تبالؤلا : هل مندم للحليمة التركي مليوني حيه ثما لفلسطين ؟ هذا المشروع درستة مع عدد من اثرياء اليهود في لوريا .

● في ٤ مارس من السنة نفسها « الدكتور بيرن (صديق له) يريد أن يكون الرعيم الاشتراكي في الدولة اليهودية . نحن لم نحصل عليها بعد ، وها هم يريدون تبريقها مقدما ! »

● ٢٢ أبريل — من السنة نفسها ، (نحن يريد أن نحصل على مساعدة قيصر ألمانيا . انه سيساعدنا لأنه يتمنى إخراجنا من بلاده . حسنا . ولكنه سيساعدنا) !

● ١٥ يوليو — من السنة نفسها ، (نحن مستعدون لأن ندفع عشرين مليون جنيه للسلطان التركي ثمنا لفلسطين ، وبذلك نحسن مواصلاته) .

● الشهر نفسه ، والسنة نفسها : (قتل السلطان عبد الحميد لمدينته الذي تفاوض معه : إذا كان هرزل محبيك بقدر ما أنت صديقي ، فلتصحه بالأمر أبدأ في هذا الأمر .. لا أستطيع أن أبيع ولو قلب واحدة من البلاد ، لأنها ليست لي بل لشعبي ، لقد حصل شعبي على هذه الإمبراطورية باراقة ذمتهم ، وقد فدوها فيها بعد بساتهم وسوف يحطيمها علينا ، قبل أن يسمح لأحد باقتصاصها منا . لقد حاربت كتيبتن من جيشنا في سوريا وفي فلسطين ، وقتل رجالنا الواحد بعد الآخر في « بلفنة » لأن أحدا منهم لم يرض بالانضمام ، وفصلوا أن يموتوا في ساحة القتال . أن الإمبراطورية التركية ليست لي دائما .. بل للشعب التركي ولا أستطيع أبدا أن أعطي أحدا أي جزء منها . فليحفظ اليهود بيلاييمهم .. فلماذا قسمت الإمبراطورية لقد يعمل اليهود على فلسطين صير مقادير . وإنما لن تقسم إلا جثثا ، ولن اقبل متبرعها لأي غرض كان) .

● بعدها بثلثم كتب هرزل . (محامي صديق بل بشرى اليهود أي مقاطعة أخرى وبتدبوا لتركيا كبديل لفلسطين مع مرید من المال . ففكرت رأسي قيصري) .

● وفي أول ديسمبر سنة ١٨٩٦ ، كتب هرزل في يومياته بصراح نفسه . « صديقي في الخبرين من هناك لثباعة مشفرة الآن

في بودابست (المدينة التي ولد فيها هرتزل) وهي أن اليهود هناك يقولون : اننى شلعت مبلغا ضخما من المال من شركة اراضى بريطانية تريد أن تبيع املاكها في فلسطين ، وذلك في مقابل طبع كتابي عن الدولة اليهودية . هكذا نحن اليهود دائما لا يؤمن على أى شخص يمكن أن ينصرف أبدا إلا بسبب المال !

● في اليوم نفسه .. كتب بعرضي خدمته على قوة استعمارية جديدة هي بريطانيا ، فيقول : « هذا عامل يجدر بالسلسلة الانجليزية في الشرق أن تقدره حق قدره ، عامل جديد بكل تأكيد .. ان تقسم تركيا في الوضع الحالي الحاضر .. لابد أن يكون خسارة بالنسبة لاحتلتها . ولذلك تمليها لي تسمى نحو التوازن الدولي الذي لا تتم المحافظة عليه الا اذا تم نصيب بنية تركيا .. ان هذا يتم بانشاء دولة يهودية في فلسطين لها استقلال ذاتي مثل مصر — تحت سيادة السلطان .. والامر ممكن اذا توافقنا لدعم دولة كبرى » .

ومثلما كان هرتزل يحاول الاتصال بكل الدول الكبرى ، لكي يفتح واحدة منها بنى مشروع الدولة اليهودية .. كذلك مثله حاول استغلال بعض السياسيين من الشرق . ومن الذين حاول هرتزل أن يكسب ودعم أولا : اغاثن الزعيم الاسماعيلي المعروف ، والزعيم مصطفى كمال .

في مصطفى كمال .. كتب هرتزل يوم ٢٤ مارس سنة ١٨٩٧ يقول :

« الموجد المصري ، مصطفى كمال ، الذي كان قد راسى من قبل . راسى مرة اخرى . انه في رحلة اخرى لجميع المشاعر المؤيدة لقضية الشعب المصري الذي يسعى للخلاص من السيطرة البريطانية ان هذا الشعب الشرقي يحظى انطباعا سائرا ، وهو مثقف وراق وبلد ، وقد دوتته في ذاكرتي .. لانه قد يلعب بوبا ما دورا في سينة الشرق ، حيث قد تلتقي ثنية . ان شبل مضطهدنا في مصر القديمة يشهد اليوم من مذاب الحرق ، وتقوده طريقه الى سائنا اليهودي — طالما مساهمتي الصحفية .. اننى اشعر — مع اننى

لم أجزم بذلك — بأنه لما بقيت قضيتنا لن يضطر الانجليز الى معاملة
مصر . انهم سيضطرون لذلك . . الى ان يبحثوا عن طريق آخر
الى الهند بدل قناة السويس التي منضيع منهم ، لو على الأقل
نصبح غير مأبوة . آنذاك تصبح فلسطين اليهودية الحديثة —
سلسلة لهم — الطريق من يثا الى الخليج الفارسي .



عودة الى المؤتمر الصهيوني . .

ان هذا هو المؤتمر الأول ، وهذا هو تفكير الرجل الذي عمل
مهندسا للمؤتمر الأول ، ومهندسا للحركة الصهيونية كلها
عينا بعد . ان الحاضرين في المؤتمر لا يجمع بينهم — حتى —
لغة مشتركة . لهذا فانهم يفترون استخدام اللغة الانجليزية كلغة
رسمية للمؤتمر . .

ان هنرزل بدأ كلامه في المؤتمر بقوله :

« انما هيا لنضع حجر الأساس في بناء البيت الذي سوف
يؤوي الأمة اليهودية » .

وتقدم هنرزل للمؤتمر عدة اقتراحات مهمة :
اولا ، انشاء منظمة تسمى « المنظمة الصهيونية العالمية » .
لمحاولة ضم صفوف اليهود وجميعهم خلف القومية الفلسطينية .

ثانيا ، الحصول على اعتراف دولي من احدى الدول العظمى
بمشروع توطيع اليهود في فلسطين .

ثالثا : تنظيم حركه يهودية واسعة النطاق الى فلسطين —
او اى مكان آخر يستطيع اليهود الحصول عليه ، وتنظيم هذه
الحركه بوميكتين ، أولا ، بواسطة انشاء المنظمة الصهيونية نفسها

.. ونم كل اليهود الذين يوافقون على فكرة « الدولة اليهودية » .
وثانيا ، بانشاء شركة يهودية للأراضي . تكون هي الاداة
الاقتصادية لتحقيق اهداف المنظمة الصهيونية .

وبعد هذه الخطوات .. خرج هرتزل بالقرارات في حبه ،
وبقرار تعيينه اول رئيس لمنظمة الصهيونية العالمية ، وسطوري
كتبها في يومياته . كتب هرتزل في ٢٦ أغسطس ١٨٩٧ يتور

« لو طلب مني تلخيص مؤتمر بازل في كلمة — وعلى ان
اخرص على عدم تلغظها بصوت عال — لكنت هي في بازل است
الدولة الصهيونية . لو قلت ذلك صوب عال لصحت الجميع من .
لكن ربما في خمس سنوات — وبالتأكيد في خمسين سنة — سيعلم
كل واحد بالامر . ان تكسب قوله لا يمكن في ارادة شعب بقليل
دولة ، بل يمكن ايما في ارادة فرد قوى قواه كنيته .. ان الارض
هي عطف الأسس المادي . والدولة ، حياها بملك الأرض ، هي
دائما شيء مصوى .. في بازل ادب ، انشأت هذا الكيان المعوي
الذي تراه اعليه الناس الساعته . انشأه بوسائل قليلة جدا !
وسأقترب وخمت الناس في جو مناسب للدولة ، وجعلهم يشعرون
بانهم هبة وطنية »

هكذا ابن انتهت حملات المؤتمر الاول للحركة الصهيونية
في ٢١ أغسطس ١٨٩٧ .

لقد كان لابد ان يبدأ الطريق لنام المنظمة الجديدة بمحاولة
كسب تأييد احدى الدول العظمى على ان تلك المهمة لم تكن هي
وحدها المهمة العاجلة ، فلقد كانت هناك مهمة اخرى اكثر إلحاحا .
وهي النعجب على الممارسة التي بدت تواجه المنظمة الجديدة داخل
اليهود أنفسهم .

فلقد انقسم اليهود الى اتجاهين الاتجاه الاول كان يرى ان
« دويل » اليهودي في الجميع الذي يحش فيه .. هو العلاج
الحقيقي والدائم لمعاداة السامية ، ولي كراهية اليهود أنفسهم ترجع
الى عدم ولائهم للتحركات التي يعيشون فيها . ولكن ، لو اقتنع
اليهود بان تقدم الحضارة ، وانتشار المساواة السيسية ، ووجود
دليل من اليهود على ولائهم للجميع الذي يعيشون فيه وتطويعهم
به .. كل هذا سيؤدي في النهاية الى استئصال المشاعر المتبقية
ضدهم .

أما الاتجاه الثاني .. فقد مقد لأصحابه الأمل في أن اليهود يستطيعون الدخول في أي صرح أو الانتماء فيه .. وأصحاب هذا الاتجاه هم الذين مهم هرتزل

ولذلك .. قلناه في السه نفسها أننى تفسر بها المنظمة الصهيونية — أي في سنة ١٨٩٧ — قصت في روسيا وشرق أوروبا جمعيات من اليهود أنفسهم لمعارضة الحركة الصهيونية . جمعيات كتبت تسمى نفسها « البوند » Bundas أي « المنظمة العامة للعمال اليهود في روسيا ومولدا » . وكانت هذه المنظمة تروى أن الحركة الصهيونية تنزع أعضائها إلى أحلام مخمرة لليهود أنفسهم .. لأن الحركة الصهيونية تقوم في جوهرها على أساس عدم قدره اليهودي على الدخول في المجتمع الذي يعيش فيه .. وهذا يؤدي إلى إزله الشك والريبة في أحلامى وولاء اليهودي للمجتمع الذي يعمل حسيبه .

ومع أن تلك المعارضة بدأت من شرق أوروبا ، وامتدت إلى غرب أوروبا والولايات المتحدة ، إلا أن مؤيدى الحركة الصهيونية أيضا كانوا أساسا من شرق أوروبا .

المهم . أنه من اللحظة الأولى يمثل الحركة الصهيونية .. حركة سياسية بحدس .. ولقد رأينا في قبل ذلك أن المؤتمر الأول قد بائس إيجاد وطن قومي لليهود في فلسطين . لو في لأرحمين .

وخلال المرة التالية للمؤتمر الصهيوني الأول . انشئ لعملا صندوق استثمار يهودي ليقوم بمهمة تنظيم الهجرة اليهودية وتسيير الأراضى — وسننه عليه — لكنى يكون هو الأد « الاقتصادية لتنفيذ أهداف الحركة الصهيونية » .

وفي الوقت نفسه .. بدأت المنظمة الصهيونية في إجراء اتصالات مع عدد من الدول الكبرى لكسب اعترافها بأهدافها . وقد بدأت المحاوله مع ألمانيا .. وكلى هرتزل — الذي أصبح الآن أول رئيس للمنظمة الصهيونية العالمية — قد لجأ إلى « القيصر غليوم الثاني » في سنة ١٨٩٦ ووالى اتصالاته معه بعد ذلك . وحيثما

استطاع أن يقبله في أول مرة قال له : أنا محتاج إلى محبة يهودية في فلسطين ، لأن اليهود مرحبون بحملته المتبا بالذات أكثر من أي دولة أخرى . واقترح عليه هرتزل إنشاء شركة لشراء واستثمار الأراضي في فلسطين ، تكون تحت حماية ألمانيا .. بعد أن حصل على موافقة السلطان العثماني .

ووعده القيصر بالتمكين في الموضوع . ولكن هرتزل عندما عاد إلى مقبلة - أثناء زيارة القيصر للقديس في ٢ نوفمبر سنة ١٨٩٨ - كتب في يومياته يقول : « إن مرافق القيصر ، أثناء (المقبلة) قال لي بلبانه - كما تفضل به حلالة القيصر ، فإن الماء في فلسطين ، هو أهم شيء » ..

ولحظتها رددت عليه : أنا مسؤول الماء للملاد ، وسوب يكلفنا هذا الملايين ولكنه سيمود علينا ملايين .

قال القيصر لي : إن المال بموافر لكم بكثره . عندكم مال أكثر مما عند أحد منا ..

ورد لمرافق مقبلا لي : نعم . المال الذي هو سيكتفينا .. عندكم به الكثير !

هكذا تلقى هرتزل كلمات طيبة من قيصر ألمانيا ، ولكنه لم يثنى كثير من ذلك .. فقد ظنك أن القيصر ليس مستعدا أن يفعل شيئا . لقد خرج هرتزل بهذا الانطباع في مقبلة مع القيصر يوم ٢ نوفمبر سنة ١٨٩٨ . وكل على الحركة الصهيونية أن تنتظر خمسة عشر عاما بالمضبط ، إلى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ ، قبل أن تفعل مع بريطانيا ما فعلت في في تقبله مع ألمانيا ، تنضمها نفس الأهداف الصهيونية لحصلها الخاص ، وبسر وعد بلفور .

المهم .. أن هرتزل بدأ بعد ذلك يبحث الاتصال المباشر بالسلطان العثماني . وكان يعلم أن السلطان قد رفض قبل ذلك بيع فلسطين لليهود ، حسبما أجريت أول محاولة معه سنة ١٨٩٦ .

ولكن هرتزل ، كل يعلم أيضا أن للخزينة التركية قد أصبحت في حالة أكثر سوءا . فلقد كان الدين التركي قد وصل إلى ١٠٦

ملايين جنيه استرليني - واصبحت موارد الحراة التركية تحت رقابة مجلس الدائنين . . ومن ثم على الفرصة قد تكون الآن أكثر اغراء للسلطان العثماني ، ولابد للسلطان من أن يؤمن أخيراً بأن المال هو كل شيء .

لقد اتفق هرتزل مع زميلين يهوديين له ، هما السير سمويل ، والكولوميل هولده شبيث في لندن . . واستطاعوا جمع عشرة ملايين جنيه استرليني من حسيبه الاستعمار اليهودي لضمها فوراً إلى السلطان كدفعة أولى في حالة موافقته

وبكى السلطان رسمي أيضاً للمرة الثانية .

وبذلك نشأت مهتبا محاولات المنظمة الصهيونية مع اثنين من الدول الكبرى ألمانيا وتركيا . حققت محاوله أخرى - مع بريطانيا هذه المرة .



زار هرتزل لندن في سنة ١٩٠٤ لكي يؤسس فيها المقر الرئيسي لنشاط المنظمة الصهيونية . وكانت لديه ثلاثة أساليب لذلك

أولاً : أن لندن هي المركز المالي للعالم ، وبالتالي لسوف نعلم له المصالح الاقتصادية أكثر من غيرها .

ثانياً : أن بريطانيا لها امبراطورية استعمارية واسعة . وبالتالي فإن لها أطماعاً توسعية في أوروبا ، وهذا سوف يجعل بريطانيا تنهيأ وتمهم اهتماماتها بمصير هرتزل .

ثالثاً : أنه لو اقتنعت بريطانيا بأن لها مصلحة في مشروع الوطن القومي اليهودي فأنها ستعمل لتحقيقه

ويكفي الآن أن نتذكر أن هذا الإرتباط في المصالح ، الذي أشار إليه هرتزل في يومياته ، سوف يتكرر كثيراً في علاقة بريطانيا بالحركة الصهيونية .

لقد رأينا - قبل الآن - ان الحركة الصهيونية لمكثت في
الاربعين .. ثم في خمس ، كدبل لاسي لفلسطين بالنسبة
للدولة اليهودية . ولكن تلك لم تكن هي البدائل الوحيدة .

في سنة ١٩٠٢ ذات المباحثات الحثية بين المنظمة الصهيونية
والحكومة البريطانية ، والتي كان يرأسها في ذلك الوقت « آرثر
جيمس بلومر » وكانت بريطانيا تحتل مصر منذ سنة ١٨٨٢ .

وقد سارت المفاوضات مع الحكومة البريطانية أولا على لاسي
ان يعطى سيما لليهود .. ثم تطورت المفاوضات لتصبح مسألة
العرش في المكال المطلوب .

لقد كان هرتزل يري انه « .. مادام الباب الاساسي لفلسطين
سيكون مغلقا أمامنا ، فلابد ان نجاء من ابواب خطية أخرى » .

وفي يوم ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٠٢ كتب هرتزل في مذكراته
يقول « احدثت اليوم مع المستر تشمرلين (وزير المستعمرات
بالحكومة البريطانية حينئذ) ، تحدثت معه أولا عن مشروع قبرص .
ولكنه قال لي ان الحكومة البريطانية لا توافق على هذا المشروع
بسبب رد الفعل الذي يمكن ان يحدث .

« ولكنني رفعت على المستر تشمرلين نقلا : ليس كل شيء في
السياسة يتم كشفه للعالم . ان النتائج فقط ، أو الأشياء المبدئية
فقط .. هي التي تظهر . لقد كشفت لك خطتي الخاصة بقبرص .
انها تمتد على نحو ملائم في قبرص لاهراء اليهود . يجب ان ننقل
الدعوة للذهاب الى هناك .. اتني سوف اهد لذلك من طريق
سنة مبعوثين سارسلهم الى قبرص . وحيثما مشى الشركة
الشرقية اليهودية - براسمال خمسة ملايين جنيه - للاستيطان
في سيما ، أو في العرش . فلن اهدى قبرص انفسهم سيكون
مطلبين على تحويل جزء من هذا المظهر الذهبي الى قبرصهم ، وهذا
سيكون قصدا الحقيقي . ونحن يتحقق ذلك . سنحصل على
الاراضي ، واهل الحرية بعضهم مسلمون ، والبعض الآخر

يونانيون ، المسلمون سوف يرحلون . أما اليونانيون .. فسوف يستعدون أن يبيعوا لنا سحر مرتفع ، ثم يهاجروا إلى أثينا أو إلى كريت ؟ .

ثم كتب هيرول بعد ذلك في مذكراته يقول : « أما لو حصلنا من الحكومة البريطانية على تبرع .. فإن هذا سوف يضعنا في مركز أفضل للمساومة مع السلطان العثماني .. وكذلك لو حصلنا على سيديا أو منطقة العريش . وكل منطقة من المناطق الثلاث سوف تكون في نصف الطريق إلى فلسطين .. لأن كلا منها يصلح مركزا لجميع اليهود يفكرون منه مباشرة إلى فلسطين » .

على أن المشروعات الثلاثة فشلت جميعا .. أما تبرع فقد رفضها الحكومة البريطانية ، لأنها ستدخلها في مزايدات دولية عديدة .. أما العريش وسيديا فقد كتبت الحكومة المصرية في ردها إلى الحكومة البريطانية : « إن لدينا من المشاكل ما لا يحتاج إلى مشكلته حديده » .

وفي ربيع سنة ١٩٠٣ انتقل البحث مع الحكومة البريطانية إلى مشروع جديد .. فقد عرضت الحكومة البريطانية على المنظمة الصهيونية أن تعطيها بحرية في شرق أفريقيا في سبعمائة كيليا . وقد عرف المشروع بعد ذلك خطأ لأنه مشروع أومدا ، لو مشروع شرق أفريقيا . والصحيح - كما هو ثابت من سجلات وزارة المستعمرات البريطانية أن كيبيا هي التي كانت موضوع المناقشة .

وقد حررت الحكومة البريطانية فعلا خطابا رسميا في ١٤ أغسطس سنة ١٩٠٣ إلى المنظمة الصهيونية بالمشروع الجديد . ومرض الخطاب على المؤتمر الصهيوني بعدها بأسبوع .. مما أدى إلى دموع المضر .

وسعد أن علم المستوطنون البريطانيون في كيبيا ذلك .. اسرعوا بالتعبير عن سخطهم وقدموا احتجاجا للحكومة البريطانية

ضد « السماح بتهجرة اليهود الدخلاء الى كينيا » وارسلوا الاحتجاج برتيا الى وراز « الخارجيه في لندن » .

وقد ادى هذا الى ان المؤتمر الصهيوني السابع عندما اجتمع في ٢٠ يوليو سنة ١٩٠٥ — بعد وفاة هرتزل — قرر نهائيا دعم مشروع شرق افريقيا وقرر تركيز مجهودات المنظمة على الهجرة الى فلسطين ، بعد خلاف حاد في المؤتمر .

ولكن الظروف لم تكن مواتية بعد بالنسبة لفلسطين — على الأقل لم تكن لبريطانيا سلطه على فلسطين حتى ذلك الوقت — وكان هذا هو السبب في انه عندما حدثت الثورة التركية سنة ١٩٠٨ تصورت الحركة الصهيونية ان الثورة خلقت لها ظروفا جديدة للتعامل مع تركيا .. فانشئت وكالة صهيونية في القسطنطينية في نفس السنة . وندبت الوكالة الى تركيا مشروعا جديدا للسماح باقامة مستعمرات يهودية في الجزء الاسهوي ، وبالدات في الجزء الواقع بين نهري دجلة والفرات .. يعني ، في العراق هذه المرة !

ولكن المشروع الجديد فشل ايضا . كما سجله ليوبارد شتين السكرتير السياسي للمنظمة الصهيونية العالمية في كتابه * وعد بلفور .

وكان هذا هو المشروع الملغ الذي يواجه المشكل بالنسبة للحركة الصهيونية .. فالمظنة قد حاولت اولاف في فلسطين .. ثم في الارجنطين .. ثم في قبرص .. ثم في سيبيريا .. ثم في منطقة العريش .. ثم في كينيا .. ثم في العراق .

وهذه التطورات نفسها هي اكثر دليل على ان الحركة الصهيونية .. هي حركة سباسبية ، ترفضها عوامل سياسية بعنة ، وتستغل هذه العوامل ملتصقة بالحركة الصهيونية دائما

و .. نحن ملازمنا في سنة ١٩٠٨

ومازالت الحركة الصهيونية تبحث عن قوة كبرى تتساها .. 1
فلين ستجد هذه القوة ؟ !

الصيغة

كانت فترة العشرينات من هذا القرن العشرين ، هي سنوات
الازدهار بالنسبة للحركة الصهيونية ولكنها كانت سنوات
الخلافة في مصر .

بعد ثورة شعبية هزت مصر قرية قرية في سنة ١٩١٩ ،
اصبح الشعب مشغولاً بالمقاومة بين سعد وعطلي — لقد
سعد زغلول وعطلي بك .

وعندما تلقى نظره على مصر خلال تلك السنوات ، محمد
ابن سيد درويش قد بدأ يحدد العلماء والموسيقى شخصية مصرية
الملاح . العقلا والمزني اصحوا كتابا مشتركا في النقد الانبي
اسمه « الديوان » . طلعت حرب افتتحت بنك مصر في ٧ مايو ١٩٢٠
برأس مال ٨٠ ألف جنيه .

وإذا نظرنا الى الامام حسن سموات — الى سنة ١٩٢٥ —
فسوف نجد ان الانجليز والملك تخلصوا من سعد زغلول باذنه
من الوزارة . يوسف وهبي يمثل مسرحية « راسوتين » على
مسرح رمسيس . طه حسين عين استاذاً في الجامعة المصرية ،
التي تم صمها في نفس السنة الى وزارة المعارف العمومية .
الشيخ علي عبد الرارق اصدر كتاب « الاسلام وأصول الحكم »
الذي حره بتقني مصر حتى اقتدابهم . لقد هاجم فيه الخلافة والنظام
الملكي . فردت عليه الحكومة بأنه لابد ان يكون — بالضرورة —
حاش وكثير — . بنفس ما رفعت به علي طه حسين في السنة
التالية . بأنه هو الآخر خارج عن الطاعة والادب والفتن
ويبسا كل المتنمون بطلمون بحرية الرأي . والحكومة تصادر
حرية الرأي . . يبسا المتنمون بشمولون بالمستقبل ، والحكومة
بشمولة بالسلطة . . نقرا في التمس خسر قيام المنظمة
الصهيونية بالفتاح الجامعة المصرية .

كانت الصهيونية في حالة الاستعداد . وكانت مصر في حالة محاسن . لكنه محاسن يحاط بكثير من الصيغ . لعل لصديق تينيل له ، هو أنه بعد ٨ سنوات — أي من سنة ١٩٢٢ — أصدر تونيك الحكيم ممرحتين في وقت واحد لم يلتقا النظر في البداية . المرحيل هما «أهل الكهف» .. و «عودة الروح» .

وأعود جلبا إلى السنوات التالية لانتهاء الحرب العالمية الأولى .. فهي سنوات الاستعداد بالنسبة للحركة الصهيونية . وقد كال المناخ ملائما أكثر مما يمكن لهذا الاستعداد .

إن شخصيتنا الرئيسية على المسرح في هذه المرحلة هي : حليم وايرمان .. الذي أصبح رئيسا للاتحاد الصهيوني في بريطانيا ، وهي بدورها البلد الذي بدأت المنظمة الصهيونية تبنى بنظرتها الرئيسية فيه .

لقد أصبح وايرمان الآن هو العقل الحديد الذي قاد السفينة في سنوات العمل الهاديء السابقة على نشوب الحرب العالمية الأولى .

ومن البداية نلاحظ أن هذه الفترة تميزت بتغيرات عميقة داخل المجتمع اليهودي الأوربي . وقد كلل لهذه التغيرات انعكاسات أخرى — بنفس الحق — على تطور الحركة الصهيونية نفسها .

فأولا : تميزت تلك الفترة بموجة هامة بهجرة يهودية واسعة النطاق من شرق أوروبا إلى العالم كله . ففي الفترة من سنة ١٨٨١ إلى سنة ١٩١٤ خرج من شرق أوروبا مليونان ونصف مليون يهودي مهاجرين إلى العالم كله .

أما في فلسطين .. فقد هاجر إليها بين سنتي ١٨٨١ و ١٩١٤ — أي خلال ٣٣ سنة — ٢٥ ألف مهاجر .. فقط ..

وثانيا : أن الانقسام في المجتمع اليهودي كل يزداد عمقا . فلقد كان البعض يرى أن الحل الأخير لمشكلة اليهود يكون بجعلهم

أكثر قدره على الدويل في المجتمعات الأوربية نفسها . والبعض الآخر كل يرى أنه لا يوجد حل سوى أقلية دولة يهودية . وهذا البعض هو الأقلية التي تعتمد عليها المنظمة الصهيونية

وثالثا أنه حتى في داخل المنظمة الصهيونية كل هناك انقسام آخر . ان البعض كل يرى - مثل هرتزل - أن المنظمة الصهيونية لابد أن تحصل أولا على ضمان دبلوماسي رسمي من إحدى الدول الكبرى . . . فيل أن تبدأ أي جهود منظمة لتحويل اليهود إلى فلسطين . . . وذلك على أسس أن هذا هو الفصل ضد عدم انتكاس صليبات الإنستيطال الجديدة في المستقبل . ومن ناحية أخرى كل البعض الآخر يرى أن فشل هرتزل في مفاوضاته مع الدول الكبرى هو دليل على أن هذا الفصل الدبلوماسي لن يلقى أبدا ، وأن المعدل لذلك هو سبيل هذا الموضوع تماما . . . والتركيز بدلا منه على خلق أمر واقع في فلسطين .

ثم جاء حليم وابرملي ليوفق بين الصالحين من نظرية جديدة لترها المؤسس الصهيوني أنسكين سنة ١٩٠٧ . أن النظرية الجديدة تعتمد على أن كلا من المجهودين هو شرط لنجاح الآخر . . . وأنه يجب التركيز على الإنجازهين معا : إنهاء العمل الدبلوماسي . . . وإنهاء استعمار الأرض .

كان هذا هو الموقف اذن عندما طبت الحرب العالمية الأولى في سنة ١٩١٤ . جهود هيئة لأقلية بمصبرات نشطة في فلسطين ، وفي نفس الوقت جهود ضخمة للتفاوض مع الدول الكبرى ، وخصوصا في لندن .

وبنشوب الحرب العالمية ، وجدت الحركة الصهيونية لظروف التي ستخلقها الحرب يجب استغلالها إلى أقصى قدر لمصلحة المطلب الصهيونية ، والا لقد لا تتكرر مثل هذه الفرصة أبدا

والسؤال الذي واجهته المنظمة الصهيونية هو إلى أي جانب تنف ؟ هناك كتلة الطفاء - تزعمهم بريطانيا وفرنسا .

مقابل الكتلة الأخرى وتزعمها ألمانيا ومركيا . على أي طرف من هؤلاء تقام الحركة الصهيونية بمصرها ؟

إنه سؤال جوهري . ويحتاج إلى حسابات دقيقة ، حتى تكون نسبة المجزأة أقل ما يمكن .

وقررت المنظمة الصهيونية ألا تنف - قبلها - مع طرف دون آخر . نسمد كل شيء هناك احتمالات متساوية بالنظر لكل طرف من الطرفين المتحاربين .

كل الحل هو - ألا تطلق الحركة بكل البيض في سلة واحدة !

سوف يبقى المقر الرئيسي للمنظمة الصهيونية في برلين - خاصة ألمانيا - هيما المجهود الفعلي سوف يتركز في لندن - خاصة بريطانيا . وسوف يكون هانيم وإيرمل هو المسئول الأول عنه .

وكان عمر هانيم وإيرمل عند قيام الحرب قد أصبح أربعين سنة . وقد مضى على إقامته في بريطانيا عشر سنوات ، وهو أصلا من مواليد روسيا ، وأصبح عند قيام الحرب يعمل في خدمة اليهود العرب البريطانيين ، وخصوصا مصلحة لانتاج المتفجرات ، لأنه أصلا كيميائي .

لقد قدر لوايرمل منذ ذلك أن يكون الرعيم الدبلوماسي الصهيوني لهذه المرحلة . كل من هرزل هو المفكر ، وسوف يصبح بن جوريون هو المنظم ، وموشى تيان هو المحارب ، ولكن وإيرمل هو الرعيم . أنه هو الذي ظهر بوعده بلفور ، وهو أول من تفاوض مع فيصل بن الحسين ، ومع تشرشل ، ومع ممثلي الدول الكبرى في كل المراحل التالية .

وكانت نظرية وإيرمل - كما رأينا من قبل - هي نفسها النظرية التي أمتنها في المؤتمر الصهيوني الثامن سنة ١٩٠٧ ،

نظريه تقول - مكلمات وايريل - « طبعاً يلزمنا أن يبقى قضيتنا
 مثله أمام مجالس العالم - إلا أن عرضنا لتسويتنا لن يقدر له
 النجاح والفعاليه إلا إذا قلبت معه أعمال الهجرة ، والاستقلال .
 واستلهم » .

وهي نظريه مسرها وايريل أكثر فيها بعد ، عندما قال في
 كتابه « لصحة والحق » أن « . لعلنا البلوياسي لهيبته .
 ولكن هذه الأهمية مراد ، بفصل عملنا المعلن في فلسطين »
 و « . أن جميع الصيغ السياسية - حتى إذا أقرنها وقضيتها
 السلطات لمصيه بالأمر . لا حصل لنا فيه مثله - بل حصل لنا بعض
 الضرر - ما دامت لم سبق عن جهود مضنيه بدلهاها نحن على تراب
 فلسطين مستعمرها بأحادي وداحتها . والجمعة المبرية ،
 ومشروع رومبرج الكهربائي ، وأماز البحر الميت - هذه كانت
 سمي بالنسبة لي ، سلباً . أكثر من جميع الوعود المائتة من
 الدول لعظمى أو عن الأحزاب السياسية الكبرى . أن هذا ليس
 سبه عدم احترام للحكومات والأحزاب ، ولا عدم تقديري
 لتصریحات السياسيه . بل لأن المصريح السينى ، في امتدادى ،
 يكون حقيقياً فقط عندما يواريه عمل يقوم به نحن في فلسطين . أن
 التصريحات مبنية على الآخرين ، أما الإنجاز فلا يعتمد إلا علينا
 نحن . هذا هو كنهه حينئذ الصهيونية . . مهلك من يتولى إلى
 انتهاج الطرق التي شقها الأخير وعندها الآخرون . أما أنا فأنسى
 نواق إلى الطريق التي مضتها نحن ملتداسا ، مهما أنصت أقدامنا
 الجراح » .

يبدأ الأسلوب ابن . . بدأ وايريل يتود العمل الصهيوني :
 استعمار يرمي في فلسطين ، وفي نفس الوقت مجهود يتم لكسب
 الدول الكبرى .

وطالما أن الدول الكبرى تصي مريطانيا - بالنسبة لوايريل -
 لأنها الجرة الذي يتحمل هو مسؤوليته ، فقد بدأ يصاغف من
 المجهود الصهيوني في هذا الاتجاه .

لقد كتب إلى صديق له في ١٠ أكتوبر سنة ١٩١٤ يقول
 « أن خططي تعتمد طبعاً على افتراض أننى هو أن الحلفاء هم

الذين ميگبون العرب . أن هذا هو — على الأقل — ما آمنه وأرغب فيه . كما أنني لا أشك في أن فلسطين سوف تقع في منطقة نفوذ بريطانيا ، أن فلسطين هي إمداد طبيعي لمصر ، وهي الحنجر الذي يوصل قناة السويس عن البحر الأسود . . . وأيه أسال عدائيه قد تحدث من هذا الجانب سوف تجعل من المنطقة بلجيكا آسيوية . وأنا — نحن الصهيونيين — سنطيع بسهولة أن نحرك مليون يهودي إلى فلسطين في خلال العامين أو لستين سنة القادمة . بهذا تحصل بريطانيا على حنجر فعال . . . ومحصل نحن على وطن . »

بعده اللهجة بدأت مفاوضات «وايرمل» مع الحكومة البريطانية . حكومة أصبحت منذ سنة ١٩١٦ . برئاسة لويد جورج ، وأرنر جيبس بطور الخارجية . أن الحركة الصهيونية سبق أن اتصلت بالانثنين بمكرا وضمت انتاقتها وتعلقها بها . . . علاوة على عدد آخر من أعضاء الوزارة الحديده ، ومدير المخابرات العسكرية ، ورئيس تحرير جريدة التايمز !

ولكن المفاوضات الحديده بين الحركة الصهيونية والحكومة البريطانية الحديده — والتي أنت في النهاية إلى صدور وعد بطور — لم تبدأ إلا مع سنة ١٩١٧ .

في ربيع تلك السنة كتبت الحكومة البريطانية قد أصبحت مقتنعة بأن الصهيونية هي قوة فعالة في الحياة اليهودية . . . وتبلغ أكثر مما يجب في تصوروا لنفوذ اليهود في الشؤون الروسية . وكانت تعتقد أيضا أن مصلحتها العسكرية قد تستفيد لو أن انتصار العلماء اقرروا في مقول اليهود بتحقيق المطالب الصهيونية . وكلما كتبت الحرب تطور إلى الأسوأ فإن بريطانيا كانت تزاد تمسكا بالأمل في أنه لو أصبح هناك حنجر قوي لدى اليهود . . . فإن اليهود الروس سوف يضعون كل ثقلهم ضد المنظرين المسلمين ، وفي الإبقاء على روسيا في الحرب ، أو — على الأقل — معها من عقد صلح منفرد مع ألمانيا . ومن استغلال الموارد الروسية لصالح ألمانيا .

ويقول « ليونارد شتير » الذي كان منكرقرا للمنظمة الصهيونية العالمية بده سبع سنوات - يقول في كتابه « بين بلقور » أن أحد النقط الرئيسية التي كتبت وراها المارخية البريطانية تستخدمها بقوة للضغط في سبيل استدار تأكيد بريطانيا عامل للصهيويين .. هو أن اليهود يلعبون دورا هائلا في روسيا .. وأن كل يهودي في روسيا هو في نفس الوقت صهيوي » .

هكذا كتبت الحركة الصهيونية ستخدم مع بريطانيا لهجتي

● أن الاستجابة للمطالب الصهيونية سوف يبريد بريطانيا عسكريا في المدى القصير .

● أن قيام دولة يهودية في فلسطين يضمن أيضا - في المدى الطويل - وجود صديق حلفي يحمي المصالح البريطانية في مصر .

وبناء على ذلك فإن جريدة فلسطين (اليهودية) التي تصدر في لندن كتبت في ٧ أبريل سنة ١٩١٧ تقول : « أن الحكومة البريطانية كانت ترى أن فلسطين يجب أن تكون بريطانية .. فأصبحت ترى أنه لكي تكون فلسطين بريطانية .. يجب أن تكون يهودية »



وفي نفس الوقت كان على المنظمة الصهيونية أن تخوض معركة أخرى أكثر مشقة ، معركة مع اليهود أنفسهم لاتخاذهم بالوقوف خلف المنظمة الصهيونية أثناء مفاوضاتها الجارية مع الحكومة البريطانية

لقد أرسل وايميل إلى المؤتمر الذي عقده الصهيويون الروس يقول في يونيو سنة ١٩١٧ مضمنا : « لابد أن نحصل على تأييدكم في هذه الظروف . ولابد أن نحاولوا الحصول على تأييد الحكومة الروسية لخطط بريطانيا » .

وقبلها شهرين أرسل وايرمان الى صديقه الصهيوني فرانكيس «
مستشار الرئيس الأمريكى « ويلسون » خطابا يقول فيه « أننا
سنظر حيا تدعيمنا لعلنا من الحكومة الأمريكية . أن نصريحا بصدر
ملك - وربما من الآخرين المنصلين بالحكومة الأمريكية - لصالح
قيام فلسطين يهودية تحت الحماية البريطانية .. سوف يتولى
مركزا كبيرا » .

وبعدها بأسبوعين غلط أرسل من جديد - برقية هذه المرة -
الى « فرانكيس » يشاهده فيها قتلا : « أرحو أن نترك طليعة الظروف
القائمة ضحيا هيا ، والتي لو سرناها ستكون النسيجه وجود
إسرائيل دولي مشترك على فلسطين .. وهذا معناه كونه لنا .
أن الساييد مصك ومن الحكومة الأمريكية ومن اليهود الأمريكيين
سوف تكون له قبة كبره جدا . أرحو أن يكون ذلك سريرا » .

أن « وايرمان » كل في سباق مع الوقت للضغط على الحكومة
البريطانية مهما مستس الحرب مصوب الى رأسها - وكل أسوأ
ما يحشاه هو أن يعدله اليهود أنفسهم لذلك مثله كن هوالى
الاجتماع بهم لضمين تبيدهم وحلهم

وفي مؤتمر صهيوني بلندن عقد في 16 مايو (1917) قال لهم
« وايرمان » أن القول بحب سألها ببطء .. وبالتدريج ..
وبالتنظيم .. ومصر . ومن ثم نحن مقبول انه سيبدا هدينا
النهائي هو خلق دولة يهودية ، على الطريق لتحقيق ذلك
يكون على مدة مراحل متداخلة . واحدى هذه المراحل - التي
أرجو أن تتحقق نتيجة لهذه الحرب - هي أن .. فلسطين
اليهودية سوف تصبح محمية قوة محبة وكبر - مثل بريطانيا ،
وتحت حياح هذه القوة يسمح اليهود قائلين على إقامة جهاز
إداري وتشيدى يحر أهدافا الصهيونية .. سيما لا يرجع انفسنا
بالمصالح المشروعة للأهل من غير اليهود ، وأنس محول بأن أهلى
في هذا الاجتماع موافقة الحكومة البريطانية على هذه العطة » .

وبلاحظ في كلام وايرمان حرصه الشديد على أن يقع اليهود
بوجود ضمال بريطاني - لم يوجد ممد - وفي نفس الوقت يضع

الحكومة البريطانية بأنه يتحدث باسم جميع اليهود — وهو لم
ليس صحيحا .. بعد .

على ١٧ يونيو (١٩١٧) قام وايميل والمليومير اليهودي
روتشيلد بمقابلته بلفور — وزير الخارجية في الحكومة البريطانية —
وقالا له ان الوقت قد حان لكي تمنحنا الحكومة البريطانية وعدا
محددا بتأييدها لمطالب المنظمة الصهيونية .

وطالب مهم بلفور ان يعد له المنظمة الصهيونية مشروع بيان
يكون مرفعا للمنظمة الصهيونية ، وسوف يحاول هو ان يقدمه الى
الحكومة . وكس المفهوم ان المنظمة ستقدم لبلفور مشروع البيان
هذا بطريقة غير رسمية ، ومن حطاب شخصي يوجهه روتشيلد
الى بلفور .

ومن المهم هنا ان نسلط بعض الضوء على هذه النقطة
التمثيلية ، لأنها توضح لنا طبيعة اللهجة التي كانت تستخدمها
المنظمة في مفاوضاتها السياسية هذه ، والتي سوف نتخصص حالا
في صفور وعد بلفور المشهور .

لقد كانت الصيغة الأصلية التي أعدها المنظمة تنص على ' ..
ان الحكومة البريطانية — بعد ان وضعت في اعتبارها أعباء
المنظمة الصهيونية — توافق على هذا الاعتراف بفلسطين كوطن
قومي للشعب اليهودي ، وعلى حق الشعب اليهودي في بناء
حياته القومية تحت حماية يتم اقرارها بعد نهاية الحرب . ان
الحكومة البريطانية ترى — كضروره لتحقيق هذا الهدف — ضمان
الاستقلال الذاتي الداخلي للقومية اليهودية في فلسطين ، وإقامة
مؤسسه قومية يهودية للإسكان .. من أجل إعادة التوطين
والتنمية الاقتصادية في فلسطين .. ' .

وعندما قرا روتشيلد هذه الصيغة اعترض عليها قائلا ان
بيان بهذا الشكل سوف يكون طويلا جدا ، كما انه يحتوي على
تفاصيل كثيرة ليس من المستحسن ان تظهر في الوقت الحاضر ،
لهذا رأى روتشيلد انه يكفي ان يسم البيان المقترح نقطتين جوهريتين
قط :

أولا . الاعتراف منسطين باعتبارها « بيتا قويا » للشعب اليهودي .

ثانيا : الاعتراف بالمنظمة الصهيونية باعتبارها ممثلة للشعب اليهودي .

ونعلا . . تم تعديل المبيعة ، وكتبها روتشيلد في خطاب شخصي منه . . وجهه الى بلوم في ١٨ يوليو ١٩١٧ .



وفي ٣ سبتمبر اجتمع مجلس الوزراء البريطاني . وفي هذا الاجتماع توتش مشروع البيل المسمى لأول مرة « بصفة رسمية ضمن جدول أعمال مجلس الوزراء » .

ولابد ان نتوقف الان قليلا لنام عدة ملاحظت .

● ان اهد الامتراسات الاساسية لامدار البيل المقترح هو قوة المنظمة الصهيونية وتجنبها لكل اليهود . وهذا المراسم غير صحيح .

لحتى ذلك الوقت — وبصاء على الأرقام الرسمية للمنظمة الصهيونية نفسها — نجد ان العدد الاحصائي لاعضاء المنظمة الصهيونية كل سنة وثلاثون ألف يهودي صهيوني . بينما كان مجموع يهود العالم ١٤ مليوناً

وعدد أعضاء المنظمة الصهيونية في بريطانيا كل ثمانية آلاف يهودي صهيوني . بينما في بريطانيا ثلاثمائة ألف يهودي .

وفي الولايات المتحدة كل هناك اثني عشر ألف عضو في المنظمة بينما عند اليهود هناك ثلاثة ملايين .

وفي روسيا كل عند أعضاء المنظمة ستة وثلاثون ألفاً ، من بين احوالي اليهود في الإمبراطورية الروسية حينئذ وهو ستة ملايين يهودي .

● ومن ناحية أخرى كانت حكومة بريطانيا تتعامل مع المظنة الصهيونية باعتبارها تسلي حلال يهود العالم كله وهذا أيضا غير صحيح .

إن « أدوين مونتاج » - وهو الوزير اليهودي في الحكومة البريطانية حينئذ - كتب خطبا إلى لويد جورج رئيس الوزراء - ورئيسه هو - يقول له فيه : « أنك سمح لهذا الصهيوني الأحمق الحيثي (يسمد وايرسل) بضمك مكتسحا بذلك كل السموات الدنية . وإذا أصفرت بيانا ماعسر فلسطين وطنا قوميا لليهود ، فإن كل منظمة وصحيفة معادية للسلطة سوف تتسائل في اليوم التالي : بأي حق أنت يوجد وزير يهودي في الحكومة البريطانية ؟ »



المهم ..

كان أول اجتماع وراي يناقش فيه البيل المقترح بصفة رسمية ، هو اجتماع مجلس الوزراء البريطاني في ٢ سبتمبر (١٩١٧)

وكانت النتيجة الوحيدة التي أسفرت عنها المناقشات في الاجتماع هي : ضرورة الحصول على رأي الرئيس الأمريكي ويلسون بوضوح ، وإن لم يكن المطلوب رأيا رسميا .

وعلا .. أشرت وزارة الخارجية البريطانية في اليوم التالي مباشرة إلى المصادر المتصلة بالرئيس الأمريكي بطلب رأيه . وكانت الخارجية البريطانية في برقيتها لها ثغوب في الحصول على اجله مبكر من الرئيس الأمريكي ، حيث أن ١٧ سبتمبر سوف يصادف بداية السنة اليهودية الجديدة ، وإن صدور البيل في تلك المناسبة سيكون له أثر طيب .

وعلا .. خلال السوع واحد وصل رد الرئيس « ويلسون » .. ولكن بعكس ما توقعته الحكومة البريطانية . لقد قال ويلسون

أنه لا يرى أن الوقت ملائم لصدور أي بيان يحدد لمصالح المنظمة الصهيونية .. إلا إذا كان مجرد بيان تعاطف لا يتضمن أي التزام أو تورط من جانب بريطانيا .. فضلا عن أنه لا يهم سر تعطيل الحكومة البريطانية ومبالاتها في تقدير أهمية الحركة الصهيونية » .

كل هذا الرد من رئيس الولايات المتحدة مفضلا للحكومة البريطانية . وبمجرد أن علم وأيرمل بهذا الرد انزعاج بشده — وأرسل برقية « غاضبه جدا وسريه » إلى « برانديس » مستشار الرئيس « ويلسون » وإلى قيادات المنظمة الصهيونية بالولايات المتحدة . أن وأيرمل طلب منهم ممارسة « أقصى ضغط ممكن لتغيير رأي الرئيس ويلسون » .

وبينما أن المنظمة الصهيونية مرهلي جدا اكتشفت أن أحد مستشاري ويلسون — وهو بالدات الكولوبيل هاوس — هو الذي أصبح الرئيس يرسل هذا الرد . وأنه انتقد ليلام الرئيس بشده « الحركة الصهيونية وادعاءاتها »

وبسرعة استطاعت المنظمة — باتصالاتها وأجهزتها في الولايات المتحدة — أن تنش حملة ضد الكولوبيل هاوس هذا — متبهة أباه بصداء السليبه — وهو الانهزام الجاهر لدى الصهيونية دائما ضد أي معارضة . وخلال فترة قصيرة استطاعت المنظمة أن تلحظ على هذه الحقبة المعاصرة التي واجهتها . ولكن المنظمة — في نفس الوقت — قدرت أنه لو حدثت بكه أخرى فقد يستحيل معالجتها .

ومن هذه النقطة يعلق السكرتير السباني للمنظمة الصهيونية في كتابه « بيان ملنور » قائلا : « أنه لولا أن وأيرمل كانت له علاقات شخصيه مباشره مع رئيس الوزراء لويد جورج ، لمسا علم سرعه حقيقته الرد المناهض الذي جاء من الرئيس ويلسون في الوقت المناسب .. ولأدى هذا إلى منع صدور وعد بلفور نهائيا » .



ثم : مقرب من الأيام الأخيرة من شهر أكتوبر ، أي الأسبوع الأخير لبحث مشروع وعد بلفور من جانب الحكومة البريطانية .
أن مجلس الوزراء كلّى قد عقد اجتماعاً ثانياً لمناقشة البيل ، وكان قد قرر أحد رأى القيادات الصهيونية في تعديلات جديدة عليه للمرة الأخيرة . ثم عقد المجلس بعدها اجتماعاً ثانياً ، تقرر بعده أيضاً تأجيل إصدار البيل .

وكان سبب التأجيل الثالث عربياً هذه المرة . تكشف عنه روجة وايرمان في مذكراتها الخاصة ، حيث سجلت بتاريخ ٢٨ أكتوبر قولها : « للمرة الثالثة وضع البيل الفلسطيني في جدول أعمال مجلس الوزراء . وللمرة الثالثة تأجل سبب أعدائنا اليهود » !

وأزاء هذه التعذرات اضطر وايرمان لعقد مؤتمر صهيوني في لندن - في ٢١ أكتوبر - جمع فيه توثيحت ثلاثمائة شخصية يهودية على مريضة تطالب الحكومة البريطانية بالإسراع في إصدار البيل مع ملاحظة أن عدد اليهود في إنجلترا حينئذ هو ثلاثمائة ألف ، بينما التوثيحت التي حصل عليها وايرمان ثلاثمائة !

وفي ٢١ أكتوبر كتبت جيوشى بريطانية قد دخلت إلى فلسطين .

وعندما اجتمع مجلس الوزراء البريطاني في أول نوفمبر - في الليلة التي وافق فيها نهائياً على صدور البيل ، قال بلفور وزير الخارجية لمجلس الوزراء : « إلى الأغلبية الكبرى من اليهود في روسيا وأمريكا - بل وفي أنحاء العالم - هم الآن .. بهذا البيل .. موالون للحركة الصهيونية » .

وفي اليوم التالي لهذه الجلسة ، أرسل بلفور عملاً إلى المليونير اليهودي الصهيوني روتشيلد .. يحظره بصدور البيل رسمياً ، ويصممه الرسمي الأخير . بيل يقول :

« أن حكومة صانعه الحلاله تنظر بعين الرضا الى انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، ولانها ستفذل اتصى جهدها لتيسير

تحقيق هذا العرض ، على انه يجب ان يكون مفهوما فيها صحيحا
ان هذا ان يؤدي الى المساس بالحقوق المدنية او الدينية للطوائف
غير اليهودية التي تقيم في فلسطين ، لو التي يتمتع بها اليهود في أي
بلد آخر .



كانت هذه هي الصيغة الأخيرة التي صدر بها البيان رسميا ،
وهي كما نرى معقدة عن الصيغة الأولى التي اقترحتها المنظمة
الصهيونية في حثلب روتشيلد الى بلغور قبل شهرين ونصف
تعديل ومنه وأيرملر معد ذلك بأنه « من الداني » .. ولكنه
يتساءل فيها بعد ، قائلا في كتابه « التجربة والخطأ »

« هل كنا حصلنا (لو لم نوافق على التعديل) على بيان أفضل
أم هل كانت الحكومة (البريطانية) سئمت من الموضوع ..
وبنصت بعدها منه كليا ومهاتيا ؟ أو ان ما جيلنا طويلا كان سيهمم من
ذلك . فسنهي الحرب قبل ان نصل الى اتفاق ، ونقول نتيجة
لذلك جميع الموائد المتوخاة من صدور قرار عاجل . لقد كان من
رأيا ان نقبل (الصيغة المعدلة) وان نضبط لسكني بمحصل على
اقرارها اقرارا نهائيا ، لاسيما وانما كنا نعلم علم اليقين ان
هموما من دعاء الاندماج (وهم أيضا يهود) سوف يفيدون من كل
تأخير لأغراضهم . كنا أننا كنا نعلم ان سراحا سببها بذلك كان
يجري في كبريكا أيضا » .



اذن .. ها هي الواقعة قد انتصرت ، وها هو البيان قد صدر
.. أخيرا .

فما هي الأسباب التي جعلت بريطانيا تصدر مثل هذا البيان ،
الذي يصح التراما حظرا وطويلا المدى كقائمة دولة يهودية في
فلسطين ؟

في كتاب « ميلان بلتور » يقول الدكتور المسياسي المنظمة الصهيونية . أن هناك أسبابا تكتيكية وأسبابا استراتيجية لصدور هذا البيان .

أما الأسباب التكتيكية التي تفصل بمجري الحرب نفسها فهي

أولا : أن يجرى اليهود في روسيا — التي كانت حينئذ في مرحلة المحاسن النورية — معظمهم لكي لا تمتد روسيا صلحا منكردا مع ألمانيا ، لو على الأقل لكي لا يستفيد ألمانيا من الموارد الروسية .

ثانيا : أن نسمح بولنا لصالح الحركة الصهيونية كل على وشك الصدور من جانب ألمانيا (وهذا جزء مما قالته المنظمة للبريطانيين) .

ثالثا : أن تكسب يهود العالم المآلم لجهودها الحربية .

على أن المؤلف نفسه يقول بعد ذلك : « أن هذه الاعتبارات كلها مؤقتة ، وتضمن بقتناء العرب . بينما البيان يصرح على بريطانيا الرأىات تستمر لفترة طويلة بعد الحرب . ولأنك هناك اعتبارات أخرى تتعلق بالاستراتيجية البريطانية عموما . . . وتتعلق بأمة تصطبغ الشرق الأوسط كله . . . هذه الاعتبارات سكت فيها الطرميل سببا (بريطانيا والمملكة الصهيونية) والتمزا الصيت المطلق نعوها » .

ومع ذلك ، فقد تكشف جزءا من هذه الاعتبارات . من الخطاب الذي كتبه وايرمان إلى برانديس القاضي الأمريكي وصديق ومفتش الرئيس ويلسون .

أن الخطاب مقرر في ١٤ يناير سنة ١٩١٨ ، وفيه يقول وايرمان هربيا :

« . . أن أقلية دولة يهودية في فلسطين — تقيمها بريطانيا العظمى ونساقدها أمريكا — محقاء ضرية قاضية للسيادة العربية في منطقة الشرق الأوسط ، ولسيادة دول الشرق الأوسط كله .

« ان أمريكا قد لا تحرك هذا الخطر بمكرا — بظلمة أمريكا محس في أوربا — ولكنها سوف تجد أن عليها في النهاية أن تواجهه . ويجب أن يكون من الواضح جدا . . . أن هناك تلاقيا كبيرا بين المصالح الأمريكية البريطانية اليهودية . . . ضد المصالح الألمانية التركية في المنطقة » .

وتظهر الاستشارات الاستراتيجية أيضا من تصريح لأحد الوزراء في الحكومة البريطانية — هو كيرون — قال فيه : « أن فلسطين هي فعلا حاجر استراتيجي لبحر — وأنه قد يحل الوقت الذي يتم فيه الدخا من قناة السويس — كما حدث في هذه الحرب — من الجانب الفلسطيني » .



والآن . . ماذا كان صدى إصدار وعد بلفور في بريطانيا نفسها ؟

لقد نشرت صحيفة « الديلي اكسپريس » بعنوان « دولة لليهود » .

ونشرته « التايمز » بعنوان « فلسطين لليهود » .

ونشرته « أوبزرفر » بعنوان « بعد حيل واحد سوف تصبح فلسطين لليهود » .

أما المنظمة الصهيونية نفسها ، فقد قرر عدد أعضائها من اليهود في نفس السنة من ١٢٠ ألفا إلى ٧٧٨ ألفا .



وكيف كلل الحال في الدول العربية — لنقل في بحر مثلا — عندما أصبح البيل في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ ؟

كان هناك حكم عسكري بريطاني مطبق في مصر . وكسبت بريطانيا قد وصلت الملك مؤلف على العرش في الشهر الماضي .
والسر ريجنالد ويصنع هو القديس المسلي البريطاني وبالتالي
هو الحاكم الفعلي .

وبعد سنة واحدة اصدرت وزارة المالية المصرية قرارا باهداء
الحكومة البريطانية ثلاثة ملايين جنيه استرليني اعترافا بجميلها
— هيل بريطانيا — في حماية البلاد من خطر المعتزات .

وفي الحكومة المصرية وزير يهودي هو يوسف قطاوي . .
باعتباره وزيرا للمالية — نفس الوزراء التي اهدت الملايين الثلاثة
لبريطانيا — ثم وزيرا للمواصلات .

وحبيب باهوم الذي أصبح في مصر رئيسا للتحالفات اليهود
علنا ، ومندوب الاتصال مع المنظمة الصهيونية سرا .



وفي أغسطس سنة ١٩٢١ هناك برقية من فيصل الأول — الذي
أصبح ملكا للعراق — موجهة الى جورج الخامس ملك بريطانيا
وامبراطور الهند يقول فيها : « . . أسألكم بآلهة الجلالكم
والشعركم الكريم ، الأملاني البيضاء في تحقيق آمال العرب . وأنني
لوانق بكي الأمة العربية مستحق ما لجلالكم من الاعتراف
عليها باعادة بعدها القنم . . باديت مؤيدة صداقة بريطانيا
العظمى » .

وقبلها كتب مسنون شرشل في لندن مقالا في صحيفة «الصدى»
هيرالد « — ٨ فبراير ١٩٢٠ — يقول فيه : « خلال جيل أو جيلين
سوف يظهر الى جانبنا في الشرق الأوسط دولة يهودية تحت
حماية الناج البريطانيين ، وتضم ثلاثة أو أربعة ملايين يهودي » .



نعم .. كان الملك لا يدري .

وكننت الأمة لا تدري .

ولكن بريطانيا ، كننت تدري .

والمنظمة الصهيونية ، كننت تدري .

وحاييم وايرمان ، كان يدري . كل — على الأبل — يقول
لربلائه علما : « ليس وعد بلغور سوى أطار — وهذا الاطيار
يجب أن سلاه نحن بجهونا » .

« انه سوف يعمى بالضبط ، ما سمجعله نحن يعمى . لا أكثر ،
ولا أقل » .

« واستنادا الى ما تستطيع أن سمجعله يعمى ، وذلك عن طريق
العمل البطيء الشاق ، والعلالي الثمن — سوف يتوقف ما اذا كنا
نستحق الدولة ، ثم ما اذا كنا سنشاق الدولة ، ثم متى سمالها » .



لقد تمت الصلحة ..

والآن جاء دور التنفيذ !

يهودي نصف الوقت

كل شيء ساخن في مصر خلال تلك السنة - ١٩٤٢ .

الجيش الانجليزى ساخن في القاهرة .. بعد أن حاصر القصر الملكى في حادث ٤ فبراير المشهور .

الجيش الألمانى ساخن في السلوم .. بعد رحف سريع قاده « روميل » من شمال افريقيا .

والملك فاروق ساخن في قصر عايقين .. بعد الإصدار الذى تلقاه من المستر مايكلز لاجبسون ، السفير البريطانى في القاهرة .

واليهود أيضا .. كانوا ساخين في مصر . عندهم خمسون ألفا .. لكن ملوهم مضروب في هذا الرقم مئة مرة ، نفس أيديهم محتجج كثيرة الى مثل مصر وجيبها .

انهم موجودون مثلاً في صحافة مصر .. يمسكونها من رقبتها من طريق احتكار تجارة ورق الصحف . ويمسكونها من قديمها من طريق شركة الاعلامات الشرقية . وفي كل صحيفة .. لابد أن تجد أحد اليهود في منصب هام ، له نفوذ قبل أن يكون له بريق ..

وفي أيديهم تحارة مصر .. محال داود عيسى وسرايون مثلاً . وموجودون في ريف مصر .. من خلال سوق الرهونات وشركة سوارس مثلاً ..

وفي المجالس القضائية .. كانوا موجودين ومبطلين بهكم التقاليد المصرية المسخة ، التى قضت سمعي اليهود في مجلس الشيوخ .

أكرر : سخن في سنة ١٩٤٢ ..

انهماس السنة نفسها التى نشرت فيها مجلة (لايف) الامريكية تحقيقاً بصوراً في ست صفحات عن القصر الملكى في مصر .. وقالت

عليه . « ان ملك مصر .. يملك اقبح وانجح مطعم في العالم » .

وهي ايما الفترة نفسها التي اصبح منها طه حسين كاتب
(الممنون في الارض) وقال في مقدمته : « الى الذين يجسدون
بالا ينفعون .. والى الذين لا يجدون ما ينفعون . يلقى هذا
الحدث » !



انما في سنة ١٩٤٢ . بلذات في شهر مايو . على هذا الشهر
عقدت المنظمة الصهيونية بالولايات المتحدة مؤتمرا بفرانكفورت بليمبور
بمدينة نيويورك . وكان من قادة المؤتمر : حليم وايرمان ، ودانيد
بن جوريون ، وياهو حوئل . وبعد انقضاء المناقشات وحل
عيب .. أقر المؤتمر برنامجا من ثلاث نقاط كخط عمل للحركة
الصهيونية :

١ - ان الهدف الاساسي . هو اقامة وطن قومي لليهود في
فلسطين .

٢ - لتشكل قوة عسكرية يهودية تحارب تحت علمها الخاص
.. في صف الحلفاء .

٣ - ضرورة السعي لاعادة فتح باب الهجرة الى فلسطين على
مصرانية أمام اليهود .

لقد كانت قرارات المؤتمر كلها ، انتصارا كاملا لشخص واحد
ترجم المناقشات والجدل والانتقاسات . دانيد بن جوريون . ان
بن جوريون كلى يرى ان الوقت قد اصبح مامسا لكي يعطى اليهود
هدفهم في المرحلة التالية . ان بن جوريون يرى ان الهدف المعلن
الآن يجب ان يكون هو " وطن قومي يهودي في فلسطين . وهو يرى
ايضا ان اليهود عندما سيقراون (وطن قومي) .. فانهم سيقراونه
(دولة) .

ان بن جوريون ، اتحد من مؤتمر نيويورك سنة ١٩٤٢ بخطة هذا
التحول ، لانه كلى يرى ان الوقت قد حان لكي تلحق المنظمة
الصهيونية المالية بكل ثقلها في الولايات المتحدة ، بدلا من بريطانيا .

كلت حسبة بن جوريون بمسقطه للغاية : ان بريطانيا — مع انها هي التي أصدرت وعد بلفور — لم تشوب الحرب العالمية الثانية قد خلق لها مصلحة تكتيكية في ان تحصل على صداقة العرب . او على الأقل — لا تفعل ما يريد عداؤهم لها . خصوصا في تلك الأيام العصيبة من التقدم الألماني والهيمنة الإيطالية . واقتنع بن جوريون أيضا بأن الولايات المتحدة — وليست بريطانيا — هي التي ستخرج من الحرب قوة حاسمة ومسيطره ، ومن ثم . . ملايد من ضمال وثوم هذه القوة من الآن إلى جانب الحركة الصهيونية ، ولا بد بالتالي من تركيز نقل العمل الصهيوني كله عليها .

هكذا عاد بن جوريون وقتها إلى فلسطين ، بعد أن عيا العمل الصهيوني فهو ههنا :

أولا — السعي لخلق دولة على أرض فلسطين

ثانيا — تنمية مراكز النفوذ في أمريكا المستندة وتأييد هذا الهدف .

لأنه مع ماشاره رئيسا للمنظمة اليهودية وقتها ، وباعتباره ممثلا لليهود فلسطيني في تعاملهم مع العالم الخارجي — كان عليه أن يبعد جريا من التهددين على أرض فلسطين ، ويعرجم الهدف الأول بالذات إلى أسلوب عمل يومي يسير على أسسه اليهود الصهيونية في فلسطين . هكذا قرر بن جوريون مثلا أن يؤيد بريطانيا باليد النيمى ، ويضربها باليد اليسرى¹ أن بريطانيا — باعتبارها الدولة المنتدبة على فلسطين — أصدرت كتابها الأبيض بشأن فلسطين قبل تشوب الحرب العالمية الثانية . لقد أصبحت سياستها الحديدية هي الحد مؤقتا — من مطلق الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، فالجرب العالمية قد بدأت . . وبريطانيا محتاجة إلى كسب ود العرب .

وعلى الرغم من أن التعمير الجديد في السياسة البريطانية كل تعمير مؤقتا ، ولا يؤثر في المدى الطويل — على سياسة بريطانيا نحو الحركة الصهيونية . . فقد بدأ بن جوريون حريا واسعة ضد بريطانيا . كانت الحرب العالمية الأولى هي فرصة الصهيونية للحصول على وعد بلفور . وهذه هي الحرب العالمية الثانية تتقدم فرصة ثانية للصهيونية ، لتنتهى تماما من التمييز الكامل لمطالها في فلسطين .

وفي سنة ١٩٤٥ لحسن بن جوربون الموقف ذاته . « الكتاب الأبيض » . أم دولة يهودية ؟ أم سوف نحكم على السيلامة البريطانية بناء على الحقب الذي تختاره » . « إن للعامل الحاسم كل ذلك هو : القوة » . نعمرها سيظل اليهود أقلية مملوكة في بلد عربي » .

لقد رفع بن جوربون — طوال الحرب ، شعارا غريبا هو « سحارب مع بريطانيا كما لو لم يكن هناك كتب أبيض وسحارب الكتاب الأبيض كما لو لم تكن هناك حرب » .

والآن — بعد أن انتهت الحرب العالمية الثانية في ١٩٤٥ — بدأ بن جوربون يركز لهدف آخر : الحرب ضد بريطانيا وضد العرب في وقت واحد . لقد بدأ يركز على الاستعداد العسكري . وأصبح مسؤولا عن هذا الإحصاس من سنة ١٩٤٧ . وفي يوليو من السنة نفسها أصدر تعليمات للمرق المسلحة (الهاجاناه) يقول فيها . « أنا سمنظم مع بريطانيا . ومع العرب . . ولابد لي من المرق بين الاثنين . أن صداما مع بريطانيا هو صدام سياسي وليس صداما عسكريا ، وسوف يحسمه نكث اليهودية المسلحة وبوسيع نطاق الهجرة اليهودية غير الشرعية إلى فلسطين . لها صداما مع العرب . . فهو صدام عسكري وصدام سياسي في وقت واحد . وسوف تحسمه القوة وحدها » .

القوة ؟ نعم هذا هو المفتاح لفهم شخصية بن جوربون من البداية ، وفهم العقل الإسرائيلي كله من بعده . أن في دراسة شخصية بن جوربون دراسة لإسرائيل ، ودراسة للعقل الإسرائيلي تفكيرا وعملا . وإذا كنا نعتبر أن « نيوتون هرمل » هو مؤسس الحركة الصهيونية الحديثة ، فإن « بن جوربون » هو مؤسس الدولة . الأول وضع النظرية ، والثاني قام بالتطبيق . . الأول خلق الخيال . . والثاني خلق الحقائق . الأول حول حقائق قليلة إلى خيالات وأسمه ، والثاني حول الخيالات الواسعة إلى حقائق مادية الأول حدد اتجاه البوصلة . . والثاني قاد السفينة .

هكذا أدب نصبح دراسة بن جوربون مهمة ، فقدر ما دراسة إسرائيل المعاصرة مهمة . أن أحدهما لا يمكن فهمه دون الآخر ، ولم

يكن مبنكا وخوده بعير الآخر . ان بن جوريون كان اول وزير دفاع لإسرائيل ، وأول رئيس وزراء لإسرائيل ، وأطول من بقوا في هذا المنصب (أكثر من ١٢ سنة) . انه من منصب وزير الدفاع بدأ وادار حرب ١٩٤٨ . وهو — من منصب وزير الدفاع ورئيس الوزراء — بدأ وادار حرب ١٩٥٦ ، وهو — من خارج المنصب الرسمي — أعطى بصالحه وبركانه لملايحه الذين بدأوا واداروا حرب ١٩٦٧ . وحتى الآن . . . مانه يعتبر — في تقاعده — الشخصية الوحيدة في إسرائيل التي تستطيع أن توجه ومؤثر غير الاعتماد على حرب أو منصب . ان هذا طبيعي ، لأن بن جوريون هو مؤسس الدولة ومهندسها الفعلي . أن بصالحه مازالت تطمح العقل الإسرائيلي حتى الآن من خلال الحبل الذي تلتصق عليه ، وأمر مثل لهذا الحبل هو « يوشى ديل » وزير الدفاع الحالي . وعندما حدثت أزمة ورارية في إسرائيل قبل حرب يونيو ١٩٦٧ ، فإن العسكريين والسياسيين — من أقصى اليمين وأقصى اليسار — كانوا جميعا يذهبون إلى بن جوريون ليتمشوا عليه خططهم وأفكارهم بمعد الموقف الذي اشتعل مع مصر وقنصا .

أما اذا كنا نريد ان نعرف كيف تفكر إسرائيل . وكيف تفكر الحركة الصهيونية عموما ، فإن بن جوريون يمثل حلقة هامة في مطالق بحثنا . أن بن جوريون هو النموذج الذي لما يسمى (الصهيونية الكلاسيكية) . انه يهودي روسي ، مثل معظم الرعاه الكبار في إسرائيل — ولد سنة ١٨٨٦ في مدينة (بلاتنسك) البولندية الخاضعة وقتها لروسيا القيصرية . وفي سنة ١٩٠٦ هاجر إلى فلسطين مع عدد من زملائه فيما يسمى (الهجرة الثانية) .

وفي كتاب (إسرائيل : محاولات التحدي) يقول انه لموهى في فلسطين مظاهرتين :

أولا : أن اليهود يعيشون حياة (الأنسية) ، ويحصلون على دخولهم من تأجير الأرض وبعض المهن الأخرى (كالنجارة) ، وهذا سماء « . . . أما من تلحد فلسطين بهذه الطريقة ، عين الأرض والشعب ، لا بد من وجود رابعة عمل » .

ثانياً ان السلاح في ايدي اليهود كالعدم . فهم لا يصاحون لحمل السلاح بمدفونون مضت .

ووجدت من حوريون ، ان هاتين الظاهرتين لابد ان تكونا جزءاً من مهمة العمل الصهيوني : تعليم اليهود الزراعة . . . على النقيض من الفرد بالارض ، وتعليمهم حمل السلاح . (وكل هذا هو السبب الحقيقي . . الذي دعا بن حوريون بمد ذلك من اجله لتشكل عيقل يهودي يحارب في صف الحلفاء) .

لقد وحده مداه الى الملاك لليهود في فلسطين ، لانهم - في رايه - مثل يهود أوروبا ، طئقة بتوسطه لا تريد الا الربح ، ولانهم - ثانياً - يستأجرون الشريك لصلتهم ، ولانهم - ثالثاً - يستغفمون مزارعي عربا .

لقد كان بن حوريون يرى ، ان المسال اليهودي اذا انتقل من حبيب يهودي . . فيجب ان يدخل الى حبيب يهودي آخر ، ولهذا السبب يجب على الملاك اليهود ان يستأجروا عمالاً يهوداً وليس عمالاً عرباً . انه في كتاب (قسدر اسرائيل) يقول : « . . ان المستعمرات اليهودية اتلفت ملايين الفريكات ، والقسم الأكبر من هذا المبلغ ذهب الى حبوب العرب . . ان كل مزارع يضم اليها ، معناه اسعاش ثلاث مائات مربية دون مائدة لليهود ، لانهم لا يعينون لليهود شيئاً مما ياهدون . . يجب على اسرائيل (وهي لم تكن موجودة بعد !) ان تعرف ان الملاك اليهود لن يرحموا الى ارض الميعاد الا اذا كفى المصل الذين يشتغلون لديهم يهوداً » .

ومن الناحية الأخرى . . بدأ من حوريون يركز جهوده أيضاً على الجبهة الثانية : **جبهة القوة المسلحة .**

بعد سنوات قليلة من وصول بن حوريون الى فلسطين ، وقبيل مشوب الحرب العالمية الأولى ، ركز الصهايون في فلسطين طلتهم من الوالى التركي في السماح لهم بالسلاح . يقول بن حوريون نفسه عن تلك الفترة : « كنا منتظر مجيء الاسلحة ليلاً وبهراً » ، ولم يكن لنا من حديث الا عن الاسلحة . . وعندما حاصتنا الاسلحة لم تسعنا الدنيا من فرط عجزنا . . كنا نلعب بالاسلحة كالاطفال ،

ولم بعد سركها ابدا . كنا نقرأ وملكل ونستكمل والسائق في لينينا
أو على اكتافنا » .

لقد كان بن جوريون ، يرى أن القوة المسلحة ، هي التي
ستخلق الحقائق المادية في فلسطين ، وهي التي ستقرر في النهاية
ليهما الطرف الرابع في الصدام ، اليهود أم العرب . لهذا قام
بن جوريون وقتها بتشكيل فرق حراسة (هاشومير) ، واختار لها
شعارا هو ' (بالدم والنار سقطت اليهودية .. وملغم والفار
سوف تقوم ثانية) ' .

وفي سنة ١٩٢١ تحولت فرق (الهاشومير) إلى جماعة كبيرة
بمسلحة وسرية سميت (الهاجاناه) ، التي وضع بن جوريون أيضا
بصمائه على تفكيرها من البداية . لقد كان بن جوريون يريد من
(الهاجاناه) أن تصبح قوة عسكرية مسلحة ، تستاند المطالب
السياسية للصهيونية في فلسطين . وفي كتاب (بن جوريون يصر
للوراء) يؤكد هو أن الصهيونيين « .. لو لم يمتدوا على القوة
المسلحة ، لما استطاعوا اخراقي أراضي جديدة » .



مرة أخرى : القوة .

مرة أخرى نصصح كلمة (القوة) هي المفتاح السحري لفهم العقل
الإسرائيلي كله ، وبن جوريون تجسيد له . لقد ظلت القوة هي محور
تفكير بن جوريون منذ وصل إلى فلسطين في ١٩٠٦ ، وبعد أصبح
عضوا في المجلس التنفيذي للوكالة اليهودية فلسطين سنة ١٩٣٣ ،
ثم رئيسا له بعد ذلك ، وبعد أن أصبح وزيرا للدفاع في الدولة
الجديدة .. ورئيسا لوزرائها بعد ذلك .

وفي كتاب للمؤلف الصهيوني (ماداف سفيران) يقول بن جوريون -
أنه كل يوم دائما بانه : « يجب علينا أن نتكلم عن السلام كما لو
كنا لن نحارب .. ونتكلم عن الحرب كما لو كنا لا نريد السلام » .

وفي كتاب آخر كتبه عنه المؤلف الأمريكي (روبرت جون) يقول : « أن الكثيرين يرون أن من حوربون رجل انتهازي . وفي الحقيقة .. غلب هذه الصفة تطبق عليه تماما » .

وفي الكتاب ذاته يقول بن حوربون نفسه . « أن الأضياء هم وحدهم الذين يفتشون عن المنطق في التاريخ » ويقول أيضا : « أن سياسة إسرائيل يجب أن تقوم على اعتبارات الأمن وحدها » .

ما هي اعتبارات الأمن الإسرائيلية في نظر بن حوربون ؟

إنها قاعدة بثلاثة الروايات الهجرية .. مساندة دولة كبرى . حدود يسهل التوسع فيها والدفاع عنها .

ولو بدأنا بالصلح الأول في المثلث الإسرائيلي ، من وجهة نظر بن حوربون ، وهو الهجرة ، فسوف نجد أنه يرى أن على إسرائيل أن تعمل بكل الطرق وكل الوسائل على مضاعفة أعداد المهاجرين إليها . أن هذا هو الذي يحسم — في المدى الطويل — مشكلته الأمن وأمنكيات التوسع الإسرائيلية في المنطقة .

وفي هذه النقطة قال بن حوربون في مايو ١٩٦٩ (بعد قيام إسرائيل) : « أننا لم نحقق بعد هدفنا . فمضى حتى الآن لم يحرر من بلادنا سوى جزء واحد فقط . إن علينا أن نجعل الحرب حرفة يهودية » .

بل — أكثر من ذلك — قال بن حوربون في ٢٥ ديسمبر ١٩٦٠ أمام المؤتمر الصهيوني الخامس والعشرين « أن الصهيونية أصبحت لانتحل الاسم واحد .. هو الهجرة إلى أرض صهيون .. أن كيان إسرائيل وكيان الصهيونية المالية يقومان على الهجرة إلى إسرائيل . أن كل يهودي يجب أن يهاجر إلى إسرائيل . أن كل يهودي أقام خارج إسرائيل بعد انشغالها يعتبر مخالفا لقوانين التوراة .. وهذا اليهودي يكرر يوميا باليهودية » !

وفي الكتيبت (البرلمان الإسرائيلي) أعلن بن حوربون مرارا : « أن دولة إسرائيل تعتبر اليهود في جميع أنحاء العالم أمة واحدة .

ويتحتم على الصهيونيين في جميع أنحاء العالم ان تكون لديهم
الشجاعة للوقوف في صف اسرائيل .. حتى ولو كانت حكوماتهم
خند هذه الفكرة . كما ان كل من يعيش خارج اسرائيل يعتبر
بلا رب !

عنى حرمس « بن جوريون » على ريلاده الهجرة الى اسرائيل .
يدهب الى المدي الذي يحكم فيه على كل يهودي بأنه بئنه بلا اله . ما لم
يهاجر الى اسرائيل ، وبلا اله ما لم يخص لاسرائيل . ويهودي
بصف الوخت .. ما لم يهاجر الى اسرائيل . بل ان بن جوريون
يحرص كل يهودي هارج اسرائيل على ان يذهب في احلامه لها الى
المدي الذي يضاف مع احلامه المفترض للدولة التي يحل جسيته
والجنتع الذي يعيش فيه .

ولقد كان خوف اليهود من مظرة الشك والارتياب في ولائهم
.. هو الذي دفع بعضهم الى محاولة الرد على بن جوريون في هذه
الآراء . ومن الدانبارك رد عليه حاخام اليهود مر* في سنة ١٩٦٢
قائلا « اذا اراد الرئيس - بن جوريون - ان يقتضا بأنه لكي
يكون يهودا في كل لحظة من لحظات حياتنا ، فل علينا ان نحيش في
اسرائيل ، لانه بحق لي ان اسأل سؤالي . أولا : هل من الضروري
ان يكون يهودا في كل لحظة من لحظات حياتنا ؟ وثانيا - الا يرى
ان كون الشخص يهوديا وكونه مخلوقا بشريا بمقدار ان القوة
والعسى ؟ الا يستطيع الرد ان يكون يهوديا واسنا الا في صيغة
كبلو مترات تكون الدولة الاسرائيلية ؟ »

ولكن هذا النطق لا يهم بن جوريون .. ان ما يهمه فقط ،
هو ان اسرائيل في حاجة الى ملايين جديدة من اليهود .. لكي تعشد
بهم ما تسميه الصهيونية (ارض اسرائيل الفارحية) ان هذا
الاصطلاح الذي يؤمن به بن جوريون يقصد به الاراضي التي تشمل
فلسطين والاردن وسيناء ومرتفعات سوريا وجوب لسل .

وهذا الطبع التوسعي الاستعماري في الحركة الصهيونية يحظه
المؤلف الأمريكي (آلان تيلور) في كتابه (محفل الى اسرائيل ،
يقول :

« لقد كان من المفروض ، أن الحركة الصهيونية قد حققت هدفها بإقامة دولة إسرائيل ، وهذه فكرة غير صحيحة .. فما زالت الحركة الصهيونية قائمة ومستمرة ، وسوف تظل مستمرة لأنها تعتبر أن أمامها واجبا مزدوجا تريد أن تحققه .. فأولا هي تريد تصنيع كل يهود العالم ، وهي تعتبرهم جميعا منسحقين بقبولهم في المنفى ، وإلى أن يحضر املية يهود العالم إلى إسرائيل ويرضي كل منهم بأن يصبح مواطنا إسرائيليا ، ستظل الصهيونية تعتز بأنها لم تحقق كل هدفها . وثانيا - أن الصهيونية ترى أن واجبها الثاني هو بناء الدولة اليهودية إلى حدود أراضي إسرائيل Eretz Israel ولا يرجع هذا مجرد أسباب رومانتيكية ، بل لأن هذا اعتبار هام وضروري لإمداد إسرائيل بالقوة الاقتصادية اللازمة ، وبالمساحة الجغرافية اللازمة لتوطيد اليهود المهاجرين إليها » .

ويستطرد الآن ميلور في كتابه نقلا : « أن هذه المطامع الإقليميه ليست جديدة على الحركة الصهيونية . فالمفكرة الأصلية التي قمتها المنظمة الصهيونية إلى مؤتمر السلام بباريس سنة ١٩١٩ كانت تطالب بأن يستند وعد بلفور ليشمل مناطق تطبيقه شرق الأردن وجبال جولان بسوريا ولسان الجنوبية وسيناء » .

وفي السنوات التالية السابقة لم تعد المطامع الصهيونية تكشف علنا من هذه الأهداف التوسعية الإقليمية .. ولكنها بالرغم من ذلك تكشف عنها أحيانا . كما حدث في الكتاب السعوى لإسرائيل سنة ١٩٥٥ ، وفي تمريرت بن جوريون .

وربما ، بسبب هذه النقطة بالذات ، أعلن بن جوريون ، استدع نظرية جديدة طمعتها منذ اليوم الأول لقيام إسرائيل في سنة ١٩٤٨ ، أنها نظرية يمكن أن نسميها « نظرية الحدود المفتوحة » أن بن جوريون كان يرى أن إسرائيل تحتاج - ولابد من أن تتوسع في حدودها بمرحلة بعد مرحلة . أنه كان يرى أيضا أن القوة هي التي سمحت حدود الدولة التي مثلت السيلة في تحييدها .

وفي كتابه « النسي المسلح » الذي أصدره الكاتب الإسرائيلي « ميشيل بارزوهار » من بن جوريون ، يفكر المؤلف خلافا وقع بين

القادة الصهيونيين قبل حرب ١٩٤٨ حول الحدود التي يمكن إعلانها رسمياً للدولة الجديدة . ومع حبل عتيق بين المجتمعين قال بن جوريون : « لا أروم لتعيين الحدود » أن بن جوريون لا يريد أن يتخذ نفسه بحدود مملكة للدولة الجديدة ، وهو لا يريد أن يتخذ حركته في المستقبل . . حركته لخلق حقائق مادية يؤدي الرمن الى تحويلها الى امر واقع .

ان الايمان بالامر الواقع هو امر يسود تفكير بن جوريون كله منذ بدايته المبكرة في فلسطين . ملو رحى الى سنة ١٩١٧ سوب بعد أن قيام بريطانيا وقتها باصدار وعد بلفور ، اشاع جوا من التفاؤل الشديد بين الصهيونيين ، ومع أن بن جوريون اشترك مع الجميع وقتها في ذلك . . الا انه كتب يقول : « ان وعد بلفور هدف عصبة الأمم من الانتداب سيبقى تصالعات ورق اذا نحن لم نستطع جلب اليهود الى فلسطين ، وتجهز الأرض للتوطن على نطاق واسع . . ان الهجرة والتوطن سيعطيان حيا الحقائق التي ستعطي الاستقلال » . ثم كتب ينسائل ايضا : « ايها فكر اقناعا . . أن نقول ان الأرض أعطيت لليهود الذين سيأتون بموجب وعد بلفور ، أم لليهود الموجودين فيها فعلا ؟ » .

وحال حرب ١٩٤٨ ، كانت وجهة نظر العسكريين هي تركيز القوات اليهودية في مساحة قليلة حتى يمكن الدفاع عنها . . ولكن بن جوريون كلى أبعد نظرا منهم ، عندما تمكن في حدود الدولة الجديدة التي ستتمخض عنها الحرب . لقد رفض أحلام المستعمرات اليهودية المثالية . وقال أن كل شبر حصلوا عليه يجب أن يتقوا فيه ، بل وبالعكس ، من المصلحة أن تنتشر هذه المستعمرات في أماكن بعيدة ومتفرقة ، حتى يصبح ممكنا الادعاء بأنها مناطق يهودية . أن وجود مستعمرتين أو ثلاث مثلا في صحراء النقب كلها . . سيجعل ممكنا الادعاء بأن صحراء النقب يهودية . أن ما يهم بن جوريون هو أثبات وجود ، أو اثبات حالة وجود صهيوني في منطقة ، لكي تصبح هذه المنطقة بأسرها بعد ذلك جزءا من حدود الدولة الجديدة .

وإذا كنا قد تناولنا حتى الآن عنصر الهجرة ، والحدود المفتوحة ، في تفكير بن جوريون . . فلن العصر الثالث المتأخر في

قاعدة المثلث هو أهمية التحالف مع دولة كبرى . فعقب انتهاء الحرب العالمية الثانية ووصول حرب البغال البريطانية إلى الحكم سافر بن جوريون إلى لندن لأجراء مباحثات غير رسمية مع الوزير البريطاني بيبي . وفي كتاب (بن جوريون إسرائيل) يكشف بن جوريون للمؤلف عن سر جديد يتعلق في . . أنه مرص على بيبي إنشاء قواعد بريطانية في صحراء النقب تكون بنحالا من القاعدة البريطانية في قباء السويس ، وفي محال الاعراء . . ذكر بن جوريون أن هناك احتمالا لوجود البترول في صحراء النقب ، وأن بريطانيا ستكسب كثيرا لو وافقت على الحصول على قاعدته عسكريه ، وكذلك التخليب عن البترول . . مقابل (وهذا هو الثمن) أن تساعد بريطانيا في زيادة الهجرة اليهودية إلى فلسطين والتحالف مع الدولة اليهودية الجديدة

لقد كان بن جوريون يحرى تلك المفاوضات - غير الرسمية - مع بريطانيا كما لو كانت إسرائيل قد قامت بالفعل ، مع أن تلك المفاوضات حرت قبل قيام الدولة بمسمى كيانين .

وعندما انتقل إلى كتاب آخر عن بن جوريون ، هو « المين المصيح » بعد أنه لعصر سبيلته في ثلاث موط هي . « الرد بقوه على العرب ، والحصول على سلاح ، ثم التحالف مع قوى عربية لحفظ سلامة إسرائيل » لقد تمرب لصلاع المثلث هذا ، احتوى عامل الهجرة وتراجع عامل الحدود المصنوعة ، ولكن عامل التحالف مع قوة عربية ظل سائدا في مجلسه بن جوريون .

انه لأمر طبيعي . أن تصبح النشطة هذه الأهمية في مال بن جوريون ومن ورائه إسرائيل كلها ، من البداية . لهذه الطريقة تستطيع إسرائيل أن تمتد وتوسع تحت مظلة القوة العربية تحقق لها حردا من مصالحتها ، وفي الوقت نفسه تحقق هي - إسرائيل - جردا من أهدائها .

لقد شرع إسرائيل في سنة ١٩٥٢ ببولدر تحصن في العلاقات بين مصر وأمريكا ، فحبرت عملية واسعة النطاق للتخص والحرش ضد المنشآت الأمريكية في مصر للتقاء على هذه البوادر

مقدما ، وعندما اكتشف البوليس المصري العملية كلها — في اللحظة الأخيرة — تسبب ذلك في نصيحة دأخل إسرائيل عرفت فيها بعد باسم (نصيحة لاكون) .

وعندما فشل التجسس والتجريب .. علا بن جوريون الى الحكم لكي يلحا الى لعتة القديمة ' تقديم قواعد عسكريه لأمريكا اسرائيل مقابل ضمان أمريكي للحدود ، وعندما لم تجد أمريكا الوقت مناسباً لقمول هذا المرض ، بدأ بن جوريون يمتل مقارنته الى قوة مربية أخرى .. كتلت لها أهدافها الخاصة في المنطقة ، وهي مربية ، وبعد أن ضمن بن جوريون تحالف فرنسا ثم بريطانيا معه .. بدأ العدوان الثلاثي المشهور في أكتوبر ١٩٥٦ . لقد دخل بن جوريون مغامرة ١٩٥٦ وهو يريد لها « .. أكثر من غارة .. » وأتل بن حرب « حسب نصبره لحي موليه رئيس وزراء فرنسا — في ذلك الحين — ولكنه خرج منها بمصعب الأسد لاسرائيل .

ولقد تكررت الأهداف — بشكل ممتطور — في حرب ١٩٦٧ حرب خرج بعدها بن جوريون من عزلته في مستمرة « مسدي بوكر » بالتب ، لكي يطلق بعد لسوع من وقف إطلاق النار ، بهدف إسرائيلي جديد : إنشاء دولة عربية ذات استقلال ذاتي في الضفة العربية تربط بمعاهدة انفصالية مع إسرائيل ، وتلك — في رأيه — هي مقدمة لعقد المصلح مع الأردن .

ووقتها .. لم يكن بن جوريون يعلم أن الملك حسين — ملك الأردن — سيطلب بالثبء نفسه بعدها بمس مسوات !

المحاربون من الباطن

في اعتلاء حرب يوميو سنة ١٩٦٧ أعلن موشى دايان وزير الدفاع الاسرائيلي . « يستطيع الزعماء العرب أن يتجاهلوا دعوى اسرائيل للساوصات المباشرة .. ولكن ، حينئذ ، سوف تكون هناك حريضة جديدة - ليس فقط للشرق الأوسط - بل لاسرائيل .. ان العرب يعمدون رقم تلبوسنا ، وهم يستطيعون العثور علينا حينما يريدون ذلك » .

وفي هذه السطور القليلة نستطيع أن نتكشف ملامح التفكير العسكري الاسرائيلي المعاصر ، وموشى دايان سوجد مثالي له .
تفكير يعتمد على :

● ان القوة نشيء الحق .. وتحميه .

● ان عامل الزمن هو مع اسرائيل .. وحسد العرب .

● ان الموقف الاسرائيلي المثالي بعد ١٩٦٧ هو ، الانتظار . لقد أصبح العرب هم الآن - وليس اسرائيل - الجانب الذي له مشكلة يسعى لحلها .

ولقد ظل العرب سموات طويلة - وربما قسروا طويلة - ينصرون ان الحق هو القوة .. وان الزمن لصالحهم .. وان الانتظار حلينهم .. والانهيار التلقائي هو مصر عدوهم . الآن .. أصبح على العرب أن يرمخواهم - جماعة التظيمون .. وأصبحت اسرائيل هي التي مستقر . هل يرد من الجانب الآخر .. أم لا ؟

وحيثما مر الوقت دون أن يستسلم العرب لهذا المنطق ، حينما لم يبق النايقون في الجانب الاسرائيلي ، خرج « دايان » بتصريح جديد يقول فيه - « ان علينا أن نشترى - مريداً من - الاسلحة ، وعلينا أن نصنع نحن الاسلحة ، وعلينا أن مجهز المطارات ونحمل جيشنا أكثر قوة » .

لقد كانت القوة هي الكلمة السحرية بالنسبة لشخصية « م. جورويون » ، وما زالت هي نفسها المفاتيح السحرية لنهم شخصية « دايل » . في الواقع أن الاثنين يفتيان إلى نفس المدرسة في التفكير . والملاقة بين « م. جورويون » و « موشى دايل » ليست مجرد علاقة بين جيل وجيل ، أو بين سياسي وعسكري .. وإنما هي أسس علاقة بين لستاد وتلميذ . علاقة لا يمكن تصور طرف فيها دون تصور الآخر . ولم يكن يقدر لأي منهما أن ينجح دون وجود الآخر ..



لقد قرأنا منذ سنوات طويلة التصريح المشهور لبني جورويون « أن المهمة الرئيسية لوزارة الخارجية الإسرائيلية .. هي تدوير أعمال وزارة الدفاع الإسرائيلية .. » .

وقبل حرب ١٩٦٧ بسّث سموات قرأنا للجنرال ايجال ألون : « بالنسبة لنا في إسرائيل .. من الأفضل — في حالة الضرورة — أن نقوم بعمل مضاد في الوقت المناسب ثم ندأ .. عن أن ننظر إلى أن يهاجمنا الغرب ، ثم نحصل على مطلق العالم » .

وبعد حرب ١٩٦٧ بسّث واحدة قرأنا لاسحاق رابين — الذي كان رئيساً لأركان حرب الجيش الإسرائيلي أبداً الحرب — تصريحه : « أن لجيش إسرائيل المقدرة والدافع لكي يضرب من سجن إلى مائة مليون عربي » .

إن هذه التصريحات ، وهذه الشخصيات ، تنتمي إلى مدرسة واحدة في التفكير ومنظمة واحدة في التطبيق ، تعبد عليها إسرائيل . المدرسة هي « م. جورويون » والمنظمة هي المؤسسة العسكرية الإسرائيلية .

وحببنا نصل إلى هذه النقطة ، غل المرح الدين خرجهم المؤسسة العسكرية الإسرائيلية ، والمرح الدين اتّخذتهم « مدرسة » بن جورويون هم : ايجال ألون ، وموشى دكيل واسحاق رابين .

ولان موسى دايلن ما زال يولى مسئوليه عسكريه شفيليه ، فلي
دراسة شخصيته سوف نظل بالنسبة لنا مفتلحا هليا ، لدراسة
التفكير العسكري الاسرائيلى : تكوينا وبرنامجا وفلسوبا فى العمل .



ان « موسى دايلن » ينسب الى « الصابرا » وهو الاسم المبررى
لليهود المولودين فى فلسطين .

لقد ولد فى (مايو سنة ١٩١٥) من فويين هاجرا من روسيا
القيصرية ضمن موجة الهجرة الثانية . هجرة « يتيم » استعابها باحترام
حامس داخل المحتسب الاسرائيلى ، لانهم هم الذين اقاموا المؤسسات
الرئيسية الاولى التى اعتمد عليها تطوير المحتسب اليهودى فى
فلسطين قبل قيام اسرائيل . وقد ولد « موسى دايلن » نفسه فى
مستعمرة « داجانيا » وهى اول « كيبوتز » اقلته الحركة
الصهيونية فى فلسطين .

وفى دراسة شخصية موسى دايلن بان هناك واقعين بالذات
تلفتل النظر من البدايه :

● الواقعة الاولى كانت ترويهما والدته — والدته دايلن —
لنقول ' . . . لقد حدثت الحكايه كلها بعد سموات طويلة حينما
كان عمر موسى ما يرال تسعه أشهر . لقد اصبح صباة مريضا
جدا ، وفى حاجة ملحه للعلاج الطبي . ولكن ، فى تلك الايام
(١٩١٦) حيث كانت فلسطين تحت حكم الامراك . . . فان عدد
الاطباء كان محدودا جدا . . . وكلى اقرب طبيب يقيم فى (سارونا)
. . . وهى مستعمرة يهودية قرب مدينة يلقا ، آنسى حصلت موسى
دايلن فى رحلة طويلة تطعتها فى مرة يحرها حصل . . . من داجانيا
الى ياقا . . . وهى بمسافة تصل الى تسعين ميلا . . . وأثناء الرحلة ،
اصبح موسى مريضا جدا ، ويكلى مصفاة مستمرة . وعندما شافعت
فى الطريق مريلا مسجرا لزررق اللوز فوق احد الفللان . . . أوقفت
العربة ممتا عن انبلى يساعدى . لاحظتها حاء صاحب المنزل ،
وهو فلاح عربى كللى يحرص قطيعا من الماعز ، ليرى ما هى مشكلة

الطفل . وعلى المور اختار واحدة من الماعز . واسقطها في التو
والنحلة ... وأعطى اللبن للطفل (موسى) لكي يشربه . وخلال
لحظات توقفت موسى تبكيا عن البكاء .. بينما ذهب للفلاح العربي
الى منزله في أعلى التل .. ثم عاد حاملا معه رجلا ملبئة بلين
الماعز . ولولها لي متبيا للطفل المسحة .. » .

● أما الواقعة الثانية لمروها الصحنى الاسرائيلى « بقنالى لاو
— ليفى » المراسل السيلفى لجريدة « هآرتس » الاسرائيلىه فس
دراسته لحياة « موسى دايل » .

يقول الصحنى الاسرائيلى : « لم يكن موسى دايل قد بلغ الثالثة
عشرة من عمره بعد ، حينما حصل على اول مذاق للصراع من اجل
البيتاء .. لقد خرج مع رفيقه من المصبيه اليهود موق الاحصه ، و
جولة عبر الطول خارج مستعمرة (نعلال) . وعندما اصبحوا
على مسافة بعيدة من المنزل ، شاهد المصية قطيعا من الماشية
العربية يرعى في حراسة اربعه من الشبل العرب . ان موسى لم
يسرد لحظة . لقد ضرب حصاته بالوط ، وجرى به شاقا طريقه
وسط القطيع . يفرق الماشية وكل الاحصاهب . ان الشبل العرب
الاربعة احذتهم المفاجأة . وسرعان ما اشمطت عيونهم بالعصب .
وعندما قام موسى بالانقضاض مره اخرى وسط القطيع ، اقر عليه
اهد الشبل العرب وسحه من فوق حصته الى الأرض وامال
عليه بالضرب الصيف . وفي نفس الوقت ، اسرع المصية الى القرية
طالبين النجدة . ومع هودتهم كل موسى معطى بالدماء . بينما قال
هو لهم ' في المرة القادمة عليا ان تحضر عصيا بدلا من الكراييج » .



ان في هاتين الواقعتين ملامدات ، نوجد عناصر المشكلة العربية
الاسرائيلية كلها . واذا تركنا الرموز الى الواقع . فلنا سوف
نجد أن هذه الميول العدوانية المكورة في شخصية « دايل » لم تكن
تقتصر على العرب فقط ، وانما كانت تمتد الى رفاق يهود مثله .

غنى فترة شبابه التحق « موسى دايلان » بمدرسة للزراعة العليا
في « محالال » ، وهي مدرسة لتأهيتها الوكالة اليهودية ، وكانت
ترتادها الفتيات في الملعب .

وهما يحكى « لاو - لينى » مؤرخ حياته انه « من وقت لآخر كان
موسى دايلان يمارس بعض الألعاب ، مثل تلك المرة التى أحضر فيها
لعبان من الحقل وأطلقه في فصله الدراسي المرحم بالفتيات .
ولحظتها لم تملك كل فتاة إلا أن تهرى وتصرخ ضوفا على
حياتها ! » .



بهذه الشخصية ، وهذه البول المكرة ، انضم موسى دايلان إلى
المنظمة العسكرية السرية « الهاجانا » التى أتتھا المنظمة
الصهيونية في فلسطين منذ سنة ١٩٢٠ - حيث تم تدريبه على
الأميل القتائبة التى كانت المنظمة تقوم بها ضد السكان العرب .

وفي سنة ١٩٢٨ شكلت وحدات عسكرية انجليزية يهودية
مشتركة باسم « الفرق الليلية الخاصة » أو « فدائي منتصف الليل »
بقيادة الكابتن الإنجليزي « أورد ويجت » وهي التى بدأت أعمالها
في يونيو من تلك السنة تحت ستار « حياطة خط لتأليب التبول »
المند من المراق إلى حيفا من المتسللين العرب . لقد احتازرت
« الهاجانا » مائة من رجالها المتخصص لكن يسموا بالفرق الجديدة .
وتولى « ويجت » تدريبهم ، للاستفادة بهم كضباط عسكريين في
المستقبل . ومن هؤلاء المائة برز كثيرون من الذين لعبوا فيما بعد
أدوارا رئيسية في العمل الصهيوني ، ومن هؤلاء : أيجال ألون
وموشى ديلان

ولقد افتتح « ويجت » الدورة التدريبية الأولى لتلك الفرق
مقوله « لقد وضح أن أفراد هذه الفرق الليلية الخاصة من اليهود
يجب أن يطوروا إلى أنفسهم باعتبارهم الكادر الذى سوف تقوم من
خلاله القوات العسكرية الإسرائيلية في الوقت المناسب » .

ومع بداية الحرب العالمية الثانية ، مدلت بريطانيا — وهي الدولة المنتدبة في فلسطين — في الإحسان بحظيرة تلبيدها المكشوف للصهيونية في فلسطين ، وبحاجتها موق ذلك إلى تحالف العرب معها في صراعها المقبل ضد ألمانيا . وبناء على ذلك تغيرت سياسة سلطات الاحتلال البريطاني في فلسطين ، وأصدرت بريطانيا « الكتب الأبيض » الذي وصفه بن جوريون بأنه « وثيقة مشيئة سيئة السمعة » .

ولقد انعكس هذا التغيير على علاقة السلطات البريطانية بمطلة « الهاجانا » . أن وجود « الهاجانا » كقوة عسكرية منظمة توجهها الوكالة اليهودية .. بدأ يصبح عيلا مرعيا للبريطانيين . وعندما بدأ الإنجليز في متابعة حركات وحدات « الهاجانا » اكتشفوا موقعا تقوم فيه « الهاجانا » بتدريب الضباط ، فلماحوا الموقع في سبتمبر سنة ١٩٣٩ . وتمكنوا من أسر ٤٢ محصوا مسلحا من بينهم موشى دايان .. الذي حكم عليه بالسجن خمس سنوات .

ولكن المنظمة الصهيونية لم تسكت على هذا التطور الجديد .

لقد كانت الحرب العالمية الأولى فرصتها في الضغط والمساومة ، مهرجت بها موعد بلفور ، و « الميثاق اليهودي » . والآن جاءت الحرب العالمية الثانية لتقدم فرصة ذهبية جديدة للضغط والمساومة ، ولا يهب أنتمس الحرب مصر سيد ثمن جديد ، أو يتميم « بن جوريون » في اجتماعه بقيادة « الهاجانا » بعد شتوب الحرب بحصة أيام . « لقد تمحضت الحرب العالمية الأولى من موعد بلفور . أما الحرب العالمية الثانية ، فلما د أن تنهى بالدولة اليهودية » ..

وقد عبر « أيجال الور » غيبا معد عن الموقف الجديد بقوله : كانت المشكلة الرئيسية هي البحث عن وسيلة محمل البريطانيين بقبولها كخطاء لهم ويرضون عن اشتراكها في القتل الفعلي الدائر ضد الألمان والاطالين .. على ألا يتخذ موقفا يكسر في لندن على أنه شول لما جاء في الكتاب الأبيض » .

هكذا ذهب المسؤولون في الوكالة اليهودية بفلسطين يعرضون
 حقيقتهم على البريطانيين : اسم تحاربون قوات المحور .. ونحن
 مستعدون للاشتراك في هذه الحرب « من الجانب » .. ثم .. بتعبير
 معلق يهودي « .. كل من الواسع أن كلا من المخابرات العسكرية
 والبريطانية في حالة اهتمام بالحصول على مساعدة اليهود في
 عملياتهم ضد قوات جيش الفرسية . أن البريطانيين أوضحوا
 (لمثل الوكالة اليهودية .) أن ما يريدونه هو عملية سريعة وظيفية ،
 مع الحد الأدنى من أرائه الفناء في كلا الجانبين . لقد وافقوا
 (البريطانيون) على طلب الجنرال شارل ديغول قائد قوات فرنسا
 الحرة على الصل من أجل استسلام قوات فيشي في شرقي البحر
 الأبيض . وتحقيقا لهذا الغرض منهم وغموا الخطط من أجل فزو
 كلا من سوريا ولبنان . أن البريطانيين كانوا يأملون — بمساعدة
 يهود فلسطين — أن يجدوا أسهل الوسائل للدخول الي مناطق
 العدو ، لكي يقوموا بتدمير المنشآت العسكرية الفرنسية في كلا
 البلدين .. وريادة على ذلك لقد أوكلت مهمة أخرى لفرق الكومنتور
 اليهودية .. هي حيازة الطرق والكبارى لتتحالف الفرنسيين من
 تدميرها قبل الانتصاب في مواجهة القوات البريطانية المعارية .
 وهكذا تم الإفراج من ٤٢ رجلا أسرا بعد ١٦ شهرا من دخول
 السجن ، ومن بينهم موسى دابيل » .

لقد خرج ضباط « الهاجانا » الاسري ليقوموا بأول عملية
 لحساب البريطانيين ضمن سلسلة فالية من العمليات — وهي
 التجهيز والاستطلاع داخل الحدود السورية . وفي إحدى تلك
 العمليات فقد موسى دابيل فيه اليسرى .

وبالنسبة لهذه المرحلة عبوما ، فإن المكتب الاسرائيلي .
 « ميشيل بارروهار » يتفق مع « لارتيمى » حول هذه النقطة التي
 لايعارضه فيها أحد : أن الصلح البريطاني « أورد ويصت » هو
 الذي علم جسود الهاجانا القتال .. دون أن يحصرهم في الاطارات
 الصلحة للحيوث التنظيمية . ونحت ضباط تدريب البوليس المساعد
 أنشأ لمرق منتصف الليل ، وهي أولى التشكيلات اليهودية الحرة

على الملوك الليلية ، والتي ستصبح فيما بعد أحد مبادئ
استراتيجية الجيش الإسرائيلي .



وبانتهاء الحرب العالمية الثانية كل الصهيونيون في فلسطين قد
حققوا مكاسب عسكرية كبيرة من عملهم المشترك مع البريطانيين
ولحسابهم ، من هذه المكاسب مثلا :

● تدريب ثلاثين ألف يهودي ، تطوعوا باعتبارهم جنودا في
الجيش البريطاني مع الحلفاء .. وقد تم تدريبهم في أسلحة المشاة
والخمسة والمئتين وحدة الجيش فضلا عن البحرية والطيران ..

● تشكيل لرق « البالماع » - وهي كلمة معناها جنود
الصاعقة - وقد تقرر تشكيلها في ١٨ مايو سنة ١٩٤١ كقوة
عسكرية يهودية دائمة المقيمة بدمها ويمولها البريطانيون . وقد
بلغ عدد أفرادها ٢٥٠٠ .

● الحصول على كميات ضخمة من الأسلحة وشبكات
اللاسلكي ..

وبتعمير « ميشيل تروشان » في مثال له من الجيش الإسرائيلي
« ان العرب العالمية الثانية اناحت لليهود لن يتعلموا علما استخدام
الاسلحة . وقد حارب ثلاثين ألفا من بينهم رجال وساء -
الى جانب الحلفاء ، على جميع جهات الشرق الأوسط في ليبيا
واليومالي وتونس ومغليه . وادا كانت حرب سنة ١٩١٤ قد انتجت
الميلق اليهودي .. وبفحة لذلك الهاجعا .. من الحرب العالمية
الثانية قد انت الى تطور اكثر اهمية في فلسطين » .

ان هذه التطورات هي التي تلاحت بعد ذلك في سنوات ١٩٤٦-
١٩٤٨ ، في صراع عسكري وسياسي حاصره الحركة الصهيونية
دخل فلسطين وخارجها . صراع انتهى بنشوب الحرب العربية
الاسرائيلية الاولى ، وقيام اسرائيل على النحو المعروف تاريخيا .

وفي أعقاب حرب ١٩٤٨ بدأ بن جوريون في نصفية رعايات
• البالماح • نظرا لملوانها للسياسة له ، وبهنا توحيد القوات
المسكينة لكي تصنع هي الجيش النظامي للدولة الجديدة التي قامت
بمد ١٥ مايو . وقد أدى ذلك الى استقلاله كبلر ضباط البالماح من
الجيش ، ومن بينهم قائد البالماح ' ايجال ألون ' .

وعلى الفور بدأ بن جوريون . يبحث عن بناء جديدة لهيئة لركان
حرب الجيش الحديد ، على أساس • . . ان ما كل يريد هو
قيادات مقصورة من كلا من تأثير البالماح وتقاليد الجيش البريطاني • .

وسرعان ما وضع بن جوريون عينه على موسى دايان واختاره
لكي يحل • ايجال ألون • في قيادة المنطقة الجنوبية لكي يظل في
هذا المنصب حتى سنة ١٩٥١ . .

بهذه المرحلة يكون قد دخلنا في دراسة للتفكير العسكري الذي
سيؤثر في أعمال وتصرفات الجيش الاسرائيلي النظامي الجديد .

ان • ايجال ياديس • - ثاني رئيس لاركان الحرب - هو الذي
وضع البناء التنظيمي للجيش الجديد ، وهو البناء الذي مازال
مستهدرا حتى اليوم . وهذا التنظيم يعتمد اساسا على .

• ان الجيش هو اساسا جيش من قوات الاحتياطي .

• ان الجزء النظامي من الجيش يعتمد على الضباط اساسا ،
وهم نواة صغيرة محترمة .

• ان نجاح هذا التنظيم يعتمد تناسلا على كفاءة نظام التمتنة
الذي يقتضاه لتحويل قوات الاحتياطي الى قوات حاملة في اتصر
وقت ممكن . .



ولقد بدأ • دايان • بصيغ مسئولاً رئيسياً عن تطبيق هذا البناء
التنظيمي مع قمره في المنصب العليا بالحيش منذ سنة ١٩٥١ ،

حيث أصبح قائدا للمنطقة الجنوبية .. ثم المنطقة الشمالية .
ثم رئيسا للعمليات .. الى أن أصبح رئيسا لهيئة أركان الحرب
عملا في ديسمبر سنة ١٩٥٢ .

وفي خلال هذه الفترة وصل دايان الى نتيجة أساسية هي : ان
النقطة الحاسمة لمشاكل الأمن الاسرائيلي كانت : وسوف تظل
دائما ، هي حدودها مع مصر .

من هنا بدأ « دايان » يعطي أولوية للجهة مع مصر . كما بدأ
في نفس الوقت في تطبيق إنكاره الحاسم متطوّر الجيش الاسرائيلي .
لكنه تفتتد على الأسس المثالية :

أولا : تحرير سياسة الدفاع الثالث . بحيث يصبح الجيش قادرا
على توجيه الضربات العسكرية عبر الحدود

ثانيا : تشكيل قوريات هربية متحركة .

ثالثا : تشكيل فرق خاصة على فرار « لدائمي منتصف الليل » ..
تقوم بالأعمال القتالية الخاصة ، بالإضافة الى تأثيرها في رفع
الحالة المعنوية والثقلية التي بدأت تنخفض في قوات الجيش منذ
انتهاء حرب ١٩٤٨ ..

وكان « دايان » يزداد الحاحا على تنفيذ طلبه الأخير بالذات ،
بعد أن أثبتت التطورات القتالية أهمية وجود فرق الكوماندور
هذه .

من هذه التطورات مثلا ، انه تقرر في يناير سنة ١٩٥٢ القيام
بعارة انتقامية اسرائيلية ضد قرية « فلما » العربية ، وهي قرية
صغيرة تقع بين قليلية وطولكرم في الحدود الأردنية . وعندما
مدّت هذه العارة في ليلة ٢٣ يناير كل « دايان » يرافقها كرئيس
للعمليات في الجيش الاسرائيلي .. لأن لقوات الاسرائيلية المهاجمة
كانت تتكون من وحدات ضخمة من حدود المظلات — التي تم
تشكيلها حديثا . بينما قوة الحراسة العربية في القرية لا تزيد من
عشرة رجال مسلحين بالبنادق ..

ويقول الصحفي الإسرائيلي « لاو - ليفي » .. « عن تلك الليلة »
« ان موسى دايان أصيب بالدهشة البالغة من هزيمة وحدات المظلات
الإسرائيلية أمام عشرة رجال .. وقد ظل هذا الحادث يلزمه
لبيا بعد كالكلبوس .. وبمدها بسنوات كان موسى دايان يشير
إلى ذلك الحادث باعتباره نقطة التحول في صنع قوة رادعة
إسرائيلية .. » .

وبالفعل .. بدأ موسى دايان بتنفيذ مخطته ، في تشكيل
قوة فدائية ضاربة تصبح محل حسد باقي قوات الجيش .. وتخلق
روحا تنافسية في كل الوحدات الأخرى .. وقد سميت هذه الوحدة
« الأورطة ١٠١ » ، وأعطيت ألوارا رئيسية لها بعد في حرب ١٩٤٦
و ١٩٦٧ .



في أواخر سنة ١٩٥٣ قرر بن جوريون ان يعزل منصبه كرئيس
للوزراء ووزير للدفاع ولكنه قرر ان يبعد قبل اعتزاله هطوتين
رئيسيين ..

أولا : وضع برنامج مدته ثلاث سنوات لخلق قوة عسكرية
إسرائيلية رادعة ..

ثانيا . الاعتماد على ثلاثة من تلامذته في تشكيل فريق لتنفيذ هذه
المهمة : بهنسي لانون في منصب وزير الدفاع ، موسى دايان في
منصب رئيس أركان الحرب ، شمعون بيرس في منصب مدير عام
وزارة الدفاع ..

وكان البرنامج العسكري الذي قرره بن جوريون ووافق عليه
مجلس الوزراء في ١٨ أكتوبر سنة ١٩٥٣ مبنيا على افتراض ان
هناك عدداً عسكرياً لابد ان يقع بين إسرائيل ومصر في المستقبل
القريب ، وأن « مصر ان تصبح لها خطورة عسكرية مثل سنة
١٩٥٦ » .

وبناء على هذا التصور المنكر ، وضع بن جوريون برنامج السنوات الثلاث .. متضمنا 18 نقطة ، أهمها -

- ١ - إنشاء قوة اسرائيلية عسكرية رادعة .
- ٢ - البحث من حليف محتمل بيد اسرائيل باحتياجاتها من الاسلحة والمعدات العسكرية .
- ٣ - تقوية التحالف القتالي للجيش الاسرائيلي على حساب « النيل » الاداري .
- ٤ - التركيز في بناء القوة الهجومية الضاربة على اسلحة الطيران والمدرعات وقوات الكوماندوز .
- ٥ - خلق الظروف المناسبة اللازمة لجعل تعبئة الاحتياطى اكثر سرعة وكفاءة .

٦ - نقل مسئولية الامداد والتمويل الى الاقسام المدنية في وزارة الدفاع .. بحيث يتسرع الجيش للتركيز على المهام العسكرية البحتة ..

٧ - تنمية « الجانب » وهي منظمة الشجب المستولة عن تدريبه عسكريا قبل فترة التجنيد الاجبارى ..

٨ - الاستفادة القصوى من لية غرسة تشا من الصدام المباشر مع الدول العربية .

٩ - اقامة حرس مسلح مع اسرائيل والدول المائتة في المدينتا وآسيا .. والاعتماد في ذلك على وسائل المساعدة الفنية والتدريبية

وعلى الفور بدأ تنفيذ البرنامج الحديد بمجرد تقاعد بن جوريون .. ولم يؤثر في التنفيذ صدام محلس لافون قريبا بعد مع المؤسسة العسكرية بسبب المشكلة التي سميت (مسائل لافون) وليس هذا محال تصليها ..

المهم .. ان « شمعون بيرسي » بدأ سلسلة رحلات الى اوربا وامريكا .. بحثا عن « الحليف المخلص » عسكريا . وقد استطاع « بيرسي » ان يقيم في تلك الفترة علاقات مثبته مع رجل الاعمال اليهودي الفرنسي « مارسيل داسو » رئيس واحدة من اكبر مؤسسات صناعة الطائرات الفرنسية .. وقد قام هذا بدوره بترتيب اجتماعات له مع نائب رئيس الوزراء والمسؤولين الفرنسيين، حيث بدلت علاقة حاصه سوب تلعب دورا حاسما في السنوات التالية .

اما بالنسبة لوثنى دايل فقد بدا هو الآخر يتأخذ نصيبه من برياج السنوات الثلاث .

ولقد كان مفتاح البرياج كله بالنسبة لدايلن — هو الاهتمام بفرعين بالذات من مخطط الجيش .

اولا . المحطات الحربية . وقد اصرر لرئيسها الكولونيل بنامى جيللى .

ثانيا . التدريب . وقد اصبح المسئول عنه هو الكولونيل اسحاق راينى الذى اصبح نيبا بعد رئيسا لأركان الحرب .

وقد كان هذا التدريب من « دايلن » مطلقا ومنشيا مع طبيعة أى تنظيم عسكري . فبمير معلومات دقيقة عن تنظيمات وبهركات الخصم .. أصبح أية اعمال عسكرية شيئا لا معنى له .. وبغير تدريب مستمر تصبح ليه اضافته لمعدات الجيش ولقراده هي مجرد « ورم » يضر بأكثر مما يفيد .

ونستطيع ان ندرك أهمية هذه المتطلبات بالذات حينما تعلم ان كل القتلاء العسكريين يضربون أى تمثله عسكريه في مصرنا هذا أصبحت تنوقت الى درجة كبيره على مدى تعليم وتدريب أفرادها . وحتى ان ميدان القتال الفعلي ، فار الجدى الجاهل ريبا يضارب بصلابة واصرار من موقع تقامى ثلث . ليا الحرب النهوضية — وهى الشئ الذى كانت مستخدم له اسرائيل في تلك المرة — فأنها تحتاج الى حدى متعلم ومدرب وتقدر على اتخاذ المبادء في حالة الضرورة .

وبالإضافة إلى ذلك بدأ « دايلن » يصرع في أخطاء الضباط من
لغة مهام إدارية وقرر أن على كل ضابط أن يحصل على دورة
تدريبية في الوبوط بالمظلات أو الأعمال اللندائية ، وأنشاء « كلية
القيادة والأركان » للضباط ابتداء من رتبة رائد .

لقد كلى اهتمام دايلن بتدريب الضباط أمرا له أولوية كبيرة .
وقد كلى من أهم أهداف زيارته لأمريكا وفرنسا سنة ١٩٥٤ هو
أن يبدل وسائل التدريب الحديثة هناك ، خصوصا أساليب القتال
الجوى . .



في سنة ١٩٥٥ عاد بن جوريون إلى رئاسة الوزراء بعد ثلاثين
الخلافا داخل حزب اليماني ودخل مجلس الوزراء بسبب الصدام
بين وزير الدفاع وبين المؤسسة العسكرية التي يمثلها دايلن
وبيرس . ولأن بن جوريون هو الأكثر قدرة على حل هذه التناقضات
لقد عاد ليتولى كلا من مسئولية الوزارة ، ووزارة الدفاع .

وعند عودته كلى « موشي دايلن » و « شمعون بيرس » قد قطعنا
شوطا كبيرا في تنفيذ البرنامج الذي وضعه هو قبل اعتزاله . .
وبحسب أصبح « دايلن » قادرا على أن يقترح على رئيسه الأسراع
بإقحام مفهوم واسع النطاق لاحتلال مضيق هرمز الشبح . ولكن بن
جوريون رأى أن الموقف ليس مملسا بعد . من الناحية السياسية
سأحل هذا الموضع التشنل .

ولكن هذا الوقت أصبح مقلما في سنة ١٩٥٦ عندما تعقدت
العلاقات بين مصر وأمريكا من ناحية ، وتكرمت بين مصر وفرنسا
وبريطانيا من ناحية أخرى . وعقب تأميم قناة السويس استطاعت
إسرائيل أن تستثمر علاقاتها الخاصة بفرنسا إلى أقصى حد ممكن
بحيث أنه - بتعبير موشي دايلن - نجد أن « قوة الجيش الإسرائيلي
- وبالأدوات سلاح الطيران - قد وصلت إلى النصف خلال الأيام
القليلة السابقة على حملة سيناء » . وقد اعتبرت المصادر

الإسرائيلية أن حصول إسرائيل على الفخلات النفقة للقوات الجوية
في عهد يحد واحدا من أهم أعماله الناجحة .

وفي كتابه من يوميات حملة سيناء بمصر « موسى دابيل » أصح
تعبير عن التفكير العسكري الإسرائيلي بهذه الكلمات : « لولا
العملية الإنطو / مرسية ، لكان هناك شك في أن يستطيع
إسرائيل القيام بحملة سيناء ، ولو كانت قد فعلت ذلك لاحتل
وهما سواء من الناحية العسكرية أو من الناحية السياسية » .

لقد استعملت إسرائيل أول مدام حقيقي في المصالح بين مصر
والعرب ، فاستمرت باستنزاف لحسابها الخاص ، أو بمعنى
« موسى دابيل » مرة أخرى . « يجب أن تصرف مثل راكب الدراجة
الذي يصعد إلى أعلى التل . ويجد في طريقه عربة يستطيع أن
يسكن بها . أن علب أن يحد المساعدة الممكنة ، فتعلق بمركباتهم
وستعلم على قدر المستطاع . فقط عندما تفترق طرقنا .. علينا
أن نفصل وسابع طريقنا سفريين ونفوقا الذاتية » .

ومثلنا نقرأ هذه الكلمات « موسى دابيل » في كتابه « يوميات
حملة سيناء » .. فلما قرأ منه أيضا في مجلة « بلايت أكسبون »
أن : « سهاسته بنارحه وتجريبه أكثر منها عقائدية » وأقرب إلى
الأحداث منها إلى النظريات »

ثم قرأ منه أيضا كتاب اسمه بتيل ، « لكن لا يمكن أن يقال عن
أي شيء رجل فكر . أنه رجل عمل أكثر منه رجل فكر » .

ثم نقرأ موسى دابيل من جديد هذه الكلمات : « ينبغي أن ينحصر
اهتمامنا في أن نتحاشى أن نحد أنفسنا في موقف لا يكون لنا به
اختيار » ..



إن الكلمات الأخيرة هي نفسها المبدأ العسكري القديم « لا تدع
نفسك حبيسا » .. وهي نفسها الشيء الأساسي الذي حرصت عليه
إسرائيل بعد حرب 1967 .

لقد خرجت اسرائيل من فترة المسلوبة التلقائية لحرب ١٩٥٦
وهي تريد التركيز على نقطتين جوهريتين :

- اولا : بناء قوة عسكرية قادرة على الردع الشامل .
- ثانيا : خلق قوة ردعة سياسية .

ولان الهدف الرئيسي لقل تكلفة من الأول - وان لم يكن أقل
جهداً - عقد بدأت اسرائيل تسعى الى زيادة رأسها السياسي
على المستوى الدولي ، حيث كل من دروسها المستفادة من حرب
١٩٥٦ ان القوة العسكرية ليست وحدها بالردع الكافي ، على
الأقل في المدى الطويل . ان اسرائيل انتمت عسكرياً في ١٩٥٦ ،
ولكنها هزمت سياسياً . ان الهزيمة السياسية سحبت منها المزايا
التي حصلت عليها بالقوة العسكرية - وان كانت قد أعطتها مزايا
أخرى جديدة .

وفي كتاب « السياسة في اسرائيل » يذكرنا المؤلف بأن من أهم
الدروس التي استخلصتها اسرائيل في تلك الفترة هو أنه أصبح
« .. من الواضح بالسياسة لاسرائيل ان الدولة تتمتع بتأييد الدول
الكبرى اذا كانت مصالحها تتفق مع مصالح اسرائيل نفسها فقط .
وان تكتيكها الهامس يجب ان يسمح ، بالمثل ، بمحاولة مستمرة
لاقتناع هذه الدول باتفاق مصالحها » .

لهذا نجد ان اسرائيل بدأت تركز مجهودها هذه المرة على الولايات
المتحدة بهدف بناء علاقة خاصة مع أمريكا لحل محل العلاقة الخاصة
مع فرنسا ، ومع ان هذه العلاقة كانت دائماً موجودة سياسياً ،
الا أن التطور الجديد منذ سنة ١٩٥٧ هو الذي أدى الى امتدادها
للجانب العسكري ..



ومن القابعة العسكرية - وهي رابطة أساسها هنا - كل
التركيز الاسرائيلي على خلق قوة عسكرية قادرة على الردع الشامل ،
بعد أن كلى الهدف قبل ١٩٥٦ هو الردع المحدود .

ولتوفير الأسلحة اللازمة لثل هذه السياسة الحديدية ، كانت إسرائيل حريصة على عدم نيلان الدروس التي خرجت بها من حرب ١٩٥٦ ، ومن أهمها :

أولا : أن وجود الضلع السيلبي العلوي — أو حتى التحالف — لا قيمة له إذا لم توفر إسرائيل لنفسها قوتها العسكرية الخاصة الشاملة .

ثانيا : أن الاعتماد على دولة واحدة — أو مصدر واحد — لتوفير الأسلحة هو أمر محفوف بكثير من المخاطر ، أو بمعنى شمعون بيرس : « أن الدولة الصمرة التي تتأثر كثيرا بالتحولات السياسية العالمية ، يجب عليها دائما أن تحفظ بقدرتها على المبادأة ، وأن تسعى حثا للحصول على أنباط أخرى من الصناعات ، وأن تتبع سبله جماعية في ارتباطاتها الدولية » ..

ثالثا — أن التركيز على سلاح الطيران والمدرمات ، باعتبارها حجر الأساس في القوة الضاربة لأي جيش عصري هو أمر هبوي للعناية بالنسبة لإسرائيل .

رابعا — أن العرب مملوطين عديدا ، وعلى إسرائيل أن تعوض ذلك بالتمروق موعيا — خصوصا في المجال العسكري . وهذا يستدعي التركيز على ملاقى جديد لسله التكنولوجيا .

خامسا — أن الحصول على السلاح من أمريكا هو أمر هام للعناية ، ليس مجرد أهمية عسكرية ، ولكن أيضا بسبب قيمته السياسية في الصراع ضد العرب .

وفي الواقع أن السنوات العشر فيما بين سنة ١٩٥٤ وسنة ١٩٦٤ ، كانت هي فترة الضيق الحليم بين إسرائيل والعرب من أجل الحصول على موقفه محدد وبلاتم من جانب أمريكا . وعديدا بدأت في هذه الفترة مولدو نخمس في الموقف الأمريكي ، خصوصا نحو مصر ، لأن إسرائيل انفصلتها حالة هيستيريا ميلابية ، إلى الدرجة التي تقدمت فيها خطة لتخريب المنشآت الأمريكية في مصر بهدف القضاء على تلك البؤادر في مهدها .

وعندما فشلت هذه الحملة لحلت إسرائيل إلى أسلوب آخر ، بحيث أنها طلبت من الحكومة الأمريكية رسمياً أن توقع معاهدة دفاع عسكري . ويقول المؤلف المصهيبي الأمريكي « ملاذ سفران » أن أمريكا « . . لم توافق لأنها كانت مترال تأهل في ادخال الدول العربية الأخرى في طوف بغداد ، ومثل هذا العمل سوف يريد من تعهد الموقف » .

وبعد حرب ١٩٥٦ تكررت إسرائيل محاولتها من جديد بصيغه أخرى بمبرر عنها « بن هوريون » هذه المرة في كتاب « النبي المسلح » بقوله . « أن إسرائيل عرضت على أمريكا - في سنة ١٩٥٧ - أن تقوم بتوسيع الموانئ والمطارات الإسرائيلية ، حتى تصبح صالحة للاستعمال كتواعد عسكرية للولايات المتحدة في حالات الطوارئ » . وفي هذه المرة فشلت إسرائيل من جديد لأن أمريكا كانت تعسر أن مشروعيها الجديد « يبدأ ايزنهاور » لا يحتاج إلى مثل هذا العمل .

وسع ذلك . فإن إسرائيل لم تتوقف من محاولاتها بالنسبة لأمريكا . وقد ساعدها في ذلك إلى درجة كبيرة - أن منطقة الشرق الأوسط بأسرها قد انخلت في مجال الحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتي وأمريكا ، وهو الأمر الذي استغثرته إسرائيل لمصلحتها تماماً ، ووصل إلى ذروته في سنة ١٩٦٧ .



وقبل أن نصل إلى حرب ١٩٦٧ ، فقد يكون من المفيد أن نلقى بعضه على اليافء العسكري العالم الذي تعتمد عليه إسرائيل ، ولجأت إلى تمييزه خلال السنوات العشر السابقة على ١٩٦٧ .

ان من الاستدعاء للخدمة العسكرية في إسرائيل هو ١٨ سنة . ولكن هذه الخدمة يستحقها أعداد عسكري . . وتمتدق لروح عسكرية يبدأ زرعها لدي الأطفال مبكراً .

وهذا الأعداد العسكرية يبدأ في اتخاذ مظهر منظم بواسطة عدة تنظيمات .

● فهناك أولا منظمة « الجهاد » .. وهي منظمة عسكرية للشباب اليهودي من سن 14 إلى 17 سنة . أن هدفها هو تنويع الروح العسكرية واللياقة الجسمانية وإعطاء التدريبات العسكرية الأولية التي تمهد للخدمة المعقدة وهذه المنظمة لها مروع في جميع المدارس الثانوية وأبدن والمستعمرات في إسرائيل . كما أن لها معسكراتها وواقعها الخاصة ، وأعضائها يتم تدريبهم على الرماية والمصارعة اليدوية والقتال ، وعلى كيفية استخدام الأسلحة وأساليب القتال الأولى بصفة عامة . وللعلمنا فسرور بحربه وجوية أيضا ، ومن طريقها يتم توجيه الصبلي والفتيات إلى مروع القوات المسلحة التي تناسب استعدادهم حينها يلتحقون بالخدمة العسكرية العاملة

ومع أن هذه المنظمة مهمتها تدريبية أساسا .. إلا أنها في حالات الطوارئ تصبح مخففة بالواجبات العسكرية الثانوية كدراسة الطرق والكبرى وغيرها .

● والمنظمة العسكرية الثانية التي يعمل خارج مطلق الجيش العامل هي « الناحل » أي منظمة الشباب الثلاثين المقاتل . وهي عبارة من كتائب عسكرية تمثل تشكيلات خاصة في الجيش الإسرائيلي العامل ، وتضم الفتيات والفتيل الذين يلتحقون بها في سن مبكرة على النجيد الإخباري . ولتربيتها لا بد أن يكونوا من مواليد بشالوا في ظل النوجية الصهيوني والتنظيمات العسكرية . وتمثل كتائب « الناحل » في الخدمة العسكرية كقوة وحدات الجيش ... ولتكنها عقدا تنهي الخدمة النظامية لا تسرح ولا تقطع صلتها بالعمل العسكري . وأنها تحتار كل جماعة بها منطقة معينة على الحدود وترابط معها . وفي سنة 1962 قررت مؤسسة « الكرن كايث » الصهيونية بناء 18 مستعمرة ترابط فيها مجموعات من كتائب « الناحل » على الحدود داخل مستعمرات عسكرية في المناطق التي تعتبر معاقل استراتيجية .

وكان مجلس الوزراء الاسرائيلي قد اتخذ قرارا في نفس السنة بعدم السماح ببيع او تاجير الاراضي الساحلية الممتدة من حدود ليلل شمالا الى حدود قطاع غزة جنوبا . كما قرر في يوليو سنة ١٩٦٣ ايضا بناء اربعين مستعمرة في الطيل . في مواقع معينة تكون مناطق لتدريب وحماية كتائب الباحال .

اما بالنسبة للخدمة العسكرية على مدتها سنتان ونصف للرجال - وسنتين للنساء . والنساء يستخدمن في الاعمال الكتابية والادارية وقيادة المركبات ومعالجة المظلات والامدادات والتسوين والمستشفيات العسكرية والانشغلات . ويضاف الى هذه المهام ايضا اشراكهن في اعمال اذيع الفانت . بهما كن في حرب ١٩٤٨ يستخدمن في وحدات القتال .

وبعد انتهاء مدة الخدمة العسكرية تستمر مدة الاحتياط حتى سن ٤٩ بالنسبة للرجال و ٣٤ للنساء . وتوات الاحتياط هذه تاحد باستمرار واجبت تدريبيه . فطوال مدة الاحتياط يستدعى الرجل او المرأة للخدمة المعمله والتدريب لمدة شهر كل سنة . بالاضافة الى يوم واحد كل شهر . وبالنسبة للصباط تزيد المدة عن ذلك قليلا .

ولقد كان من المجهودات الرئيسية التي ركزت عليها قيادات الجيش الاسرائيلي دائما هي تطوير نظام التنبئة وضمان كفاءته المستمرة . على حالات التنبئة يتم استدعاء قوات الاحتياط في وقت قياسي وقد كانت الاسس التي يعتمد عليها هذا التفكير هي .

اولا : ان التنبئة الكلية لا تتم الا في حالة الحرب ، او الاستعداد للحرب .

ثانيا . انه في حالة التنبئة الشاملة . . على اي حرب تفوضها اسرائيل يجب ان تكون قصيرة . وتعتمد على لتسي تركيز للقوات المحاربة بهدف تحقيق مركز استراتيجي سياسي وعسكري ملائم قبل عرض اطلاق النيران بواسطة القنصل الدولي .

ثالثا ، انه في جميع انحالات ملى اسرائيل تحرم على ان تاحذ موقف الهجوم بأسرع ما يمكن ، وكى تنقل للقتل الى أرض العدو .

ويقول ناداف سافران اليهودى الأمريكى الذى حارب مع جيش اسرائيل ، ان اسرائيل طبقت هذه القاعدة دائما وفي جميع الأحوال . . ليس فقط بالنسبة لحالات الحرب الجزئية أو الشاملة ، بل أيضا بالنسبة لعراق الفدائين حيث كتبت نواحه حالات الضلل الفدائى الغربية بالهجوم بوحدات عسكرية مقاتلة ضخمة ضد أهداف مركزة خارج حدودها .

ويصف ناداف سافران : ان مثل هذا الأسلوب في العمل العسكري قد سبب لاسرائيل أدانت كثيرة بواسطة مجلس الأمن . . واهراها بتكررا للحكومات الصديقة لها . ولكن هذا لم يهبطها تكف من تكرار نفس الأسلوب مرة أخرى .

وأسباب اسرائيل لتطبيق هذا الأسلوب كثيرة . احد هذه الأسباب هو حرص اسرائيل على ألا تتطور أية عمليات فدائية عربية الى حرب عصابات وأسمه النطق ، يحصل فيها المموى (الذى هو نحن أيضا) على مواقع يدفع منها . لأن مثل هذه الحرب سوف ترمم اسرائيل على أن تستخدم باستمرار قوات ضخمة جدا . . بالإضافة الى أن كثافة هذه القوات ستكون شديدة .

سبب آخر ' هو أن مثل هذا الأسلوب الهجومى يهدف الى أن يقتل القتال دائما الى لوص العدو . الى أرض العرب .

وهذا الأسلوب الهجومى تلاحظه دائما أيضا في نظام التدريب العسكري في اسرائيل . للتدريب يركز أساسا على الصفة المقاتلة في التشكيل العسكري ، وعلى السرعة . وغوى كل شيء يركز على المبادأة بالهجوم . كما أن التدريب في السلاح الجوى وفي السلاح البحرى يعتمد على نفس الأسلوب ، ويعتمد أيضا على تدريب أكثر عند ممكن من الطيارين والبحار ووضعم في قوات الاحتياطى .

والصوره بهذا الشكل تعنى في النهاية انه بسبب الطبيعة الخاصة بالاتمسك الاسرائيلي ، ونتيجة لان الجيش هو اساسا جيش من الاحتياطى ، فان الجزء الاكبر من الميراثية العسكرية يتم استخدامه في شراء او صنع او تطوير المعدات العسكرية نفسها .. خوفا ان يتحمل اعباء نفقات اداريه ضائعة ، مثليا يحدث غالبا في معظم الجيوش التنظيميه المعاديه .. بالإضافة الى ان أفراد الجيش لا يتم سحبهم من الاتمسك الا في حالة للحرب الفعلية او الاستعداد السريخ لها ..



بهذا التصور العام للبناء العسكري الاسرائيلي يصل الى سنة ١٩٦٧ ، وهي السنة التي أصبح فيها على هذا البناء كله ان يبدأ حربا ثالثة ضد العرب ..

في هذه النقطة نجد ان المعلق التليفزيونى الأمريكى « رود بيرك ماكليش » يرى « .. ان كل حرب تحتاج الى بطل أو — على الأقل — الى مجموعة بطولية . ان البطل المفترض للحرب العربية الاسرائيلية الثالثة كثر هو موشى داييل . وببما نجد ان سمحات الجنرال داييل في الجافى السياسى والعسكرى للحرب لها اعتبارها ، الا انه لا يطبق عليه تعريف البطل النهائى — بمعنى : الرجل الذى بدوره لم تكن الحرب مستتمية على ما انتهت اليه . ان هذا الدور ينتمى الى الجنرال مردخاي هود (قائد سلاح الطيران) ، ومخططى التكتيكات الجوية الاسرائيلية . ان الجنرال اسحاق رابين رئيس اركان الحرب وضع هذه خطة بخطة مائتة للاسفرانجية العامة ، كلها تعتمد على خطة الجنرال هود الجوية . ان موشى داييل قام باختيار امترانجية محدودة واعاد تصميم اضعف اجرائها — وهو الهجوم على الأردن . ولكن ، ما زال النصر يرجع مدرجة كبيرة الى خطة الجنرال هود » .

والواقع ان هذه الكلمات صحيحة تماما — ولا بد ان نضيف اليها ان هناك عاملين في غاية الاهمية ، حققا ضل النجاح لحظة

الهجوم الجوي الاسرائيلي في صباح الخميس من يونيو
سنة ١٩٦٧ :

أولا : التوبة . ملقد استطاعت اسرائيل أن تحقق تقدرا كبيرا
من الحداثة المروري لاجاح أى هجوم مناهيه . وقد تبين هذا
في الحديث المعتاد عن السلام وفي التحركات العسكرية عبر خليج
العقبة وعلى الضفة الأردنية السورية .

ثانيا : المعلومات . ويكتفى أن نلاحظ هنا أن الاسرائيليين كانت
لديهم صورة دقيقة للواقع الجوية المصرية وصواريخ « سام »
المنصة بالدفاع الجوي بها في قتال ذلك كل ذلك هناك جهل
مطلق من جانب المخابرات المصرية بمواقع وتحركات وتواكب العدو .
انه جهل لمقره السياسة مكررا — حيث لم تقم ولا طائرة مصرية
واحدة بصور الحدود الاسرائيلية — ولو بطريق الخطأ — منذ
سنة ١٩٥٦ .

بمسد هاتين الملاحظتين نجد أن الهجوم الاسرائيلي — حتى
الهجوم الجوي — لم يخرج عن النطاق التقليدي لأي هجوم .
ليس أى موقف حربي ، نجد في الأسلوب الكلاسيكي لشن الهجوم
الجوي يتضمن ثلاثة مراحل :

أولا : تدمير القوة الجوية للعدو — على الأرض لو أمكن .

ثانيا : تدمير قوة العدو على امداد جيوشه .

ثالثا : مساعدة هوية للقوات الأرضية في هجومها الرئيسي .

أن كل هذه المراحل يمكن ملاحظتها في الاسرائيلية الاستراتيجية الاسرائيلية
سنة ١٩٦٧ ، ففي المرحلة الأولى وحدها التي استمرت من النامية
إلى الربع حتى الحاشية و ٣٥ دقيقة صباحا بتوقيت اسرائيل ،
استطاعت اسرائيل أن تهلك ١٩ بطارا مصرية .

وبالنسبة للهجوم الأرضي للرئيس في سيناء ، فإن الخريطة التي
جهزتها هيئة أركان الحرب الاسرائيلية وعليها عنوان « طرق

التقدم — ٥ يونيو ١٩٦٧ * .. كانت متنية على خطة الجنرال اسحاق رابين ، والتي تعتمد بدورها على ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : احتراق القواعد المصرية في اثنين من أقوى نقاطها المريش وأبو عجيلة .

المرحلة الثانية : التقدم الى منطقة الجبال شرق قناة السويس لصد طرق الهرب .

المرحلة الثالثة . تدمير الجيش المصري في سيناء .

ان هذه الخطة — بشكلها هذا — تساوى بالضبط المفهوم الكلاسيكي لاي معركة كبرى .

ولو رجعا مثلا — لما كتبه القائد الإيطالي المشهور الفيلد مارشال ريبيل — وهو مهمل معارك الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨) فلتنا سنقرأ له :

* ان المعركة الكبرى تتضمن في العادة ثلاث مراحل

المرحلة الأولى هي تصادم القوات المتقدمة . والتي تحدث غطاءها بقرار قادة الحسم بخططهم للعمل ، وينشرون جيوشهم في قوتها الكاملة . (وقد حدثت اسرائيل هذه المرحلة لعملها قبل ٥ يونيو) .

المرحلة الثانية هي صراع القوات الرئيسية للحصول على تفوق في النيران وانهاك احتماليات العدو لاستعدادا للهجوم النهائي . (وهذه المرحلة هي نفسها التي خاضتها اسرائيل في يومي ٥ و ٦ يونيو) .

المرحلة الثالثة (كانت) الهجوم الرئيسي الحاسم ، أو الهجوم المضاد ، واستئصال التجاذب بمجرد انكسار خط العدو . (وكان هذا هو القتال في يومي ٧ و ٨ يونيو) .

وبصفة عامة — يقول بيتر يونج المعلق العسكري البريطاني — أنه « .. من وجهة النظر العسكرية فإن هذه الحملة الاسرائيلية — ١٩٦٧ — ذات الطراز القديم بما ملاحظ شيرة للاهتمام . ففي المكنى الأول يجد أنها كتبت من ذكريات الحرب المالية الثانية . ان المقاربة بين هجوم وبفل — اوكوبور سنة ١٩٤١/٤٠ هو أمر موجود .. ولكن التكتيكات المستخدمة يبدو أنها قد تم انتقالها من الحملات الألمانية في سنوات ٢٩ — ١٩٤١ . وهو التي تعتمد على تدبير القوات الجوية للحصم الذي يتخذ موقف الدفاع .. يتمها هجمات صلبة بالقنات المدرعة .. ان التشابه موجود أيضا بين حملة اسرائيل في سنة ١٩٥٦ وحملتها في سنة ١٩٦٧ بشكل بلفت للنظر . ولكن الحملة الأخيرة نفذت بمزيد من الخبرة . وبصفة اجالية ، فإن استراتيجية اسرائيل العسكرية في سنة ١٩٦٧ ، تدخل في النطاق الذي يمكن التنبؤ به » .



والواقع ان دراسة البناء العسكري الاسرائيلي بصفة عامة ، ودراسة أسلوب العمل الاسرائيلي في حرب ١٩٦٧ بلدات ، يعرى اغراء شديدا للدخول في مقاربات تاريخية .

لقد انتت أعضاء المؤسسة العسكرية الاسرائيلية انهم تلاميذ محاضرون للعسكريين الالمان — ليس فقط في التكتيك ، واسباب في الاستراتيجية أيضا . ان استراتيجيتهم نفسها — بمعنى أو بغير — تكاد تتطابق مع سلسلة طويلة تمتد حتى فريدريك الأكبر ملك بروسيا .

ان فريدريك كان هو الآخر محظا مامدا لقوياء : النمسا وبروسيا وفرنسا مثلا .

انه — أيضا — كلى يتصرف بالسلوب الضربة الوقائية — مرة في سنة ١٧٤٠ ، ومرة في سنة ١٧٥٦ .

ان فريدريته عليه ان يبدأ لولا بضرب عدوه الأكثر خطورة : النمسا .

إن خطه جراف شيلمين كتبت أن يهاجم لولا غمسا قبل أن يستنير لروسيا .. وهو تفكير يمكن مقارنته بتفكير الإسرائيليين للجيش المصري .. قبل أن يستنيروا للأردن وسوريا .

اب غريديك لم يفكر في إعطاء أولوية لاحتلال لراضى المنوي .
هما أيضا يوجد التشابه مع تصرف إسرائيل بالنسبة للقنيطرة ،
أو الضفة الغربية . أو سبها .. لهما تفعل .

اب غريديك احسار أيضا أن يحارب من موقع مركزي .. بافتا
بالاحتلال يتوازن عدوه الأقل تحبته بواسطة ضربات فكية (١٧٥٧)
و .. و .. و ..

يقودنا اغراء المقارنات التاريخية هنا الى حقيقة لا مفر منها :
ان دراسة التاريخ هي جزء من العلم ، واتخاذ برومبا مثلا مسكها
أعلى هو أمر قائم .

مع ذلك . ما زال من الخطر أن يندفع الاتصال هذه المقارنات
الى أكثر مما يجب ..

الجزء الثاني

مكتب إسرائيلية ممنوعة من التداول

التاريخ السري لحرب إسرائيل

تأليف: ميشيل بارزوخ

هذا الكتاب

وهذا المؤلف

ان الكتاب الاسرائيلية التي صدرت لتحلل حرب الأيام الستة في يونيو ١٩٦٧ ، تمثل أعلى نقطة في ترمومتر الحرب النفسية ضد العرب ، وبالذات ضد مصر . ان الإتصال الحائظ من جانب اسرائيل .. مقابل الهزيمة الواضحة في جانب العرب .. يمثلان فرصة ذهبية و « فائزته » ضحية تعرض اسرائيل من خلالها كل ما تريد . لهذا .. على امتلاء لهذه الجريمة .. برزنا قوة برغم انه يمثلنا مرارة . انه يربطنا قوة مشروط ان تكون هذه الجريمة مقننه لعلاج المرض واستئصال الأساليب .

والكتاب الذي تعرضه هنا على لسان مؤلفه ، ليس هو الكتاب الوحيد الذي يتناول أحداث يونيو ١٩٦٧ بالتفصيل . انه ليس الكتاب الوحيد ، ولكنه يعتبر الكتاب الأمثل ، الذي يمثل وجهة نظر اسرائيل في تلك الأحداث . ان المؤلف احتار لكتابه عنوان « التاريخ السري لحرب اسرائيل » ، ونحن نختار له عنوانا بديلا هو « التاريخ الاسرائيلي لحرب ١٩٦٧ » ، لانه أكثر الكتب قصيرا من وجهة نظر اسرائيل في تلك الحرب التي لم تنته بعد .

ان المؤلف هو « ميشال بارزوهلر » ، وهو اسرائيلي تخصص في الكتابة عن الأزمة العربية الاسرائيلية . لقد صدرت له من قبل أربعة كتب ، كان من بينها كتاب « حرب السويس - سري جدا » .. وهو كتاب نشر في أعقاب حرب ١٩٥٦ .

وفي هذا الكتاب الجديد « التاريخ السري لحرب اسرائيل » حصل المؤلف على معلوماته من حوالى مائتي شخصية عسكرية وسياسية في اسرائيل وأمريكا وبريطانيا وفرنسا ، وتناول بالتفصيل موقف

كل الأطراف الدولية بالنسبة للتراجع تنلوا يمثل — بالطبع — وجهه نظر اسرائيل . وفي هذه الحدود .. فالكتاب يكشف أسراراً جديدة ، ليس بالنسبة للتفكير الاسرائيلي فقط .. ولكن بالنسبة للنور امريكا في الأزمة أيضاً ، وخصوصاً بالنسبة للدور الذي قام به الاخوان « يوجين روسلو » و « والت روسلو » لهبة أهداف السياسية الاسرائيلية خلال الأزمة . لقد كان الأول وكيلاً لوزارة الخارجية الأمريكية ، والثاني مساعداً للرئيس الأمريكي هوبسون .. ومن خلال هذين التمسحين الحساسين .. استطاعا ان يتقوما بفائز خطير في السياسة الأمريكية خلال تلك الأيام الحاسمة من سنة ١٩٦٧ .

وفي النهاية .. فالكتاب .. هو واحد من الكتب الاسرائيلية المموعة من التداول في مصر والدول العربية .

في جهة ما من أوروبا .. التتطت الاحمره - الصلصة هذا -
 لحساب احدى دول العرب ذات مساء برقية سرية . ان ادار
 محادثات تلك الدولة لها شهرة ذائعة الصيت .. شهرة لم تفقدها
 قط بالرغم من بعض الاخطاء والنكبات التي منيت بسببها .

وقد تم حل شهرة الثرية على الفور . وقتل منتصف الليل ،
 وصعدت البرقية كبله من مكتب الصليط المسئول في ادارة هذه
 المحادثات ، ووضح انها عبارة عن تقرير من سفارة الاتحاد السوفيتي
 في القاهرة ، موقع من السفير ، ووجهه الى وزارة الخارجية التي
 تتبعها .. في موسكو

وكان هذا التقرير الذي ارسله السفير في ليلة ١٢ مايو ١٩٦٧ ،
 يحكى بين طياته بيا اشبه بالتمسك الزمنية ، التي تنفجر بعد فترة
 من الوقت . لقد كانت الفترة قبل الاخيرة من التقرير تقول :

« لقد فيما اليوم .. بفلاخ السلطات المصرية بالمعلومات المتعلقة
 بحشود القوات الاسرائيلية على الحدود الشمالية ، التي تهدف الى
 القيام بهجوم مفاجئ ضد سوريا . وقد مضى الحكومة المصرية
 باتخاذ التدبير الضروري في هذا الصدد » .

وفي هذه الامسية .. لم يكن أحد يشك في ان هذه العبارة
 ستكون الشرارة التي تنجر زوميل البرود الحسم ، الذي يسميه
 الجعرايون « الشرق الأوسط » .

وقبل ذلك بفترة بسيطة .. كان الموقف قد توتر تليها هي
 الحدود السورية الاسرائيلية . ففي سونيمبر ١٩٦٦ قام الحش
 الاسرائيلي بمحاولة انتقامية ضد سوريا ردا على أعمال التخريب التي
 كان يقوم بها فدائيو منظمة « فتح » الفاتحين من قرية « السموع »
 الأردنية . وكتب تلك العلو اكبر المجلات العسكرية التي قام بها

الجيش الإسرائيلي في أرض المعوق حتى ذلك الوقت . وقتها .
عاب السوريون على الملك حسين عجزه الواضح تجاه الجيش
اليهودي ، وطالبوا مصر بالقيل بصل رادع لإسرائيل . . وبما على
ذلك . . وقعت اتفاقية دفاع مشترك بين مصر وسوريا .

وارداد توتر الموقف ، عندما حدثت معركة هامة في ٧ ابريل
١٩٦٧ بين إسرائيل ومصر ، قتل فيها عشرات الطائرات
الإسرائيلية بالنظم في مجال سوريا الجوي . وفي يوم الخامس
من مايو ١٩٦٧ قام رئيس وزراء مصر بريئر سوريا ليعلم أن
المعاهدة سوف تطبق فقط في حالة قيام إسرائيل بهجوم عام على
سوريا . وقد نشأ هذا الموقف عندما نقلت الحكومة السورية إلى
مصر معلومات سرية جدا مؤداها . . أن إسرائيل تنوي الهجوم على
سوريا يوم ١٧ مايو . وفي صباح ١٤ مايو ١٩٦٧ عقد اجتماع
محدود في قاعة الطلوس في منزل عبد الناصر بالقاهرة ، قدم فيه
مدير المخابرات المصرية تقريراً يؤكد فيه — هو الآخر — أن إسرائيل
تعتزم الهجوم على سوريا . وقد انضح مبيا بعد . . أن كل هذه
التقرير كان مصدرها واحدا .

وقد راد على ذلك . . أن « ليفي أشكول » رئيس وزراء
إسرائيل أعلن في خطاب له ، أنه في حالة نشوب حرب . . فإن
الاسطول السادس سوف يتدخل إلى جانب إسرائيل . ثم تلقى
بعد ذلك خطاب لعدد من الوزراء الإسرائيليين ضمنوها تهديدات
خطيرة ضد سوريا .

وفي هذا الإطار . . اصغر عبد الناصر معلومات إلى قيادة
الجيش بل نظم فوراً ملامرة رادعة ضد إسرائيل ، بحشد فيها
البرعات والطائرات ووحدات المشاة في سيناء ، بحيث تهدد صراحة
حدود إسرائيل الجنوبية . . فيصبح من المستحيل عليها القيام بأي
مبادرة في الشمال .

وبملا . . تلقى رؤساء الوحدات في الجيش المصري الأمر اليومي
« رقم ١ » وبه : « أعلنت حالة الاستعداد القصوى ابتداء من يوم
١٥ مايو ، الساعة ١٤ر٣٠ . وتنفذ الفرق والوحدات التي أعدت

— العمليات — مراكزها الحالية ، وتحرك بحسب مناطق النضج والاحتشاد التي خصصت لها . وتستعد القوات المسلحة للانتقال للقتال على الجبهة الإسرائيلية طبقا لمس العمليات » .



وفي واشنطن ، في الساعة التاسعة (٥) دقيقة ، استكملت السفارة الإسرائيلية — التي تقع في الشارع الثاني والعشرين — استعداداتها للاحتفال بعيد استقلال إسرائيل (١٥ مايو) . وبمعا كان يستعد « أبراهام هارمان » السفير الإسرائيلي للمؤتمر الصحفي الذي سيعقده بعد لحظات ، حاضنه بكالة تيليغرافية من « لوشجوس مانلي » ، الذي كان سفيرا لأمريكا في القاهرة ، قبل أن يصبح وكلا لوراة الخارجية الأمريكية لشؤون الشرق الأوسط .

إن مانلي ، المبع السفير الإسرائيلي ، كان قوات مصرية عبرت مخيم القاهرة وموت تحت شرفات السفارة الأمريكية مسجحة بحسب بيانه . ولم يكن « بقل » يشعر بقلبي شديد ، لأنه قال للسكر « .. ليست هذه سوى مظاهر لاستعراض القوة ، وربما كانت ودا هي الاستعراض العسكري الذي لقيم في القدس ، فانهم يحركون توانكم . وهم يحركون قواتهم » .

وفي موسكو ، كان « ايحل ألوف » وزير العمل الإسرائيلي ، يقوم بزيارة رسمية للاتحاد السوفيتي لمدة ثلاثة أسابيع . وقد كانت تلك المرة .. تشهد تلقيا شديدا متزامدا من جانب الروس . فقد حدث انهيار مستمر لعدد من المراكز الهامة للمعسكر الاشتراكي في جميع أنحاء العالم . وقد حمل هذا الى اعتقال الروس بأن مؤامرة استعمارية يحرق تنفيذها على النطاق العالمي . سقوط « بن بيلا » أعقبه سقوط « سوكارنو » و « بكروما » . وأسفولت الرجعية على السلطة في الكومو . وفي البومل سحق كولونيالات الجيش — من أنصار اليمين المتطرف — الحريات الديمقراطية . وفي سوريا ارتفعت درجة حرارة الضمى . وفي مصر اكتشفت مؤامرة الإخوان المسلمين . وفي السعودية بدأ السعى لتمدد تحالف إسلامي . وكل من رأى السومبيد . إن واشنطن هي التي تحرك الحبوط من وراء الكواليس .. !

وفي هذا الجو .. أصبح الموقيت مقتنعين في ربيع ١٩٦٧
أن الإسرائيليين يعدون لعتوان حاصر على سوريا ، وأن هذا
العتوان أصبح وثيقا .



وفي إسرائيل ، كان « اسحق رابين » رئيس هيئة أركان
حرب الجيش قد وجه الدعوة للقواد السبعة السابقين للجيش لرافقته
في جولة تفقدية . وخلال الجولة .. تبادل رؤساء أركان الحزب
السابقون الأسئلة حول حشود المصريين ، ووقتها قال رابين « أن
المصريين يواصلون التركيز في سيناء ، وهم يحتفظون عادة في هذه
المنطقة بحوالي ٢٥٠ ألف جندي . وقد جلبوا في الوقت الحاضر
مئات من الدبابات الإضافية . وليس هناك شك في أن الأمر يتعلق
باستعراض للقوة ولكن ما الذي يفعله بعد ذلك ؟ » .

وقاطعه موسى دايان : أنتي تستطيع أن تقول ماذا سيفعلونه
إنهم سيطلبون سحب قوات الأمم المتحدة . وهذه القوات سمحت
بفسحها ممرضاة على الإعلان لأنها ترابط في أرض صحرية . وابن ،
لماذا كان « هذا الماصر » برعب في القيام بخطوة أخرى إلى الأمام ،
فإنه يستطيع أخلاق مضايق نيران .



وفي غزة . وصل ... في الساعة العاشرة مساء - رسول متحمل
من قبل أركان الحرب المصرية إلى مقر « الجنرال ريكي » الزحل
الهندي الذي يتقود جيش الأمم المتحدة ، وسلمه رسالة شخصية
وقمها رئيس أركان حرب الجيش المصري وهذا نصها .

« يهمني أن أبلغكم أنني أصدرت الأمر إلى جميع القوات المصرية
المتسلحة بالاستعداد للعمل ضد إسرائيل ، في حالة ما إذا قامت هذه
الدولة بمطوأن ضد أية دولة عربية . وتنفيذا للأوامر التي تسلمتها
قواتنا ، فإنها تركزت على حدودنا الشرقية في سيناء . ولنفسان
سلامه جنود قوات الأمم المتحدة » فأنى طلب منكم إصدار الأمر

الى هؤلاء الحدود باحلاء مواقعهم على الحدود ، واعادة تهيئتهم في
توابعهم بقطاع غزة .

لقد كان هذا الخطب بارعا ، وبرت كل كلمة فيه بدقة . فهو
لم يثر مطلقا موضوع رحيل قوات الأمم المتحدة ، وإنما اشترى فقط
الى اعادة تهيئتها مؤقتا في قواعدها . كما أنه لم يناقش مطلقا
ممسالة قوات الأمم المتحدة المراسلة في شرم الشيخ ، وهي النقطة
الاستراتيجية التي تتحكم في مداخل مضيق تيران . وكل الهدف
مزدوجا . الحصول على سر يعنى الهيبة لاستخدامه داخليا .
وللرهبة للجماهير على أنه لا يوجد تردد في طرد قوات الأمم المتحدة
بواجهة اسرائيل بحرية ، وفي الوقت نفسه . . امهام الدول الكبرى
أن مصر لا تستهدف شئ الحرب على اسرائيل لو اغلاق مضيق
تيران .

وفي بيوموك ، قال « رالف بنش » مساعد السكرتير العام
للأمم المتحدة لرئيسه « اونثان » ان طلب المصريين غير قانوني ،
وهو أشبه - الى حد كبير - بطريقة جس النض ، ويجب الرد على
مصر باننا لا نقبل اتصال الحلول من هذا النوع . غايانا ان نستمر
قوات الأمم المتحدة في أداء مهمتها بانتظام ، وأيا ان سحبها نهائيا
من مصر . . وعندما قام اونثان بإبلاغ هذا الرأي لمحمد عوض
القوسى الممثل المصرى في الأمم المتحدة . . بأنه كل ما يقتضيه مصر
ان تطلب جلاء قوات الطوارئ . ولكنه كان مهبطا . لقد طلبت
مصر سحب قوات الطوارئ نهائيا . ومن هذه اللحظة . . تحولت
اللعبة الصميرة الى شئ آخر ، وبدأت مرحلة جديدة سوف تؤدي
الى الحرب .



وفي تل ابيب ، اثبتت - لأول مرة - النظرية التي كانت مستندة
في الجيش الاسرائيلى ، ومؤداها أن عهد الناصر لن يشق الحرب
ضد اسرائيل طالما ظل جزم كبير من جيشه مجيدا في اليمن . وشرح
رئيس هيئة اركان الحرب « لاشكول » تحركات القوات المدرعة
الاسرائيلية في الجنوب واستعدادها لأي اتصال في مواجهة طواير

العمليات المصرية . وفي الليلة السابقة .. تمت تعبئة لواء احتياطي في سلاح المدرعات وتقرر استدعاء قوات المرو ، ثم ادّاع متحدث عسكري أن « الجيش الاسرائيلي قد اتحد التدابير الضرورية بنبذة لتعريف القوات المصرية في سيناء » .

وفي الوقت نفسه .. لواء جهاز الراديو في سفارة الولايات المتحدة نقل أبيب . وكال الأمر يتطرق برسالة يطلب فيها الرئيس الأمريكي جونسون من سفيره نقلها لأن « لوتني لشكول » رئيس وزراء اسرائيل ، ويقول فيها :

— « أنسى لا أحمل أنك وبلاكم تفلسون كثيرا من الحوادث التي تقع كثيرا على حدودكم .. وأنني أودع في أن أوضح لكم بصراحة انه يقع على عاتقكم واجب الامتناع من أية خطوة قد تؤدي إلى زيادة التوتر واشغال كل المنف في المنطقة . وأنكم تتركوا جيدا — بدون شك — أن الولايات المتحدة ، لا تستطيع أن تشعر أنها مسئولة عن موقف يمكن أن ينتج عن أعمال لم يتم التفاوض معنا بشأنها ، مع محبتي الحالية — ليفون جونسون » .



وفي مساء ، انشرت ثلاث عرق مصرية وأكثر من خمسمائة دبابة ، وفي اليوم نفسه (1٨ مايو) أصدرت أجهزة الملاكي بالسلاح الجوي المصري أوامر تتعلق بالعمليات موجهة إلى مختلف القواعد وهي « سري هذا .. انما يحدد عمل يهدف إلى قطع جيب النقب والانسلاء على ايلات . ومنضرب القوات المصرية بتسللها مطار ايلات ومحطة الراديو ومهارج البترول خلال هجوم سيثوده قائد الطيران » .

وفي الوقت نفسه تم الاتصال بين « ليفي لشكول » و « اما ايبان » على مشروع الرد على رسالة جونسون ، وهو عبارة من أربع مقلات .

أولا — ان الأزمة الخطيرة شكلت تهمة لوقف سوريا .

ثانياً - ان مصر وزعت قوة هجومية تبلغ ٥٠٠ دبابة ، ويجب مطالبتها بإعادة هذه القوات الى الجبهة الآخر من القناة .

ثالثاً - يجب ألا تنسحب قوات الأمم المتحدة .

رابعاً - على أمريكا أن تؤكد مرة أخرى - علناً - الضمانات التي قدمتها لإسرائيل فيما مضى .



وفي واشنطن ، أرداد القلق في الإدارات الرسمية التي أرسم أمامها خطراً حاداً من حرب ثغية ، على غرار حرب ليفنم في الشرق الأوسط . وقد حاصر « إبراهيم هارملي » سفير إسرائيل والوزير « أبراهيم الفرو » مكتب « لوشنوس بلتل » وكيل وزارة الخارجية و « بوجين روستو » مساعد وزير الخارجية . وبذلك الدوائر الموالية لإسرائيل في التحرك ، ووصلت إلى البيت الأبيض ، من جميع الجهات بداءات من الأحزاب السياسية والقبائل ورجال الصناعة والقضاء وأعضاء الكونغرس ، طالب رئيس الولايات المتحدة بأن يتبع تهديدات تحمل مصر على انتزاع .

وفي الصباح .. وقع جوسون رسالة سرية موجهة إلى رئيس الحكومة السوفيتية وقد أظهرت الاتصالات الأخيرة للنيوماسيين الأمريكيين أن القاهرة وبنسب مقبضتان بقية - في حالة مشوب حرب مع إسرائيل - فلتها سيجدان المساعدة من جانب الاتحاد السوفيتي . وقد اتحدت الولايات المتحدة ، من جانب آخر ، تمهدا بالندع من سلامة إسرائيل واستقلالها . وهكذا يمكن الاستنتاج بسهولة . أن الدولتين الكبيرتين يمكن أن تجدوا نفسيهما وجها لوجه إذا عشت الحرب في الشرق الأوسط . وقد بعث جوسون برسالة من أجل تخشى مثل هذا الخطر . فقد اقترح على رئيس الحكومة السوفيتية أن تتط فولتاها المباشرة المشتركة لتتلقى تفاهم التراع الإسرائيلي العربي .

وكانت هذه الرسالة ، تشكل إحدى محاولتين عاجلتين المقترحتين ووزارة الخارجية الأمريكية : فإذا تبين أن رد موسكو

لنفس واقفيا ، فإن الولايات المتحدة مستتجه الى بريطانيا وفرنسا
للائتلاق على سياسة مشتركة تقوم على لسان التصريح الثلاثي
المصدر في عام ١٩٥٠ ، والذي تعهدت بموجبه الدول الثلاث الكبرى
بمساند احترام الوضع القائم في المنطقة .

وفي هذا الصباح .. ترددت لتذارت الخطر في وقت واحد
في نقط متعددة في العالم . في لندن .. أعلن جورج براون وزير
الخارجية أنه أجل سفره الى موسكو . وفي نيويورك .. أعلن
أوشانت أنه سيطر الى مصر لقليلة عبد الناصر . وفي غزة .. أعلنت
خرجت الجماهير نصيح « الموت لليهود » . وفي إسرائيل .. أعلنت
الجمعية العلمية .



وعندما اجتمعت هيئة لركن الحرب الإسرائيلية في ذلك
اليوم ، كان عبد ناصر قد هطم الأسس التي عاشت عليها المكزة
العسكرية الإسرائيلية بمد سموات عديدة . غفوة الرادعة للجيش
اليهودي لم تصح عند الناصر من ممارسة أعمال استقرارية صارحة
. والمطرية الثقيلة من إسرائيل لن تتعرض للخطر طالما ظلت
حرب اليمن قائمة .. امهات في ليلة واحدة . وكل من المعترف
به ، أن عبد الناصر — الذي لا يزال ضميما — لن يدخل في حرب
مع إسرائيل ، على الأقل حتى سنة ١٩٧٠ . ولكن هذا الافتراض
اصح هو أيضا موضح جدل . لقد اثبت انسحاب جنود الأمم
المتحدة من مصر مستعدة لمواجهة اجتار القوة .

وعند الظهر ، جمع امكولوميل « موسى كاشتي » المدير العام
لوزارة الدفاع رؤساء مختلف الإدارات ، وقال لهم : « أنا منذ هذه
اللحظة في حالة طوارئ » . ومن الآن فصاعدا ستعمل جميع الإدارات
الى الساعة الخامسة حتى انك السمت والأعمال . وجميع شحنات
الأسلحة التي تنتجها محتما الحربية والموجهة لعبلاء أحاطب
سوف توقت . وبالعكس ، غلنا سبيل عملي جهنا لشراء كل
ماتمستطيعه من العالم كله . ولاسيب تتعلق بالأس .. فإن المحادثات
انثيوية مع بعثات المشتريات الإسرائيلية في الخارج ستوقت .

ولن تتم الاتصالات إلا بالبريد على مدى الأربع والعشرين ساعة في اليوم .



وفي واشنطن ، قال « يوجين روسو » للسفير الإسرائيلي « انما سمحكم بالآ ترددوا باستخدام القوة ضد مصر ، الا اذا اعلنت مصر المضايق . وحتى في هذه الحالة . . لا تقوموا باجراء من جانب واحد . ان اتفاقية حرية الملاحة هي اقوى الاتفاقيات التي وقعت بين الولايات المتحدة واسرائيل ، واكثرها حراسة وتحديدًا فيها يتعلق بالتزامات الحكومة الأمريكية . لقد طلب منا « اشكول » في خطابه ان يعيد مرة اخرى اعلان تعهداتنا بحقوقكم . ونحن ندرس مثل هذا الاحتمال ، ولكننا نفضل الآن ان نصرف في نطاق الأمم المتحدة . ولكننا نتناورما الاحداث تائه بسبب عليها الا نقوم بأى عمل من جانب واحد . »



وفي تل ابيب ، اخذ وزير الخارجية ومكتب رئيس الوزراء يلتقيان المسئولية بعضهما على بعض لماذا لم يقدم طلب لعقد مجلس الأمن في اللحظة التي وافق فيها أونتت على سحب جنود الأمم المتحدة ؟ لماذا لم تعرف أجهزة المخابرات الإسرائيلية — في الوقت المناسب — بوأيا عبد الناصر ؟ ان « حافيلي » وزير الاعلام الاسرائيلي كان يحث ان يقوم الطيران المصري بهجوم خاطف على المطارات التي يستخدمها الطيران الاسرائيلي . وكان الوزراء المندوبون يخشون ان يمد السوفييت هجوما ضد مراكز الغرب في المنطقة ، أما « ليفي اشكول » رئيس الوزراء ووزير الدفاع فكان يسيطر عليه الفرد



وفي مطار القاهرة الدولي ، هبط في اليوم نفسه (٢١ مايو) ريتشلرد مولت السفير الجديد للولايات المتحدة في مصر . ومنها

سأله الصحفيون في المطار عن أزمة الشرق الأوسط ، فتح عليه
مندهشا وأجاب مشاقلا : أية أزمة ؟ !

وفي اليوم التالي .. استقل أولثنت الطائرة متجها الى القاهرة ،
وقبل أن يفعل ذلك ، اجتمع به « جولد مارج » الممثل الأمريكي في
الأمم المتحدة وأبلغه ، « أن دين راسك وزير الخارجية يطلب منك
الإلاغ عند الناصر أن الولايات المتحدة ملتزمة تجاه إسرائيل بتمهيدات
اتخذها وصحق عليها أربعة رؤساء أمريكيين » .

وقبل أن يصل « أولثنت » الى القاهرة كان عبد الناصر قد
أعلن الفرار المنتظر .. أغلق المصليق . وفي الخطاب نفسه قال
الرئيس المصري « أن اليهود يهدفوننا بالحرب ونحن نقول لهم :
« هلا وسهلا .. اننا مستعدون » .

وفي واشنطن « كل « لوتسيوس باتل » وكيل الخارجية
الأمريكية هو أيضا أبلغ النوا للسير الإسرائيلي . وبعد ما ذهب
السير الى نيويورك ، وهناك قال له جولد مارج « لقد حدثني
الرئيس (جونسون) بالتليفون لكي يطلب من أن أراك . وقد
أعرب من أمله في أن تتحاشى إسرائيل القيام بأي عمل يخالف .
والأ ترسل أية سقبة لتمر في المصليق » .

وفي الوقت نفسه .. أعد خبراء وزارة الخارجية الأمريكية
رسالة عاجلة أُلحمت على الفور إلى الحكومة السوفيتية وقد جاء
فيها : « أن حكومة الولايات المتحدة تمتنع من أي اعتداء على حرية
الملاحة في المضائق ، سواء كتلت السفينة تحمل علما إسرائيليا
أو غير إسرائيليا ، بمثابة عدوان يكون من حق إسرائيل - في رأي
الولايات المتحدة - أن تدافع عن نفسها ضده » .

ولرسلت الى القاهرة برقية (عاجلة وشخصية) لتصلبها الى
أولثنت شخصيا ، وكلفت بوقفة بالامساء ليمدون جونسون ، وقد
جاء فيها « أرحوكم الإلاغ رئيس الجمهورية العربية المتحدة .. أن
أي عائق يعرقل الملاحة ، مما في ذلك السفن الإسرائيلية في

المضيق .. مستغرب عليه ردود عمل من جانب الحكومة
الأمريكية » .

وفي ظل غياب ، قال لنا أمين وزير الخارجية لزملائه : « يجب
أن نحذر الوقوع مرة أخرى في الحطأ الذي ارتكبناه في سنة ١٩٥٦ .
أد يجب ألا نعرض أنفسنا لما حدث أثناء حملة سيياف من قبل القزمت
كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي شيئا . وقد احتج
أيرسهاور حينئذ بـ « برار » لأن أمريكا لم تلعب بمشروعاتنا . ويجب أن
نحاشي تكرار حدوث ذلك . في المسئولين عن الدفاع يؤكدون أن
لدينا الوقت لاستنفاد كل الإمكانات الدبلوماسية . وفي هذه
الحالة .. فانه يحسن توجيه معظم جهودنا إلى الولايات
المتحدة » .

وسأله أحد الحاضرين : وماذا سنطلب منها ؟

ورد أمين : أن تقوم سفنها الحربية بحراسة بواخرانا عبر
المضائق .

ولم يصدق أحد مثل هذا الاحتمال . وأصرت « جولدا بالمر »
على ضرورة استطلاع رأي الجنرال ديجول . وأعترض البعض
بشدة على القيام بأية مساع لدى ديجول وقالوا : أننا إذا اتجهنا
إليه فسوف يفتح بذلك الأبواب أمام كل الضغوط » .

ونكلم « يوشى داين » فقال : « إذا كانت الولايات المتحدة قد
طلبت مهلة قدرها ثمان وأربعون ساعة ، فانه من الممكن منحها
لها . ولنا أقول ٨) وليس ٤٩ . وإذا قامت بفتح المضائق
فان هذا سيكون أفضل . وفيما يتعلق بن لاسي أعتقد انها سوف
لا تفعل ذلك نتيجة مما . فإذا انتهت هذه المهلة فانه يجب علينا شن
الحرب ضد مصر والدخول معها في معركة تكبر فيها مئات الدبابات
والطائرات . أننا لا نملك سوى قليل من الوقت . ولهذا فانه
يجب علينا أن نحاول تحقيق النصر خلال يومين أو ثلاثة » .

وفي واشنطن .. لم يكن هناك اتفاق تلم بين البيت الأبيض ووزارة الخارجية بشأن السياسة التي يجب اتباعها خلال الأزمة . فوزارة الخارجية الأمريكية كانت تنزع كثيرا من السياسات التي تطوى على اتجاهات حيادية ، بينما كان البيت الأبيض يبدى قلقه من مبادرات عبد الناصر . وكانت وزارة الخارجية تصدر تعليمات إلى سفرائها في العواصم العربية بعدم قطع الصلات والعمل على تهدئة العرب وتخفيف حدة التوتر السائدة ، بينما كان البيت الأبيض يرسل لهم تعليمات لشد عقفا . وكان السفير الأمريكي بضرب أممها في سداس لكي يقرر بنفسه الخط الذي ينبغي عليه أن يتخذه . ولكن ، بمجرد تفكك الموقف .. فإن أمريكا سحبت من وزارة الخارجية سلطة البت في الأمور واحتفظت بها للبيت الأبيض .

وبدا « جوسون » يواجه ضغطا شديدا من جانب المتعاطفين مع إسرائيل في منظمات الصل ومجلس الشيوخ ورجال الصحافة ورجال السياسة ، الذين طالبوا بإدانة بيان عن أزمة الشرق الأوسط . وكانت وزارة الخارجية قد رفضت بالأمس إذاعة مثل هذا البيان . وفي غضون ذلك قرر جوسون وحده أنه سيهدم بيانا .

ولملا ، أعد « يوجين روستو » البيان ، ووافق عليه جوسون ، وقرر إذاعته .. لولا مكالمة تليفونية عاجلة من مستر « ا » .

كل مستر « ا » . — وهو أحد كبار ذوي النفوذ من أعضاء إسرائيل — بتوجهها لمقابلة « هيوبرت هيمري » الذي قرر جوسون إبداؤه إلى القاهرة . وقد أبلغ وهو في الطريق ، أن البيت الأبيض يبحث منه لإطلاعه على نص البيان . وقد تلاه عليه وألت روستو أخلص مستشاري الرئيس جونسون (وهو في الوقت نفسه تحقيق يوجين روستو) . ودهش مستر « ا » عندما لاحظ أن البيان لم يشر مطلقا إلى مسألة إغراق المصافي ولا إلى موقف الولايات المتحدة فيما يتعلق بحرية الملاحة . ثم جاءت هذه العبارة الفخمة في البيان « لم يرتكب حتى الآن أي عمل عدواني » .

وصاح مستر « ١ » متعجبا : واغلاق المضيق ؟ الا يعتبر هذا عملا مدونيا .. ان مثل هذا الليل ليس غير مفيد فقط ، بل انه ضار ايضا . ان الولايات المتحدة ترفض اتخاذ موقف حول النقطة الجوهرية ، وان عدم اصدار بيان على الاطلاق افضل من اصدار مثل هذا النص .

وعلم الرئيس جونسون بعد قليل بما جرى . وفي هذه المرة جاء دوره لكي يحضب هو ايضا . فقد قال : (اذا كان مستر « ١ » يقول انه من الأفضل عدم اصدار بيان مبني كلية .. ان تقولوا له انتم ان اصدار أى بيان) .

ولكن جونسون غير رابه سرعة . فقد طبع ضغط الرأي العام على البيت الابيض املاذا لا يمكن تصورها ، وأداع سبعة وثمانون من اعضاء مجلس النواب بيانا تسمى بمسلة خاصة العنصرات التالية: « اننا موافق تماما على التصريرات التي ترى الحكومة تنفيذها لابلاغ الدين بريتون بدمير اسرائيل عزمها المصادق على التقييم بأى عمل ضرورى لوقف العدوان ضد اسرائيل وانتفاذ السلام » .

وشبب صراع مفهوم بين مختلف موضوع البيانات التي كان من المقرر ان يوافق جونسون على احدها . وقد استبعد نص البيان المنطوى على الحذر اكثر مما ينبغي ، والذي احدثه وزارة الخارجية .. وتم اختيار النص الذي صاغه « والت روستو » بمساعدة الرئيس . وفي الساعة السابعة والنصف من مساء اليوم (٢٢ مايو) ظهرت صورة لبينون جونسون على شاشات التلفزيون الأمريكية ، وانبعت هذه الكلمات :

« ان الولايات المتحدة مستر خليج العقبة ممر دوليا ، ونرى ان اغلته ووجه الملاحة الاسرائيلية عمل غير مشروع ، وبشكل خطرا محتملا تجاه السلام . ان حق المرور الحر بين أى عائق في هذا الممر الملقى الدولي له اهميته الحيوية بالنسبة لجميع الدول » .

وفي اليوم نفسه .. وصلت واشتعلت رسالة عاجلة من «النايلن» وزير الخارجية الاسرائيلية لابلع السفارة الاسرائيلية في واشنطن

أنه قرر التوجه إلى الولايات المتحدة لأجراء محادثات مع المسؤولين الأمريكيين . وقتل أن يبدأ « إيلان » الرحلة ، وصلت برقية من « وانتر ايلان » السفير الإسرائيلي في باريس جاء فيها « عدي مرصه لأن يستقلني بجول غدا . ولكن إذا استطاع إيلان الحضور على الفريسة سنكون أقوى » .

ونقرر أن يهبط « إيلان » في باريس ولندن ، أثناء توجهه بالطائرة إلى واشنطن .



في الساعة السابعة صباحا (يوم ٢٤ مايو ١٩٦٧) هبطت في « مطار أورلي » بباريس طائرة المونينج التابعة لشركة « المال » الإسرائيلية ، وبارك منها « ليا إيلان » وفي المطار قال السفير الإسرائيلي لإيلان ، إن الاحتياح مع الرئيس بجول سيتم على الفور عقب الجلسة الأسبوعية لمجلس الوزراء الفرنسي ، وهكذا قبل إيلان اعتكف حوالي الظهر في فندق هيلتون بمطار أورلي استعدادا للمرافعة من قضيته أمام بجول . وحوالي الساعة العاشرة اتصلت به السفيرة الإسرائيلية في لندن وأبلغته أن « هارولد ويلسون » رئيس الحكومة البريطانية مستعد لاستقباله في الساعة الحادية بعد الظهر . وعكف إيلان على أوراقه وأضى ساعتين بدون النقاط التي رأى أنه ينبغي أن يتوكلها لبجول . وقد قال فيها بعد : « لقد أدركت أن أتحدث بعمية بجولية بمض الشيء للتذكير ببعض التعهدات التي قطعتها مرصا على نفسها ، ولكن أوضح أن الساعة الراهنة حاسمة . وقد صقلت بمسفة خاصة عملتين ، ليس لئلا حبل الإبن الحقوع والمقاومة .. ونحن مصبون على المفاوضة وقد استقر الرأي على ذلك . وسوف نخمض بضعة أيام للاستطلاع ، لكن نعرف ما إذا كنا وحدنا أو إذا كان هؤلاء الذين أرشطوا بهذه المسألة يأحدون تصداتهم تجاهها بأخذ الحد » .

ولمحت الحكومة الفرنسية تدرس الموقف في الشرق الأوسط . وقدم « كوف دي مورغيل » وزير الخارجية في اجتماع مجلس الوزراء تبصيل حقيقية تتعلق بالملاحه في المضائق ، وكان يعرف بالقبض

مدد البواخر التي تستخدم خليج العقبة ، وكان عندها تلهلا جدا .
والنتيجة التي انتهت اليها وزير الخارجية الفرنسية ، ووافق عليها
ديجول ، هي أن اعلاق المضايق لا يبطئ على اعتداء خطر على
اسرائيل ، وأن هذا العمل لا يبرر لن التيلم بأعمال حربه . أما
فيما يتعلق بحق اسرائيل في مرور سفنها في المضايق ، فإن هذه
مسألة قانونية معقدة . وهي إحدى المسائل المعقدة المتعلقة بالنزاع
الاسرائيلي العربي .

وكان « ديجول » يحثي لن يؤدي المواجهة العسكرية في الشرق
الأوسط الى تدخّل الدول الكبرى ، مما قد يؤدي الى حرب عالمية .
واقترح وسيلة لحل الأزمة ، هي عقد اجتماع بين الدول الأربع
الكبرى التي تستطيع هي وحدها أن تفرض حلها على الأطراف
المتنازعة .

ول الساعة الثانية عشر والنصف ، انفض اجتماع مجلس
الوزراء الفرنسي ، ودخل « أيبيل » وزير الخارجية الاسرائيلي ليجد
أمامه الرئيس ديغول ، وكوف دي موريل وزير الخارجية الفرنسي .
كان الرئيس ديغول مخوّر الامساح جدا ، بل وكان يسخو قلما
ايضا . وتذكر أيبيل ما سبق أن قيل له ' في اللحظة التي
سجلت فيها مسقول لك ديغول ' يا سيدي الوزير ، انني أصعب
اليك .. ' .

ولكن ديغول تصرف في هذه المرة بشكل آخر . لقد مد ذراعه
بحو أيبيل وقال بشدة ' : لانشبوا الحروب . لانشبوا الحرب .
ولا تكونوا ساء حال البائسين بالقتال ' .

ورد أيبيل قائلا ' : انما لن نكون على أي حال البائسين
بالحرب . ولقد ارتكب المصريون فعلا عملا عدائيا ' .

وبدا واضحا أن الملاحظة لم تمسح ديغول ، فقد قال : ' في
مظري أن ذلك الذي يطلق الرصاصة الأولى .. هو البليدي
بالقتال ' .

هكذا - في صدارات قليلة وحيزة - حدد ديهول الطريق الذي
يراء بين العدوان في بدلوله القنفوس ، وأول رسالة .

واستأنف أينس حديثه قائلا : « أن هذه هي أخطر لحظة في
وجودنا منذ عشر سنوات . ومن الطبيعي أن نأثني ، رملتي وأنا ،
في هذه الساعة الحاسمة . . لنتطلب المشورة من الصديق العظيم
الذي هو انتم » .

واستطرد أينس قائلا : « إن الأزمة الحالية ترجع إلى ثلاثة
أسباب . حرب العصابات التي يقوم بها السوريون ، واحتشد
القوات المصرية في صحراء سيناء ، وأغلق المضايق . وهذه
الأسباب الثلاثة تمنع مسويا لتشكل عملية لا يناصر منها :
للمصريون سيصبحون مخائفنا ، والسوريون سيضربوننا في ظهورنا
.. وهندس سوف يستعد المصريون لكي يوجهوا لنا صربة في وسط
صفرنا . وقد أثبت لكي أقول لكم أننا محبسون على ألا نعبر أكثر
من ذلك على هذه الحال . أما فيما يتعلق بالعلاق المضيق ..
على هذا يعني بالنسبة إلى قرر ذلك أنه احتار الحرب ، لأنه سبق
أن أوضحنا موقفنا في هذا الصدد . ولقد قمنا منذ سنوات عديدة
علاقات مع آسيا وأفريقيا ، وأنشأنا بعدا جديدا إلى خريطة العلاقات
الدولية . ونحن لم نعد دولة تتجه إلى الغرب وهذه ، وبداننا نقدم
المساعدات إلى العالم الثالث . أننا لا نستطيع قبول الموقف
الرائع » .

وبادر ديهول إلى مقاطعة أينس وهو في حالة مصيبة . « أرجوك
.. أريد التحدث . في هذه الحالة ماذا سوف تفعلون ؟ »

وهنا تعلق أينس بالعبارة الجوهرية التي أعدها : « حيث أنه
ليس أساسا سوى الصبار بين الخضوع والمقاومة ، فقد قررنا أن
نقاتل . وإن يكون هناك استسلام . ولكننا قررنا أن سنظر أينما
عديدة لكي نستطلع رأي هؤلاء الذين التزموا بتمهيدات في هذا
الصدد . وفي غضون ذلك علينا أن نقوم بأي إجراء ، ولا نموت
القبام ماى رد فعل أو اختبار لا اليوم ولا غدا ولا بعد غد » .

ولاحظا اينان ان « كوف دي موريل » تنفسي الصعداء عندما استمع الى هذه الكلمات . ويدعو ان الوزير كان يحس ان تشب الحرب بين دقيقة وأخرى . ولم يلحظ « اينان » ان « كوف دي موريل » قد أخطأ في تفسير اقواله ، مثله في ذلك مثل « ديهول » وهي الأموال التي يهبهاها على اثنا وعد من اسرائيل لا تفكر في القسم بعمل عسكري . ولم يستخلص الرجال من كلمة « مقاومة » التي استخدمها اينان بل اسرائيل تفرى القتل .

ولم يبدأ ديهول ، فليستورد يقول : « ان الموقف صعب . ان هذا لا يمكن ان يستمر ، ويبدو ان تحتبط اسرائيل بهوء أعمالها . ان الدول الأربع الكبرى يجب ان تتشاور . لا تبحثوا عن حلول من جانب الحرب . يجب على الدول الأربع الكبرى ان يتداول في الأمر ، وستكمل أنا بذلك . ونحن نستطيع الاتفاق سويا على حل يسمح بمرور السلي » .

ورد اينان قائلا : « انني متشائم جدا بشأن كل ما يتصلق بالاتحاد السوفيتي . ولو أنه تصرف بطريقة أخرى لما أصبحنا في هذا الوقت . ان روسيا لم توافق مطلقا على رأينا بشأن حرية المرور في المضائق » .

وقال ديهول وهو متشائم بصاده : « نعم ، ولكن السوفيت ايضا لم يأخذوا الحثب المعارم . لابد من بعض الوقت ، ومن الصبر ، وفي غضون ذلك .. غفقه يخبى عليكم الا تقوموا بالعمل ابدى يريد المصريون ان تفعلوه ، وهو ان تكونوا الباسقين بالفصل » .

وعاد ديهول الى الحديث عن مسألة « الحرب » ، فقتل . « لم يعد يوجد اليوم شيء اسمه حلول عربية . فطالما ظلت اسرائيل معرقة في انحائها نحو العرب غيبا يتعلق بمقاصدها وحلولها ، ملتها سوب تعتمد عن الحق . يجب ان يشترك الاتحاد السوفيتي في حل النزاع » .

وهنا أضف « ديجول » عبارة بحث ثقيلة المفزى : « ار
مركزكم لم يصبح ممد متينة بما فيه الكتابة ، بحيث تستطيعون
حل جميع مشاكلكم بأنفسكم » .

وقال اييل لديجول : « لقد تمهد عدد كبير من الدول بتأييد
حقوقنا والوقوف الى جانبنا اذا أعيد إطلاق المصالحى . ولقد كان
أقوى وأوضح بيان في هذا الصدد ما قدمه ممثل فرنسا في الأمم
المتحدة في عام ١٩٥٧ » .

ورد ديجول بعم . ولكن هذا كان في سنة ١٩٥٧ . ونحن
نعيش الآن في سنة ١٩٦٧ .

وهكذا ألمح ديجول في عبارة واحدة كل تعهدات فرنسا .

وعندما أحس « اييل » انه لم يبق لديه شيء بقوله ، قرر ان
يختم حديثه بعبارة تطوى على المحلبة ، فقال : « اننا نود ونحن
بواجه الحصة ، ان نشكر فرنسا على كل ما فعلته وعلى ما نلنا
نفعه من أجل تشجيعنا وتقوية روحنا المعنوية ودعم قوتنا
المعسكرية » .



وقد ارتكب ايايل — دون ان يدري — غلطة كبرى . فقد
لغت انظار المسؤولين الفرنسيين الى المساعدة العسكرية المتزايدة
التي تقدم لاسرائيل ، مما جعلهم يتصرفون بعد تلك بطريقة
لا تستوجب الشكر لهم .

ورد ديجول قائلا . « ان كل ما فعلناه في هذا المجال ، انما
فعلناه بدافع الصداقة .. ولكن هذه الصداقة ذاتها تدفعني الآن
لكي أقول لكم ما فعلته الآن » .

وقصر اييل هذا الكلام على انه تهدير مستر ، فقال : « انكم
لا تستطيعون ان تحتاروا فقط من بين الصداقة تلك التي تلائمكم » .



ومعها انتهت المتابعة ، كان الحديث يعنى في نظر « ديجول » شينا واحدا . فقد قال لايفان : « لا تشتوا للحرب » . واكد لايفان ان اسرائيل قررت الانتظار ، وهو لم يقل « سوف تعارب » ، وانما قال « سوف نقاتل » .

ولم يدر في خلد « ديجول » ان الاسرائيليين سوف يشنوا الحرب بعد التحذير الصريح الذي وجهه اليهم .

ومعقب هذا الحديث ارسلت باريس مرقنين ، احدهما الى « كوسيجين » والاخرى الى « عبد الناصر » واكد ليهما « ديجول » ان اسرائيل لن تمل الحرب .

وتلا وزير الاعلام الفرنسي على الصحفيين البيان الرسمي . بررت الحكومة الفرنسية ان تقترح عقد اجتماع للدول الاربع الكبرى .

وتحدث « موريس كوف دي مورجيل » تليفونيا مع وزير القوات المسلحة وطلب منه الكف عن ارسال مبيعات عسكرية الى اسرائيل بدون موافقة وزارة الخارجية . وذلك في سباق اللجنة الوزارية الخاصة بمبيعات الاسلحة . وفي الوقت نفسه تحدث كلر المنولى بوزارة الخارجية تليفونيا مع عدد من القواعد العسكرية وامروها بان توقف على الفور ارسال شحنات الاسلحة الى اسرائيل ، التي لم توافق عليها اللجنة بعد .

لقد كان موقف فرنسا واضحا .

وبعد قليل سيتضح موقف الدول الاخرى .

كانت الأمطار العريضة تهطل على لندن عندما وصلت مسيرة السفير الإسرائيلي وهي نقل « لبا آيلان » وزير الخارجية إلى ١٠ داوويج ستريت ، وقد « هارولد ويلسون » رئيس الوزراء البريطاني رائيه إلى حجره حيث بدأت المحادثات .

قال ويلسون لآيلان : « ما هو يحول قد اقترح عقد مؤتمر للدول الأربع الكبرى ، ولست أعتقد أن الفكرة سموة تتاح لها فرص النجاح ، ولكننا نسرى . واعتقد أن السوفييت سيؤمنون الفكرة في النهاية . ولكننا نحن .. لماذا ترفض ؟ »

واستطرد ويلسون قائلا : « أما فيما يتعلق بالملاحة في المضايق .. فللحكومة البريطانية لديها أحاسيس .. وقد أعلنت ذلك - بل عبد الناصر أن يهزج من هذا المأزق بسهولة . وقد أرسلت « طومسون » إلى واشنطن لتتسقى جهودنا مع جهود الأمريكيين . لماذا قللته هناك فكر على اتصال به . أسأ ستناقش مع الأمريكيين التفاصيل الإيجابية .

أن من بين رؤساء الحكومات الذين اجتمع بهم آيلان خلال رحلته ، فإن ويلسون كان الوحيد الذي لم يحول مهنته أو صرف نظره عن الحرب .

أما في موسكو .. فقد قال المسئولون السوفييت لـ « هورج براون » وزير الخارجية البريطاني .. أنهم لا يوافقون على أن يعلق عبد الناصر المضائق . وفي الوقت نفسه صرحوا بأنهم لا يريدون الحرب ، وأمرؤوا عن أملهم في أن تحل الأزمة حلا سلميا .

وفي تل أبيب .. اجتمعت هيئة لركن الحرب الإسرائيلية بعد الظهر ، بحضور رئيس الحكومة ووزير الدفاع . وعرض رئيس

العمليات على « أشكول » محطة الحربية التي فسخته القسام
مهموم تحرق فيه القوات الإسرائيلية الحور الشمالي لمبياء في
اتحاد المارش ثم نتجه بعد ذلك إلى شاء السويس .

وفي واشنطن . . تفيل أحد المسئولين عن المخابرات الألمانية ،
ربيل له من رؤساء وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وقال له : أن
معلوماتنا تفيد أن إسرائيل ستهاجم سوريا .

ورد عليه الأمريكي قتلا : انكم لا تعلمون لقرار موتكم ،
أن إسرائيل تستعد للهجوم في الجنوب في اتجاه مصر .

وي النساء نفسه . بعثت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية
تقرير إلى الرئيس « هوسون » جاء فيه : أن تقديراتنا تشير إلى
أن إسرائيل ستهاجم مصر يوم ٢٦ مايو وذلك طبقا لما أكدته
الخبار .

ووزارة الخارجية الأمريكية ، أبلغ وزير البريطاني
« بلومفيلد » والأميرال « هيرسون » مع « جين راسك وبوجين
روستو » وبساعتين . وقد استعرضوا الخطة البريطانية بشأن
فسح المضيق . وهذه الخطة كانت تتكفل من ثلاث مراحل .
المرحلة الأولى هي القيام بمحاولة لفتح مجلس الأمن على إصدار
قرار يطالب مصر بفتح المضيق وضمان حرية الملاحة . والمرحلة
الثانية ترمي — في حالة فشل مجلس الأمن — إلى تكوين جبهة من
عدة دول بحرية تتولى توجيه تدبير ، وتعلن فيه أن مضيق تيران
تشكل ممرا مائيا دوليا ، وأن هذه الدول تعترف باستقلاله .
والمرحلة الثالثة تتضمن — إذا استمرت مصر في إغلاق المضيق —
إرسال أسطول يشمل سفنا من جميع هذه الدول ، لملك الحصار
بالقوة من المضيق تحت حماية بعض الوحدات البحرية .

ووافقت وزارة الخارجية الأمريكية ، والبيت الأبيض ، على
هذا المشروع . وكانت الولايات المتحدة قد رفضت القيام بأي عمل
من طرف واحد . غير أن الاقتراح البريطاني ، الذي يطوى على
عدم ترك أمريكا وحدها ، سوف يحظى بال تأكيد على موافقة الرأي
العالم والكومجريس . وعلى الفور لبلمت الخطوط العامة للمشروع

الى ورازه الدفاع الامريكية والى رؤساء البحرية والى « ماكنمارا »
وزير الدفاع ، لاستطلاع آرائهم .. وطلب من ادارة الجيش وضع
خطة العمليات المناسبة .

وفي البيت الابيض كلن روستو مهموما ، وقد عهد السفير
الاسرائيلي بكي الولايات المتحدة سوف تدعو الى عقد اجتماع غير
رسمي لمجلس الامن .

وعندما قال له ممثل اسرائيل : اننا لا نرى ثلثة في عقد
اجتماع لمجلس الامن . ولذا سوف تعملون اذا لم يضمن المجلس
حرية الملاحة ؟

— سوف يعمل في ملحق الامم المتحدة او مستظفين عنها . لقد
اتحدثت الاحداث اتعاهها حديثا في قاية الخطورة . ويسمى عليكم
ان ستمنعوا عن القيام بأي استنزاف ، وتؤمل — في الوقت الحالي —
الا برسوا سفينة الى الميناء .

وكان مسمى هذا الحديث .. ان الامريكيين لا يعرفون ماذا يمكن
ان يفعلوا ولم تكن هناك اوهام فيما يتعلق بالثبات والارمين ساعة
التي طلبوها . لهذه الفترة من الانتظار لم يكن المرحس منها الناهب
لتعديد خطة ايجدية قد يهرجها « المم سلم » من جعبته ،
للامريكيين لم يكونوا يريدون سوى كسب الوقت فقط .

واثار تصريح جونسون ، الذي ندد فيه بافلاكي المصليقي ،
ردود فعل مختلفة في الكونجرس الامريكي . وقد استقبل استقبالا
حاراً في مجلس النواب . ولم يكن الامر كذلك بالنسبة لمجلس
الشيوخ . ففي هذا الصباح عقدت لجنة الشؤون الخارجية
اجتماعا مغلقا ، واعلن معظم الشيوخ محارمتهم بوضوح لاية مبادرة
تقوم بها الولايات المتحدة من حقنها وهداها . لقد كانوا — مثل
غيرهم من المسؤولين الامريكيين — يخيم عليهم شعج الحرب
البيشامية .. ولهذا كانوا يمتنعون على أي عمل قد يؤدي الى
حرر الولايات المتحدة الى خوض حرب اخرى . ومن هذه اللحظة
اصبح مفهومنا ان امريكا لن تعمل من اجل فتح المضيق الا اذا عانت

حولها بمساعدة من جانب عدة دول . وسمح البيت الأبيض بأن
تسرب دلائل في هذا الصدد إلى الصحفيين والمصاحفة . وقال أحد
المعتقلين - وهو « أريك سينفريد » : يبدو لي الرئيس جونسون
لم يقرر بعد ما إذا كانت الولايات المتحدة مسؤولة تقوم بعمل
عسكري في حالة نشوب القتال في المنطقة . قلدا نشبت الحرب
وأصبح وجود إسرائيل في خطر - فإن العناصر الموالية لإسرائيل
في هذه البلاد سوف تمارس ضغطا قويا جدا من أجل التدخل .
ولكن حدوث تدخل أمريكي بدون اشتراك حلفائنا الرئيسيين -
كما هي الحال في الشرق الأقصى - سوف يؤدي بالتأكيد إلى
سقوط مركز الكونجرس الأمريكي .

ولي القاهرة . جتمع عند الناصر مستشاريه العسكريين
والسياسيين لدراسة الموقف الناتج عن إغلاق المضايق . وكان
ال رأي يخلص في أنه ، للمرة الأولى منذ حرب السويس ، انعدمت
بحر مصر المنداة وإلى إغلاق المضيق سيكون له أثر فادح على
إسرائيل ، وإلى العثود العسكرية على الحدود سيحدث احتياطها
ويخلق المصائب أمام اقتصادها ، مما يؤدي إلى احتلالها بسرعة .
ولأول مرة سوف تشعر إسرائيل بأن وجودها يهدد خطر حقيقي .

وقد أعلن « الملك حسين » في هذا الوقت بالذات ، في خطاب
أديع بالاردبو ، أنه سمح للقوات السعودية والعراقية بدخول
بلادهم ، وهو شيء لم يكن يعزى على عمله من قبل . . لأن إسرائيل
سعى أن أعلنت مرارا أنها تفتقر دحول جيش أجنى في الأردن
بمساعدة عمل عدائي . وأعلنت السعودية تأييد سياسة عبد الناصر .
وقرر الرئيس المصري أيضا أن يبحث من جديد القيادة العربية
الموحدة . ووضعت الجزائر والعراق والكويت قوات تحت تصرف
مصر . وفي قطاع غزة تسلم جيش الشقري أسلحة ثقيلة .

وفي هذا المساء . . استقبل عبد الناصر لوفدات وأقلام له
حفل عشاء . وكان السكرتير العام للأمم المتحدة يكتبها ، معطوب
الوجه . وكان عبد الناصر قد حمله ينتظر لربما وعشرين ساعة قبل
أن يستقبله . كما نظمت أمام الفندق الذي نزل فيه مظاهرة «عربية»
ضدّه .

ولما احتضن الرحلان لحياء في قاعة الطعام بمبنى عبد الناصر ، لاحظ أولئك بسرعه ان الرئيس المصري لا يموي التراجع بوضه واحده ، فقد قال : ان اغلاق المسليق يزيل الآثار الأهمه للمعتوان الثلاثي الذي وقع في عام ١٩٥٦ -

ويحسد ان قال عبد الناصر ذلك ، بدأ يتلطفه وتمسسط و حديثه ، ثم أكد بطريقة حاده انه لا يموي مهاجمة اسرائيل ، وهو بالتأكيد كان صادقاً في ذلك . وأعرب عن استمدهه للقيام بخطوة تؤدي الى تحصيل حده الفوتر . تمثلاً . . وافق ، عن طيب خاطر ، على ان يوفد الأمم المتحدة بمعونا لاجراء اتصالات بين الطرفين . وأعرب عن استمدهه أيضاً لحياء لحيه اللجنة الاسرائيلية المصرية التي لم تقم لها قائمة بعد حرب السويس . بل انه قبل عند اتفاق بشأن مصانعه العقبة : فقد وافق على السماح بمرور السفن الموجهة الى اسرائيل بشرط ألا تكون هذه السفن اسرائيلية ولا تحمل مواء اسرائيلية .

واقترح عبد الناصر أيضاً ، باعلاص ، حلاً يتصلق بقوات الأمم المتحدة ، لماذا لا نوضع في الأراضي الاسرائيلية ؟

وسلط أولئك في الفتح . عهد لم يفسح في اعتباره ان كل « تنازلات » الرئيس المصري ليست سوى تعبير ، بطريقة أخرى ، عن موقف مصر الرسمي . لقوات الأمم المتحدة ان تعود الى الأراضي المصرية ، والنفجاة الصهيونية — مثل البترول — الذي يعتبر السلعة الرئيسية التي تستوردها اسرائيل عن طريق المضائق لن تصل الى ميناء ايلات ، وسكون وجود قوات الأمم المتحدة على انجانب الاسرائيلي من الحدود قليلاً حياً على انتصار عبد الناصر .

وكرر أولئك ان يحضر اقلنته في التباهرة مستدار أربع وعشرين ساعة ، وبدأ يصوغ مقترحات لوضع حل للدراع . وكان أهمها الوصول الى حصة يفتها لسجون بشأن المضائق ، بحيث لا ترسل اسرائيل خلالها فيه سفن نحو ميناء ايلات ، وفي الوقت نفسه لا تمنع مصر مرور السفن غير الاسرائيلية في المضائق .

وقد كان هذا بالضغط هو ما يريده عند الناصر . اذ ان فترة الاسبوعين سوف تسمح له بكسب الوقت الضروري لتعزيز موقفه . أصبح مير محتل بالتمسك بالناصر .



انتهى خبراء وزارة الدفاع الأمريكية من دراسة انشاء القوة الدولية لفتح مضيق ديزان ، وقد أصبح رؤساء البحرية الأمريكية على رفض المشروع بجملة ، وقالوا ان مجرد انسحاب المضايق بواسطة ارسال سفن حربية للمرور فيه لن يتطوى على لثة غائدة . وعلى اى حال فانه لابد من مرور وقت طويل قبل ان يصبح في الامكان انشاء قوة في المنطقة يمكنها ان تتدخل على هذا النحو . وحسب لو امكن تكوين هذه القوة ، على التمام بمعدل بحري محدود المطلق لن يؤدي الى تعطيم الحصار ، اذ يجب احتلال مواقع استراتيجية برية ، ولتحقيق هذا العرض يمين انزال عند كبر من الجود في سماء توقعنا لحدوث قتال برى يمكن ان يتخذ ابعادا كبيرة .

وقد عارضت هيئة اركان الحرب الأمريكية بشدة في القيام بمثل من هذا النوع ، وعلى هذا . فقد صدرت اليها الاوامر بالامداد لعملية عسكرية في سماء . وكان عند قليل من القوات الأمريكية يرى انه من الضروري تحقيق هذا المشروع ، وذلك لان التقديرات الأخيرة لوزارة الدفاع الأمريكية ، وهي تقديرات ترجع الى شهر يناير سنة ١٩٦٧ وتوحد في ملف ادارة المخابرات ، كانت تشير الى ان القوات الاسرائيلية تستطيع ان تطبق على اعدائها . وكان جميع الخبراء يتفقين في هذا الصدد . بل انهم كانوا يستطيعون التنبؤ مكينة سير الميلات : هجوم اسرائيلي ، وحرف مفاجيات ، يصحبهما هجوم جوى .

وحوالى الظهر - يوم ٢٥ مايو - ابلعت هذه التقديرات الى البيت الأبيض .



وفي باريس ، فرض حظر على لاس الأمر الواقع ، أن لم يكن على لاس قنوص ، على جميع شخصات الأسلحة الى إسرائيل . وأخيراً تم الوصول الى حل وسط بعد جماع عاجلة ، وهو أن تقوم مرسا - كما كانت تفعل غيباً بحى - بتوريد إسرائيل بكل ما وعدت به من مدموبها . وهكذا قشلت المحاولة الأولى لوقف شخصات الأسلحة المرسلة الى إسرائيل وقتاً ثانياً .

وفي إسرائيل .. سأل بعض المسئولين في وزارة الدفاع « ليمى اشكول » رئيس الوزراء : لقد ضقتنا ذرعاً بهذا التردد الطويل ، فمتى سيندا ؟

ورد اشكول قائلاً : يسمى أن نؤكد من أن عمل الجيش الإسرائيلي لن توقفه ضغوط اجنبية .

وفي سيناء .. اتخذت الفرقة المدرعة المصرية الرابعة ، التى تعتبر رأس العربة في جيش عبد الناصر ، مواقعها هذا الصباح في سيناء .

وفي تل أبيب .. جاء مساعد « اشكول » اليه وسعه طائلة كبيرة من المعلومات المثيرة للقلق ، عن الاستعدادات العسكرية التى تقوم بها جميع الدول العربية على وجه السرعة .

وقال اشكول لمساعد : لقد أرسلنا « إيمان » لحرس مسالة المصيق أمام رؤساء الدول الاحسبة . والآن يبدو أن وجود إسرائيل دانه أصبح في خطر . ويجب صياغة مرقية لايبذل نطلب منه فيها أن يقرر بصمة حاسمة في محتلفاته موضوع احتشاد القوات المصرية .

وبعد قليل .. أرسلت مرقية مزعجة حدا الى « إيمان » لاحاطته مليا بالخطورة المفاجئة والتشديد الأثر التى طرات على الموقف العسكري ، متبعة رحلة وزير الحربية المصرى الى موسكو ، وتحركات القوات العراقية والسورية والأردنية نحو الحدود الإسرائيلية ، وعحول قوات مصرية كبيرة الى سيناء .

وجاء في هذه البرقية انه « يجب ان يوضح للرئيس جونسون ان الخطر لم يعد يكمن في احتشاد القوات ، بل في احتمال وقوع هجوم عربي ضد اسرائيل . فكل يستطيع الرئيس جونسون ان يمتصها بما يسمى عمله في هذه الحالة » ؟

وكشفت هذه لول برقية . غير انه بعد دقائق قليلة تعنها برقية اخرى لشد اشارة للعلق .

لقى السامعة الثالثة والتجته الاربعين بعد الظهر ، وصل الى تل أبيب « هاتكوب هرروج » المدير العام لرئاسة مجلس الوزراء . وكان قد انتهى قبل ذلك بساعة في مكتبه بالتمس من قيادة البرقية التي تقرر ارسالها الى « اييل » والتي تحوي التعليمات الأخيرة بشأن الخطوة التي يسمى اسمها كشاء محادثته مع حوسور ، ولكن قبل ان يرسل البرقية اتصل بليفونيا من تل أبيب بمكتب وزير الدفاع ، وجاء الرد بال « الموقف قد تغير من التنبؤ الى التنبؤ . احضر تمورا » ومنها ذهب تمورا وجد في مكتب « انيكول » رئيس هيئة اركان الحرب بمبنى الشخصيات الأخرى . وكان هو ان الحرب يحتمل على العربة . . وكان البعض يعتقدون ان مصر تستطيع - ابتداء من العدد الصعبة ٢٦ مايو - الهجوم على اسرائيل . وكان القلق يصل الى برتبة الدعر .

لهذا بدأ احتمال جديد : التاكيد ، من طريق ارسال نداء مؤثر الى الولايات المتحدة ، من انها ستنتهي لشدة اسرائيل في حالة وقوع هجوم عليها في المستقبل القريب ، وحلوس « هاتكوب هرروج » لكي يجرر رسالة ثانية لاما اييل .

وبمكس الرسالة السابقة ، التي لم يكن لها سوى طابع اخباري ، على الرسالة الجديدة كانت تشبه صرخة رجل مشرف على العرق . وقد ارسلت الى اييل ، وجاء فيها بمفظة خاصة : « عقب الأحداث التي جرت في الاربع والمشرين ساعة الأخيرة ، فانه يسمى ان يعلم اننا أصبحت نحش في كل لحظة وقوع هجوم مصري مصري مفاجيء . وسمى على حكومة الولايات المتحدة ان تعلن تمورا ان أي هجوم على اسرائيل يعادل الهجوم على الولايات المتحدة

ويجب عليها أيضا أن تصدر تعليمات بهذا المعنى إلى قواتها المراسلة في المنطقة . ويحسب إبلاغ هذه الرسالة إلى أعلى مستوى ، إلى الرئيس الأمريكي أو إلى وزير الخارجية .

وعندما تم إرسال البرقية إلى « إيمان » في واشنطن ، لم يكن أحد يشك في أن إرسالها سيكون واحدا من أسوأ الأخطاء التي ارتكبتها الحكومة الإسرائيلية .



ذهب السفير الإسرائيلي إلى نيويورك لاستقبال « ليا إيمان » وزير الخارجية ، وفي غضون ذلك .. وصلت إلى السفارة الإسرائيلية إحدى البرقيات المتضمنة بالذعر التي أرسلت من إسرائيل . وبسبب حادث مكثي وصلت البرقية الثقبة الرسالة من تل أبيب قبل البرقية الأولى .

وعندما تم إبلاغ السفير الإسرائيلي بالبرقية ، نقلها على الفور إلى « إيمان » عقب وصوله ، وشعب وجه إيمان ، وقرر الاتصال على الفور بمكتب وزير الخارجية الأمريكي « دين راسك » ليطالب منه تقديم موعد المقاتلة التي كان قد تعهد لها من قبل أن تتم في الساعة السابعة مساء ، وقال له : « لقد حدث تطور خطير جدا خلال الساعات الأخيرة » .

ورد عليه راسك : « احضر فوراً » .

وفي الساعة الرابعة والنصف مساء ، استقبل دين راسك ، ولوك ، وماتل ، ويوجي روسفو ، إيمان .. وهارمان (السفير الإسرائيلي) .

واطلع « إيمان » المسؤولين الأمريكيين على نص البرقية التي وحلتها ، وطلب أن تعلن الولايات المتحدة فوراً أن أي هجوم ضد إسرائيل يعتبر بمثابة هجوم ضد الولايات المتحدة ذاتها .

واسمع إليه « دين راسك » بقليل من الحذر .. وقد ارتسم الاتراجع على وجهه ، ثم سأله قبل أن يسرع إلى البيت الأبيض

لائع الرئيس بالنيا بمجرد عودته . هل اطلعت السريطين
والفرنسيين على نص هذه البرقية ؟

ومعنيما هبط « جونسون » من الطائرة في واشنطن ، قلنا من
زيارة لكندا ، أحاطه « واسك » علما بالأمر . وبطلر جونسون على
النور الى اتخاذ التدابير الآتية : فحص صحة هذا النيا بمقارنته مع
المعلومات الموجودة لدى أجهزة المخابرات الأمريكية ، والقيام
بمهم على الفور لدى الاتحاد السوفيتي يطلب منه فيه تهئة
عبد الناصر وسماه من القيلم بأى عمل حرس ، وإرسال خطاب
للمصريين لحيلهم على الامتناع عن أى عمل عسكري تهاتبا
لمواقب تنطوى على تشد الاخطار .

وأرسلت على الفور برقية الى موسكو ، وقع عليها « جونسون »
لتسليمها الى « كوسيجين » .

وفي المساء . . استدعى « مصطفى كمال » سفير مصر في واشنطن
الى وزارة الخارجية لقبله بوجين روستو ، وكان مصطفى كمال
قد دعى بالأمس لمجلسة الرئيس جونسون الذى لبطره بوابل من
التحذيرات ، وانتقد اغلاق المضايق . وكان مصطفى كمال يعرف
أيضا ان احدا لا يظفر اليه في واشنطن على أنه رجل مهم يستطيع
التأثير على عبد الناصر .

وفي المظلة التى استدعى لها ، قال « بوجين روستو » للمص
المصري « لقد طلب من الرئيس جونسون تليفونيا أن أوجه تهذيرا
لحكومتكم . ان بعض الشائعات تقول ان مصر ستقوم قريبا بشن
هجوم ضد اسرائيل . فلنظلم ان حكومة الولايات المتحدة سوف
تصرف في هذه الحالة طبقا لمايقى الأمم المتحدة ، وطبقا لمصاتها
لاستقلال وسلامة اسرائيل . وقد قال الرئيس بنفس كلياته . اننا
قد أول طلقة مارية ، وانما سوف نحترم تعهداتنا ، وأنه يجب
اقرار الأوضاع القائمة في المنطقة » .

وامسترد روستو في حديثه قائلا : « ان وتوع هجوم من
جائكم ضد اسرائيل يعتبر بمثابة انتهاك » .

واحد مصطفى كمال المحكرة التي حررت على عجل . وفي الليلة نفسها وصلت الرسائل الى موسكو والى القاهرة .

وبل مرور لحظات أخرى ، ذهب « روستو » الى المشاء الذى كان معدا بيه وبين « ايبان » وقال له . ان دين راسك يطلب منك الحضور مورا الى مكته .

واسرع ايبان ليخايل راسك . وفي المظلة قال له ودير الخارجية الأمريكية : « لقد راحت احمره محابرانا معلوماتكم ، ولم نجد أى دليل يسهح بالاعتقاد بأن المصريين يستمعون للقيم بهجوم مفاجئ . ان القوات المصرية فى سبناه لم تتخذ شكل الهجوم ، ثم ان خراسا يعتقدون ان مصر لن تقوم بظهور قبل ان يقدم أولقت تقريره ، عقب موافقة من القاهرة ، الى مجلس الأمن » .

ورد عليه ايبان قائلا : « ان حكومتى ما كانت لترسل لى مثل هذه الشرفيات العاجلة الا لأنها متأكدة من معلوماتها . وانى اطلب منك نحصى هذا الموضوع من جديد » .
وأدعى راسك لهذا الطلب .

فى صباح ٢٦ مايو ، بحث ليندون هونسون مذكرة ثلاثية سلمت اليه وأعدتها ثلاث مجموعات من الخبراء . كانت كل المعلومات التى تهويها المحكرة متطابقة وتتفق على نقطه أساسيه . لا دليل على احتفال وقوع هجوم مصرى ضد إسرائيل فى الساعات أو الأيام القادمة . وقال أخصائيو وزارة الدفاع الأمريكية فى مذكرتهم « انه اذا . . شئت الحرب فى إسرائيل مسخر انتصارا حاسما فى خلال بضعة أيام » . وتقدر القوات الأمريكيةون أنه فى هذه الحالة فان المدرعات ستعترق طريقها بالقوة فى اسحاء السويس ، وسيجسب الاصراف هجوم جوى . وقد سوا رأيهم على لفس الاستراتيجية الهجومية التى انتهجها الجيش الاسرائيلى منذ عدة سنوات .

ولم يكن هونسون يرغب فى مقابلة « ايبان » على الفور على الأقل . أنه لم يكن يعرف ما يسمى ان يقوله له . لقد طلب من

مساعدته أن يؤجلوا ، بل وأن يؤخروا — إلى أقصى حد ممكن —
اجتماعه مع أيان .

وعندما اتصل « دين راسك » بالسفير الإسرائيلي لميخائيل هيبا
إذا كان أيان سيظل موجودا حتى السبت . . مهم السفير من ذلك
أنها محاولة مهددة لتأخير اجتماع (جونسون) مع « أيان » لمدة ٢٤
ساعة على الأقل .

وبعدها بقليل . . اتصل أيان براسك ليقول له : « كلا ، لن أكون
في واشنطن غدا ، أدبني أن أغيرها في هذه الليلة بالذات ، حيث
أنه سيتم في إسرائيل اجتماع حاسم لمجلس الوزراء صباح يوم
الأحد ، وربما يكون هذا أخطر اجتماع في تاريخنا . لن كل شيء في
هذا الاجتماع سوف يتوقف إلى حد كبير على ما سيقوله الرئيس
جونسون . أن إسرائيل يجب أن تكون قادرة على الاعتماد بدون
تحمض على المساعدة الأمريكية . أن تقرير « لونغت » لن يغير شيئا ،
سواء إلى الأخص أو إلى الأسوأ . أني أعتني أن تشمل الحرب
في الأسبوع المقبل في الشرق الأوسط . أن المؤتمر المصري في شرم
الشيوخ يعثر حثا من امسك الحرب يسمى أن يدافع عن أنفسنا
ضده . . والوسيلة الوحيدة لتحاكي الحرب ، وتعاثي وقوع
كارثة ، هي أن يصدر الرئيس نصريحا حازما جدا يعلن فيه أن
الولايات المتحدة ستقوم غورا ، سواء وحدها أو مع حلفائها ، بلدغ
المضايق . أن مدور مثل هذا التصريح — مع تكيده بخطاب من
« جونسون » إلى « أشكول » يحوي الاتصالات الفنية المتعلقة
بالعمليات العسكرية المتوقع أن يقوم بها الأمريكيون ، يمكن أن
يشكل — في رأيي — الوسيلة الوحيدة لحل الأزمة . »

وأجاب راسك مايجاز : « أننى ألهيك » . ثم وضع سماعة
التليفون وهرب إلى للرئيس جونسون .

وشعر جونسون مليشيا عندما أبلغه « راسك » بنص هذا
الحديث وقال : « إذا كان السيد القاتم من تل أبيب في عجلة من
أمره للمعد إلى بلاده » ثم قال وقد استولى عليه الحق لأحد
مساعدته . « أننى لا أحب أن يوضع مبدس على مدغى . أن

مجلس الوزراء الإسرائيلي الذي سيجتمع يوم الأحد ، والذي سيقدر السلام أو للحرب .. أنها هو انداء نهائي . اننى لا أحب هذا !

وفي الوقت نفسه .. اثار جوسوف الى انه ربما يستقبل ايبان . وارنف قائلا : « ولكن ليس على الفور ، وانما فيما بعد ، وربما هذا المساء » .

وفي غضون ذلك .. قتل ايبان ، وسعه الملقب بالمسكري الإسرائيلي ، « ماكتلرا » في وزارة الدفاع الأمريكية . وكان (ايبان) يتوقع اجتماعا خاصا ومحمودا ، ولكنه دعش عندما وجد في مكتب وزير الدفاع الأمريكي اثنين من مساعديه ، والجنرال « هويلر » رئيس هيئة أركان الحرب المشتركة .

واحضر ايبان معه في حافظة أوراقه برقية عاجلة وصلته من اشكول ، أمر بها عن خيمه بأنه تحاء التصريحات التي أدلى بها « رامك » في اليوم السابق ، وطلب فيها ايبان أن يتكلم قبل كل شيء عن الخطر الذي تمثله الحشود المصرية . وبعد ايبان رجعة لاشكول ، ولكنه اضطرم بالارتباك علم .

لقد اقتررب « الجنرال هويلر » من الحادث ، وبهركة مسرحية أبعد عنه سئلا سميكا فكشف عنه خريطة كبرى للشرق الأوسط . وأوضح باحترار أن مصر لا يمكن لها العلة ، وأن إسرائيل ستخرج منتصرة من أية مواجهة عسكرية ! ثم لردف قائلا : « لقد خصصنا هذا الموضوع بواسطة خزانةنا . وهم جميعا على اتفاق في الرأي في أن النصر سيكون من نصيبكم » .



وسأل ايبان بالبحاح ماذا لو هاجموا مطارنا ؟

فاجاب هويلر : « سواء حادت الصرمة الاولى من جانبكم أو من جانبهم فاننا نعتقد انكم الأقوى ، وأنتم مستعدون في كلتا الحالتين » .

وتناول الحديث مسألة القوة المحركة التي تخصص لاحتكام المصالح . وشرح مكنمرا أنه يعارض هذه الفكرة تبعا ، وقال «نفرض أننا استطعنا وضع أسطول دولي . أن القوة التي يستشكل على هذا النحو ستتر في المصالح مرة ومرتين ، وثلاثا . وستبقى في المنطقة شهرا ، وشهورين ، وثلاثة شهور . أن هذا سوف يترك عدة مليارات من الدولارات . ثم ماذا بعد ذلك ؟ أن هذه القوة لن تنل إلى الأبد في المنطقة ، وسوف تفرق . ماذا سوف يحدث إذا ظهرت ساحرة إسرائيلية بممردها دون حراسه في المصالح ؟ هذا هو الإحباط الحقيقي » .

وعند الظهور . . سلم دين راسك وروبرت مكنمرا تقريرا مشتركا إلى الرئيس جونسون قبل استقال الأخير لايسل . وقد أحسب في هذه الوثيقة — السرية للعلة — الأعمال المحظفة التي يسكن القيام بها ، وحثا التقريب بهذه الصارات : باحتصار . . يبدو أنه ليس أمام الولايات المتحدة سوى أحد حلين :

١ — إنشاء قوة بحرية تشترك فيها عدة دول .

٢ — ترك إسرائيل تعمل وحدها .

وفي القاهرة . . نشرت صحيفة الأهرام في هذا الصباح مقالا الانتقاضي الأسبوعي وجاء فيه . « أن وقوع مواجهة عسكرية مع إسرائيل أمر لا مفر منه . أن العامل السيكولوجي يسيطر إسرائيل إلى أن تعلن تحديها للحرب » .

وفي الصباح ، التي حيل عبد الناصر خطبا أمام اللجنة المركزية لاتحاد المقابات العربية قال فيه : « . . إذا هاجمت إسرائيل سوريا أو مصر مثنا جميعا مسحتل الحرب ضدها ، وسيكون هدمنا الأساسي هو تدمير إسرائيل . أنني لم أكن أستطيع أن أقول مثل هذا الكلام منذ ثلاث سموات أو خمس . . وليس من عادتني أن أعدد شيء لسبب قلنا على تحقيقه ، أما اليوم فأتس مقتنع بالنصر . أن مصر تتوقع في كل لحظة هجوم إسرائيل الذي سيبيح لنا الفرصة لتدميرها » .

وكان عيد الناصر قد عقد قبل ذلك يوم واحد . . اجتماعا استمر أربع ساعات في غرنه الميليف بمينة أركس الحرب المصريه ، واقترح بعض الضباط أن تبدأ مصر القتل ضد اسرائيل ، عبر أن عيد الناصر لم يشاركهم وجهة نظرهم ، ومصل حطة أخرى تقضى بانتظار وقوع هجوم اسرائيلى قبل أن ترد عليه بمصر مصرية قاتلة . وقد أعدت في سيناء ثلاثه خطوط من الامتحكات . وسبحاول الجيش المصرى وقف الهجوم الاسرائيلى عند الحط الاول ، فاما لم يسمع في ذلك ليل القوات سوف تتراجع الى الحط الثانى أو حتى الى الحط الثالث ، حيث تستطيع أن تحتل الصنية ، وستصبح صحراء سيناء قاتلا للجيش اليهودى ، ثم يتحول الجيش المصرى الى الهجوم على الاراضى الاسرائيلية .

واعترض بعض الضباط قائلا ، ان الخطوط الثلاثة غير موجودة في الواقع ، لأن معظم القوات المصرية قد حشيت على الحدود الاسرائيلية . والفريضة الراسمة هي وحدها التى ترابط في المؤخرة . ولكن الأمر استقر على حطة ناصر .



تحدثت الساعة السابعة موعدا للاجتماع بين جونسون وايبان . وفي هذا الاجتماع اشترك في المناشات خبراء كثيرون ، بعضهم حضر الاجتماع كائلا ، والبعض الآخر دعى للأدلاء برأيه في نقاط معينة في اجتماعه . وهكذا مر أيام لنا ايبان كل من فيه رأسك وماكتمارا وخبراء وزارة الدفاع والأخوان روستو (يوجين ووالث روستور) وغيرهم .

وبدا « ايبان » الكلام واثار ممسلة الحشود العسكرية في سيناء التى تعرضت كيان اسرائيل للخطر وقال « ان عند الناصر يريد أن يخرض الحرب ضحا ، وهو مستعد . ومعلوماتى في هذا المجد مؤكدة » .

ولم يصنقه جونسون ، وسأل ماكتمارا . . الذى أحاب قائلا « ان جميع أجهزة محارباتنا متفقه في الراى على أن المصريين ليس لديهم النية أو القدرة على مهاجمة اسرائيل » .

لها بالنسبة لمسألة فتح المضائق لقد قال جوسون : « أعتقد اننا نستطيع فتح المضائق ، ولكن الذي يهم ليس ذلك الذي يعتقدون جوسون ، وانما ما يقوله رسمياً رئيس الولايات المتحدة ، والرئيس ليستطيع ان يتكلم بدون موافقة الكونجرس » .

واضاف جوسون قائلًا في سخرية مريرة : « ان هؤلاء الذين يطلبونى بعدم ارسال اى حذى بعد الآن الى فيتنام ، يلحون على لي ارسال كل حاملات الطائرات الأمريكیه الى خليج التونة » ! .

ثم قرأ جوسون مشروع بيان سيلقيه عن المسألة كلها ، ووضح البيان ليام ايبيل وهو يقول : « انكم تستطيعون العمل في نطاق مجموعة دوليه . ولن تفقدوا شيئاً اذا حاولتم ذلك » .

ورد عليه ايبيل قائلًا : « انما لا نستطيع ان نعيش هكذا . اننا على وشك اتخاذ قرار خطير جداً لانه ليس لنا خيار - الا بين التسليم او الحرب - ونحن لن نسلم ... ونحن نريد أن نعرف من الذين سيقومون الى جانبنا وما اذا كانت الولايات المتحدة سوف تحترم التعهدات التي قطعتها على نفسها في عام 1957 . لقد أجريت محادثات مع فيجول الذي اقترح عقد اجتماع بين الدول الكبرى . واعتقد انه في غضون هذا الوقت قد يصير رأيهم نظراً لأن الروس رفضوا هذا الاقتراح . وعلى الأقل سفضل بصانع الاسلحة الفرنسية مفتوحة أمامنا . وفي لندن لاحظت انه توجد رغبة في العمل ولكن بشرط واحد وهو ان تشركوا انتم ايضاً في العمل . وهكذا على كل شيء يتوقف عليكم . ان لدى سؤالين أرغب في توجيههما لكم : هل سيقاتل وحدها ، ام انكم ستقفون الى جانبنا ؟ .. و ما هو المدى الحقيقي لتعهداتكم ؟ » .

وتهرب جوسون من الاجابه على السؤال الاول وقال : « يجب القيام بعمل قانوني ضد المصار المرفوس على مضائق تيران ... انكم تتحدثون دائماً عن مجلس وراثكم الذي سيجتمع يوم الأحد . وليس هذا من شأنى .. فلماذا كنتم تريدون أن نقف الى جانبكم نرجب اولاً ان نتجه الى الأمم المتحدة . يجب ان يكون هناك نوع

من الميل الجماعي ... اننى لرمذ ان تهر السفن الاسرائيلية في
المصديق ، واثار ذلك ستكون اهم كثيرا من مجرد رمع الحصار ...
ان اياما عصيبة تنتظركم . فلذا كنتم ترون ان يكون بجانبكم في
المستقبل فيصعب ان تنتظروا قليلا . اننى لمست غمرا ولست
ضميما او خشنا . ويسمى ان احرب كل الواسط المكنة لاعادة مسح
الطريق الحرى » .



في اسرائيل .. كانت الحكومة وهينة لركايل الحرب ورعباء البلاد
يجبسون انفسهم في انتظار النتائج التي سوف تسفر عنها محادثات
اينال وجوسون . غير ان « اينال » لم يعدم ارسال برقية نصي
هذه المحادثات الى اسرائيل . ومسل ان ياخذ التقرير معه

وفي اللثنية والربع صباحا من الليلة نفسها .. تحدث بمسجد
مسجد الاتحاد السوفييتى الى سكرتير « لشكول » وقال ان السفير
السوفييتى - تشوفاخين - يريد الاجتماع فوراً مع رئيس الحكومة .

وعندما نمت المقاتلة في الثالثة صباحا ، كل « تشوفاخين »
يحمل رساله من كوسيجين جاء فيها : « اننا نطلب منكم ان ننزلوا
اقصى ما في وسعكم لتخاضى وقوع صدام عسكري قد يسفر عن
عواقب خطيرة بالنسبة لتصميم السلام والامن الدوليين
ونحن نأمل في انه بعد ان تكون الحكومة الاسرائيلية قد فكرت
طريقة جادة في الموقف وفي المسئولية التي بمسئوليتها الطرب الذي
يهدد في المطلق الدار ، ان تفتن تمسارى جهدها لتخاضى وقوع
صدام مسلح في الشرق الاوسط » .

وفي الوقت نفسه وصل السفير السوفييتى في القاهرة الى
مئزل الرئيس عبد الناصر في الثالثة والنصف صباحا ، وجاء في
الرسالة التي يحملها السفير « نطلب منكم عدم التقييم باى عمل
عسكري » . وكان ذلك عقب عقب البرقية التي ارسلها جوسون الى
كوسيجين . وأكد عبد الناصر لقبيله السوفييتى انه ليس لديه
مطلعا نوايا من هذا النوع .

وفي الوقت نفسه ، أرسلت موسكو برقية عاجلة الى واشنطن
لإبلاغها الى الرئيس هوسوب ، وتضمنت ما يلي : « ان المعلومات
القائلة بأن مصر تساعد لمهاجري اسرائيل هي معلومات مملقة تماما .
وبالعكس . قل معلوماتنا تشير الى ان اسرائيل تنوى القيام بعمل
مسلح ضد جاراتها المصرية . اننا نعرف ان العرب لا يريدون حديدا
مسلحا . ان الاتحاد السوفيتي يتوجه الى الولايات المتحدة لمطلب
منها اتخاذ كافة التدابير التي تهدف الى تحييل وقوع مواجهة
عسكرية ، لان الثغوب السوفيتية والمصرية والاسرائيلية لا تريد
الحرب » .

وكانت هذه الرسالة تحوي عبارة تشكل تحديرا خطيرا موجها
لاسرائيل . « اذا اتحدت اسرائيل مع مصر المبادئ و القيام بعمل
عسكري . . فان الاتحاد السوفيتي سيساعد الدول التي تتعرض
للهجوم »

في وزارة الدفاع الإسرائيلية ، وفي مقر هيئة أركان الحرب .
 كل الجميع يشعرون رائحة البارود . وطبقاً لما تقوله الصحف
 الأجنبية .. على الوحدات الإسرائيلية المسلحة في صحراء النقب
 كانت مستعدة لتتحرك في محر اليوم التالي . وفي صباح يوم ٢٧
 مايو اجتمع « لشكول » رئيس الوزراء ، إسحاق رابين رئيس هيئة
 أركان الحرب ، وانضم إليه الحرب وشبكة الوقوع .

وكانت الحكومة الإسرائيلية تنتظر بفرع حذر موقية واشتمل
 الدبلوماسية ، التي تعوي تقرير أبا إيبيل من محافظته مع جوسون
 وهذا اتصل مدير مكتب لشكول تليفونيا بالسفير الإسرائيلي في
 واشنطن يستعجله في إرسال التقرير ، علم به أن هناك تعليمات
 من أيبيل بعدم إرساله بالشفرة انتظاراً لوصوله هو إلى تل أبيب .
 واستشاط أشكول غضباً وطلب إرسال موقية فوراً بهيوسون
 المحادثات ، وعدا هو ما حدث فعلاً بعد ساعات قليلة .

وفي هذا اليوم نفسه - ٢٧ مايو - قدم أوثانت السكرتير
 العام للأمم المتحدة تقريراً إلى مجلس الأمن عن ريارته لمر ، وطلب
 إليه من كلا الطرفين مهلة أسبوعين لالتقاط الانسحاب ومحاوله حل
 الأزمة . ولكن المصريين كانوا يتحجلون استعجال معاهدين وطلبوا
 بتأجيل مثلثة عاجلة حول مسألة إسرائيل العدوانية خلال
 السنوات الثماني عشرة الأخيرة .



في الساعة الثامنة والنصف مساءً ، وصل أيبيل بال طائرة إلى
 تل أبيب قادماً من واشنطن . وعلى الفور افتتح اجتماع مجلس
 الوزراء الإسرائيلي ، مع لي راديو إسرائيل كان قد أعلن أنه سوف
 يجتمع في العدد . وقد حضر الاجتماع عدد من قواد الجيش ووزراء

وراره الخارجية وتحدث ايبان بالتفصيل عن رحلته الى اوربا والولايات المتحدة ، وسحب من حقيبته مرسوم مصادقته مع ويلسون وديجول وحوسون . كل التقرير المجلس بمصادقته مع حوسون وحده يتضمن تسع صفحات كتبت على الآلة الكاتبة .

وروى ايبان كلمة كلمة تقريبا ، لقوال حوسون التي طلب فيها أن تنظر اسرائيل لسومبي أو ثلاثة ، تحاول الولايات المتحدة حلها ايجاد حل للأزمة في نطاق الأمم المتحدة أو غيرها . ولكن « ايبان » كل غير دقيق في كثير من النقط . فقد أعلن عدة مرات أن جوسون تعهد أهله على الولايات المتحدة سوف يفتح المضائق بأي ثمن مع غيرها من الدول أو وحدها اذا اتفق الأمر ، مع أن جوسون لم يعد مطلقا باسم حكومته القيام بعمل من جانب واحد .

كذلك كان تقرير ايبان عن مصادقته مع ديجول غير دقيق ، فقد ذكر ايبان لمجلس الوزراء أن ديجول يمارض الحرب ، ولكنه لم يبين حيث ثبت شسنة من الموقف العدائي المبرح الذي اتخذه ديجول تجاه أية ملءاء اسرائيليه ، ولا عن السخبرات العديدة التي قال فيها « لاكنسوا الحرب » . . وهي تحسيدات اتحدث شكل انداوب .

وفي السابعة نفسها التي كان فيها مجلس الوزراء الاسرائيلي مجتمعا ، بدأ كل شيء متحرك في صحراء النقب . لقد غادرت طوابير من الدبابات الاسرائيلية والعمرات نصف جريرو قواعدها واستعدت فرق الجيش للتقدم .

وفي القاهرة . . صرح أحد قواد الجيش لدبلوماسي امريكي بقوله « نعتقد هبته لركان الحرب المصرية انه اذا وقع هجوم اسرائيلي فانه سوف يحدث في يوم الأحد الأخير من شهر مايو (٢٨ مايو) — أي غدا في الغد » .

وعادت الوحدات الاسرائيلية في صحراء النقب الى قواعدها . وقد قررت اسرائيل الا تثنى الحرب في هذا الصباح .

وفي واشنطن .. عذر الرئيس جوسون العاصمة الأمريكية الى مرمرته في تكلمه . وكلل الايعاث الرسمي لذلك هو أنه يريد أن يستريح هناك خلال عطلة نهاية الاسبوع . لكن البعض أكتوا أن الرئيس الأمريكي كلل يرمي في الهرب من الضغط المراد الذي كلل يتعرض له البيت الأبيض من جانب المنظمات اليهودية الموالية لاسرائيل .. وكين جوسون يتصل من مرمرته مع كل سماعة وأخرى يدين راسك ووالد روستو لحرمة نظورات الموقف . وكان روستو من جانبه يطر السكرة الاسرائيلية بالمكانات الطبيعية المعجلة .

وعندما حل الليل ، سلمت لجوسون الرسالة السوفيتية الموقعة من كوسيجين ردا على برقية الرئيس الأمريكي المرسله يوم ٢٦ مايو . وقرر جوسون أن يرسل على الفور رسالة جديدة الى « ليلي اشكول » يطلب منه فيها الامتناع عن القهلم بأي عمل عسكري .

وفي واشنطن .. استندى جوجي روستو السفير الاسرائيلي لكي يطمه أن البريطانيين سيسيل تظم توه بحرية تشترك فيها دول أخرى منها هولندا وكندا ، والى الولايات المتحدة اتصلت في هذا الصند بفرنسا وبنول أخرى . وقال له أن اسرائيل سوف تدمي بدون شك للاشتراك في « القوة لبحرية الدولة » . وقال روستو ان الولايات المتحدة تطب من اسرائيل الانتظار لاسبوعين أو ثلاثة الى أن تنتهى مفاوضات مجلس الأمن ، وربما يصحح الكونجرس على مشروعات الرئيس الأمريكي .

وفي تل أبيب .. قام السفير الأمريكي بتسليم برقية جوسون الى اشكول في المباشرة صباحا يوم ٢٨ مايو . لقد نقل جوسون الى اشكول في رسالته حوهر ما جاء ورسالة كوسيجين اليه ، وأشار جوسون صفة حمله الى المباراة الخاصة بالمعاداب التي سوف يقبها السوفيت للحرب اذا تعرض الاخيرة للمحوم . وقال جوسون في برقيته لاشكول : « معني صدقا لكم ، قاضي أؤكد ما سبق أن قلته لورير حارحيتكم ، وهو انه يجب على اسرائيل ألا تبدأ الحرب » .

وكانت هذه البرقبة ، أحط مرقبة أرسلتها الولايات المتحدة حتى ذلك الوقت لإسرائيل . فقد كانت هذه أول مرة تثار فيها صراحة مسألة وجود تهديد بالتمثل السوفييتي في الشرق الأوسط ضد إسرائيل .

وفي سببناه .. استأنفت الطواير الطويلة ، التي ظلت ترحم طوال الليل من تناء السويس نحو العريش ، تحركاتها في هذا الصباح . وكان من رأي المراقبين في القاهرة أنه من الممكن وقوع هجوم إسرائيلي بين لحظة وأخرى ، وأن قطاع العريش الاستراتيجي سيكون بلا شك مسرحا للمعركة . وقد قررت القيادة المصرية العليا - بناء على ذلك - طلب قوات جديدة منعتة ' الضود القدماء في اليس ، وقد استدعوا على محل ... وجود الاحتياطي والمجدون العدد القامون من معسكرات التدريب في مصر . وبعد فترة قصيرة وصل عدد القوات المصرية التي أرسلت إلى صحراء سيناء إلى مائة ألف جندي ، وألف بنة ، وألف منفع ، و ٢١٥ طائرة .

ولكن التوتر العصبي الذي استولى على القواد المصريين لم يمتكن على وجهه عند الناصر المسم مائتة . فقد عند الرئيس المصري مؤتمرا كبيرا في قصر القبة - وكان أول مؤتمر من نوعه منذ سنوات - وحضرة ثلاثية صهيلى ومصرى ولعنى . لقد أعلن عند الناصر في المؤتمر « إذا كانت إسرائيل تريد الحرب ، غانا نقولها مرة أخرى ، أهلا وسهلا ... اتنى سألعم أبة دولة تتدخل لصالح إسرائيل من المرور في تناء السويس .. أن مصر مستعدة للدخول في مجبهة عامة مع إسرائيل » .

وفي الوقت نفسه .. عين عند الناصر أحد توابه «منظما للشعب» بقصد أعداده للحرب الشعبية ضد المرأة الأجانب ، وأمر وزير الثقافة المصري من حاتنه بحظر عرض أفلام الجنسوسية وحامسة أفلام « جيمس بوند ٧ » التي تطوى على امتداح أعمال « الجواسيس والخرسين على شئ الحروب الاستعمارية » .

وفي واشنطن ، دعا المسئولون في وزارة الخارجية سفير إسرائيل وقالوا له : « أن الرئيس « جومسون » يدرس إمكانية قيادة

المساعدات الاقتصادية لإسرائيل طوال المدة التي تعلق فيها التصبئة وجلة الطوارئ... هول تسيطر على اتلعات بالتفصيل بالمصائب التي تصيبها التصبئة للاقتصاد الإسرائيلي وإطلاعا على العجز الذي تعانيه السيحة ، والحسائر المالية الناجمة عن إغلاق حطيج العقبة ؟ وقد أمهموا المنصر ، لى الولايات المتحدة ربما تزود إسرائيل ، حتى انتهاء الأزمة ، بترول تكفى ومرويل ، ثم قالوا بإشابة مشبعة بالمنازل : « أما فيما يتعلق بشروع القوة البحرية على كل شىء يسير طبقا للحطة الموصومة » .

وقد كانت هذه الحطة قريبة جدا . لاته فى هذه اللحظة ذاتها ، كل ميمونان ليريكيل خاضل فى طريقهما للقاهرة ، وقد كلما بالتوصل الى حل وسط مع السلطات المصرية .

ولى القاهرة .. قام مجلس الأمة — بعد ظهر اليوم نفسه — ٢٩ مايو — بسمح سلطات مير محدوده لمد الناصر ، وسمح له بأن يدرس الحكم بواسطة براسيم ، وهذا هو ما فعله عبد الناصر على الفور . وتطقت وحدات حديدة من اليم الى سميناء ، وظلت التصبئة قائمة على قدم وساق . وبذا كما لو كانت القاهرة ، قد مسها نيار كهربائى من الاعلانات والشعارات التى ملأت الشوارع .

ولى اليوم الدالى .. هبطت فى مطار القاهرة طائرة الملك حسين ، الذى هبط معها برنديا حلة بشير ، وعلى رأسه قنسوة سوداء وعلى رتبه الرسمية جماعا طيلر . لقد صاح وهو يحائق عند الباسر : « أخى عبد الناصر » ، وصاح عبد الناصر وهو يحائق حسين . « أهلا بك يا أخى حسين » وانتهت بذلك حبله ادامية متبذلة كانت مستمرة بين البلدين ، ووقعت معاهدة للدفاع المشترك بين مصر والأردن ، وهى معاهدة كانت تنص — بحلة حاسة — على أنه . « فى حالة نشوب الحرب على رئيس هيئة أركان حرب القوات المصرية المسلحة ، يتولى قيادة العمليات العسكرية فى الدولتين » .

ولى اليوم الدالى — ٣١ مايو — ازداد ضغط القادة العسكريين على الحكومة فى إسرائيل للتعليم معيل عسكري ، وكانت الحكومة قد استعدمت الدفعة الأخيرة من جنود الإحتياطى يوم ٢٧ مايو ، وقد

امسح الموقف — بعد اقلية عند الناصر وحسين — يطوى على
مصرى خطى جدا . لهذا طالب العسكريون بأن يبدأ القتال قبل أن
يموت الأوان .

وفي هذه الظروف قرر « اشكول » أن يرسل إلى واشنطن
شخصيه سياسية من الدرجة الاولى في مهمة سرية جدا . كس
الهدف من هذه الرحلة مزدوجا . لقد كانت ثقة الأمريكيين
بالمعلومات الإسرائيلية قد اهترت منذ أعلنت إسرائيل يوم ٢٥ مايو
١٩٦٧ — وقد استولى عليها الدمر — تلك التحذير الكاذب الذي
قالت فيه أن مصر ستقوم بالهجوم بين لحظة وأخرى ، ولهذا ينبغي
اصلاح الضرر واستعادة ثقة الأمريكيين . أما الهدف الثاني فهو
التأكد من أن « أبا ايبى » قد غلّى فعلا وهذا من أمريكا بالتقييم بعمل
لفتح المضائق . لهذا فقد أرسل « اشكول » بمبعوثه السرى صباح
هذا اليوم — ٣١ مايو — إلى الولايات المتحدة . وحتى بدون هذه
الرحلة المأجلة ، على الإسرائيليون كانوا سوف يكتشفون بسرعة
الحقيقة غيبا يتعلق بمعدات واشنطن — فالأمس أرسل « اشكول »
إلى ليندون جونسون رسالة مأجلة تناول فيها مرة أخرى مسألة
المضيق ، والخطر الذي تطله الحشود المصرية ، ونكر أن عنصر
الوقت يلعب ضد إسرائيل . وضمن الرسالة عبارة جوهريّة تركز
على أساس المعلومات التي جاء بها « ايبى » إلى الحكومة الإسرائيلية
وتقول : « .. وأنى لشكركم على ما وعمدتموه ، من أن الولايات
المتحدة ستستخدم كل الوسائل — بدون استثناء — لفتح مضائق
شبرام أمام الملاحة الدولية » .

إن هذه الرسالة التي وصلت في هذا الصباح (٣١ مايو) إلى
واشنطن .. جعلت « جونسون » يتنر واتنا على قلبه . لقد
استعد المضيف برئيس الولايات المتحدة إلى حد أنه استدعى
« والت روستو » وقال له : « ليس من حقى أن تقدم مثل هذه
الرمود دون موافقة الكونجرس . وما جاء في رسالة « اشكول »
لا يطابق ما قلته لابى .. عليك أن تبلغ ذلك للإسرائيليين » .

وكانت الجهود الأمريكية بالنسبة لمشروع « لقوة الدولية لفتح
المضيق » قد وصلت إلى مرحلة كتلة مشروع بيل دولي لاعلان

الصفة الدوقية للمضائق . لقد أرسلت الولايات المتحدة مشروع هذا البيل إلى ٢٨ دولة للتوقيع عليه ، ولكن معظم الدول التي طلب إليها التوقيع على الميسن ، والاشتراك في التسوية الدولية المقترحة ، قد ردت - حتى قبل أن تطلع على مشروع البيل - بأنها لن توقع ولن تشارك ، وأسرت فرنسا بإعلان رفضها القاطع لأي مشروع في هذا الاتجاه .

وحتى في داخل الحكومة الأمريكية نفسها ، كان من الواضح أن موقف « دين رانسك » وزير الخارجية يتسم بالشمس الشديد . وكان موظفون آخرون في وزارة الخارجية الأمريكية قد تحفظوا من « موقف موضوعي تجاه النزاع » يعمل فيه حساب « المصالح النيروبية للولايات المتحدة » وقالوا . . ولو أنه يجب « ترك الباب مفتوحا أمام عهد الناصر » . وقد أكتت وزارة الخارجية الأمريكية لبيض الصحبيين المتعاطفين معهم أنه « رغم أن السفن الإسرائيلية تستخدم مضائق قبرص ، إلا أن شكوى إسرائيل فيما يتعلق بالأضرار التي تصيب تجارتها بسبب إغلاق المضائق تطوى على المبالغة الشديدة ، وهي بالتأكيد لا تستحق وقوع حرب » . وقد قال « جوريف السوب » الصحفي الأمريكي الكبر بمقيا على ذلك . « أنه لشيء غريب أن تكون سفيرة إسرائيل في واشنطن أكثر تقاللا من الأمريكيين . أن الحرب بمثابة تأكيد خلال اسبوع » .

أما في موسكو فقد قال « الكسي كوسيجين » رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي لجورج براون وزير الخارجية البريطانية عندما احتتم زيارته لموسكو . « إنما ضد أي حرب في الشرق الأوسط » .

وفي باريس تجتمع ثلاثون ألف شخص في شارع فاهرام حيث عطلوا المرور فيه ، وأصرعوا نحو مئتي السفارة الإسرائيلية . وكان معظم هؤلاء من اليهود . . . وقد جاءوا إلى السفارة للأغراب من تأييدهم لإسرائيل . أن اليهود الفرنسيين الذين كانوا يرددون منذ صحة أعوام أنهم فرنسيون قبل كل شيء ، أصبحوا يمثلون اليوم في هذا الحشد الحماة « نحن يهود لولا . لن حرب إسرائيل هي حربا » .

وقد وصلت أحداث هذه المظاهرات الى قصر الاليزيه . وكل من رد الفعل لدى السلطات الفرنسية .. هو انها أصدرت تعليمات وخبره الى اجهزة الامن طلبت منها فيها معرفة الدور الذي قامت به السفارة الاسرائيلية في تنظيم هذه المظاهرة . ونقلت محتلف الإدارات الخوطة بها مزويد اسرائيل بالأسلحة امرا بان ننحصر بنقطة كل طلب في هذا الشأن . وبدأت تظهر عقبات غير متوقعة كلما طلب الاسرائيليون استخدام هذا المطار او ذاك . واحد رجال الجمارك الفرنسيون بفحصهم بنقطة مترابطة كل مستند وكل صندوق . وشكلت لجنة من عدد من الموارات لكي تدرس مصفة عاجله امكان فرض حظر على شحنات الأسلحة الى ترسل الى الشرق الاوسط ، الى اسرائيل .

في صباح يوم اول يونيو ، ارتفعت في واشنطن اصوات عهده ومعايدة نطالب بالوصول الى تسوية مع عبد الناصر . وصرح «داني آرثر» بعلق التلفزيون ويومع نقطة البيت الابيض بقوله ان «الرئيس جونسون يطمع بان مصر لا تريد الحرب » .

ولقد أصبح الاصل في الوصول الى تسوية مع مصر معثودا على رحلي هما : «شارلس بومست» و «روبرت أنفرسون» . لقد وصل بومست الى القاهرة يوم ٢٩ مايو - مؤندا من قبل الخارجية الأمريكية للتفاوض مع المصريين . وعندما قابل محمود رياض وزير الخارجية اماد الوزير المصري على اسمه وجهة النظر غير الرسمية لمصر وهي : « ان اسرائيل ستعند للهجوم على سوريا » ، وقد قام السويعيت باخطارنا بذلك في الوقت المناسب » .

وسال بومست : «الا توجد أية فرصة للوصول الى تسوية ؟

واحاب رياض : «مهم بالتأكيد . ان المصريين لا يفكرون مطلقا في ان يبدأوا القتل ضد اسرائيل ، لها ميا يتعلق بالمضايق عيبكن تسوية هذا الموضوع » .

ولكن محمود رياض رفض ان يوضح كيف يمكن ان يتم ذلك ولم يقتنع « بومست » ، وانص الى مهمته فشلت . ومع هذا فقد

أرسل برقية إلى واشنطن قال فيها : . انه يحس ترك باب
لعبد الناصر لكي يخرج منه .

وبالإضافة إلى المبعوث الرئيسي يوست ، فقد وصل إلى
مصر مبعوث مصري في تكتم شديد وكان مروءا من قبل البيت
الأبيض بتعليمات محددة هي : مقابلة عبد الناصر . وكان هذا
المبعوث الخاص الذي يعرف عبد الناصر هو « روبرت أندرسون »
الوزير السابق في عهد حكومة ليرنهالز .

وقد عبط « أندرسون » في مطار القاهرة يوم ٣١ مايو في سرية
مطلقة . ولم يتح للسفير الأمريكي في القاهرة أن يراه سوى بضع
لحظات فقط في الفندق ، كما أن « أندرسون » لم يستخدم أجهزة
السفارة في نقل تقاريره إلى واشنطن .

وفي صباح اليوم التالي — أول يونيو — انطلق أندرسون سرا
في مكتب عبد الناصر .

لقد استمر الحديث بينه وبين عبد الناصر طويلا ، وقد
رفض الرئيس المصري أن يتراجع عن موقفه في مسألة المضائق وقال
« أن موقفي نهائي » ولم يقبل عبد الناصر من الاقتراحات سوى
واحد هو ' إرسال مبعوث مصري كبير إلى واشنطن لإجراء مفاوضات
مع المسئولين الأمريكيين . وقرر أن يرسل عبد الناصر نائبه إلى
واشنطن يوم الأربعاء ٧ يونيو .

وفي تل أبيب ، استدعى « لشكول » « موشي دايان » إلى منزله
واقترح عليه تولي منصب وزير الدفاع ، ووافق دايان . وبعد
انتهت أزمة كبرى عاثتها الحكومة الإسرائيلية خلال الأيام
السابقة ، فقد اضطرت الحكومة أخيرا إلى الاستجابة لصعوط
الصيكرين والمسيين ، بتشكيل حكومة اتحاد وطني تضم دايان
وزيرا للدفاع . ولقد كان تعيين « دايان » وزيرا للدفاع — في أول
يونيو — يشكل قرارا في حد ذاته هو : تعهد عبد الناصر .

وفي القاهرة . . . عقدت القيادة العليا اجتماعا طويلا يوم
٢ يونيو بحضور عبد الناصر ، وكانت القاهرة ترى أن حدة التوتر

الدولى قد حلت ولم يثر تعيين « موسى دايلان » وريثا للذئاع تلقا ميالما فيه . كان من رأى أجهزة المحادثات المصرية أن « اشكول » حاول بهذا التعيين الرد على انتقادات حصويه واستعادة الثقة التي اهترت بحكومته .

ولهذه الأسباب . . وحدث القاهرة أنه من المناسب فحاشي وتوقع مواجهة عسكرية ماى نس ، وعدم انلحة الفرصة للاسرائيليين للقيام بهجوم ، وكسب الوقت . وكان هذا بمثابة امر واجب التنفيذ .

وظفت مصر ترسل تعزيزات الى سيناء بنون هذب معين . وقد اذاع قائد الجيش امر ثمل جديدا قال فيه « من المحتمل أن تقوم اسرائيل قريبا بهجوم على الجمهورية العربية المتحدة . وقد عملا لذلك حسابا في خططنا وانس اطلب منكم جميعا أن تكونوا يقظين » .

ان مصر لم تكن تتوى شس الحرب .
ولكن اسرائيل كانت تستعد لهوض المعركة .



لقد استمع « موسى دايلان » عميله في وزارة الذئاع ، بأن طلب من الجبرالات أن يقدموا له في المساء بمسه خطط عمليات هيئة اركان الحرب . وحوالى الظهر من اليوم نفسه ٢ يونيو ، عقد في منزل « اشكول » اجتماع وراى محدود اشترك فيه دايلان وايبلى وايجال آلون ورئيس هيئة اركان الحرب . وعرض دايلان في هذا الاجتماع خطفه بشأن الحرب وهي تهدف الى تفسير الجيش المصرى في سيناء واحتلال مساقب نيران .

لقد قال دايلان للصراوات : حذرونى من خططكم فاذا لم يكن لديكم شيء منها فلى لدى خططا . ولكن الصبيح كانوا يعرفون ما هي مشروعات دايلان ، فقد عرضها أكثر من مرة على قواد الجيش ، وتحدث بشأنها أيضا مع رئيس اركان الحرب أثناء لقاءاتها خلال فترة اعلان الطوارئ . وعرض « اسحاق رابين » على « دايلان » في

الاجتماع مشروعته الهزيمه وهو يهدف الى اخضاع سيناء على اربعة محاور - محورين في الشمال في قطاع رفح ، ومحورين في الجنوب في قطاع القصية ، في اتجاه بصكر ابو عجيلة المحصن ووافق دايان على هذا المشروع في جلسته . . ولكنه طلب أن تحدد بوضوح اهداف هذه الحرب على النحو التالي : تعمير الجيش المصري ، واحتلال شرم الشيخ .



في الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي (السبت ٣ يونيو) اتصل مدير ادارة المخابرات والشرق الأدنى بورار* الحارثية الفرنسية بالسفارة الإسرائيلية في باريس واستدعى الوزير المفوض الإسرائيلي لمقابلته .

وفي المقابلة . . قال المسئول الفرنسي للممثل البلجيكي الإسرائيلي : أبلغك أن فرنسا قررت أن توقف مؤقتا شحنات الأسلحة التي يرسلها الى الشرق الأوسط .

وكن هذا لا ينطبق الا على اسرائيل فقط ، لأن فرنسا لا تشحن أسلحة للشرق الأوسط الا لاسرائيل . لقد شرح المسئول الفرنسي في هذه المقابلة أسباب هذا الحظر . كل السبب - شبه الرسمي - هو أن المسحبات تحدثت أكثر من مرة عن شحنات الأسلحة الفرنسية لاسرائيل ، ومخالفة عن مسألة « بورنو » نهدد يومين هبطت أربع طائرات مويج ثلثة لشركة (العال) الإسرائيلية في « بورنو » حيث شحنت بالأسلحة وقطع غيار . ونظرا لأن مطار « بورنو » يستخدمه كل من السلاح الحوي الفرنسي والطيران المدني ، فلم يكن من الصعب تصوير الطائرات أو اعداد مقالات للمصحف التي ستصدر في اليوم التالي .

أما السبب الرسمي للحظر ، فقد كان قاطعا . لقد قال المسئول الفرنسي : أن فرنسا ليست مرتبطة بأي طرف من أطراف النزاع ، وهذا هو السبب في أننا لن نرسل أسلحة للشرق الأوسط

وفي الساعة نفسها .. اتصل وزير الدفاع الفرنسي بحورج بومبيدو رئيس الوزراء وطلب منه رفع الحظر المفروض على شحنات الأسلحة المرسية الى اسرائيل . وقد رد عليه بومبيدو - بعد بحث سريع للموضوع - انه يمكن الاستمرار في ارسال الشحنات التي تم الاتفاق عليها . ان غاية ما فعله بومبيدو .. هو انه سمح بشحن صناديق الأسلحة الجاهزة في اقميس ، وانما شحن الطائرات الاسرائيلية التي وصلت مملا الى باريس . وهكذا فان الحظر لم يناحل الا لمدة اربع وعشرين ساعة .

وفي الساعة السابعة مساء من اليوم نفسه (السبت ٢ يونيو) وصل الى قصر الاليزيه محمداً أحد الزوار . وكان هذا الزائر هو « والتر اينس » سفير اسرائيل في باريس . لقد ادخل السفير الاسرائيلي في سرية تامة الى الحمرال فيصول ، وظل الاثنان وحدهما وجها لوجه .

وكان ديغول يبدو في هذه المرة أكثر هدوءاً منه عندما اجتمع اليما اينس منذ عشرة ايام . ولكن رأي ديغول في هذه الامة انها لم تغير .. لقد حلل الموقف في هذا الصباح أمام أحد المقربين اليه لقال : « ان فكرة الروس كانت ترمي الى تسليم الموقف في الشرق الأوسط ، وهذا هو السبب في انهم دفعوا المصريين لكي يخطوا مساهمة . وكانوا يعتقدون انه اذا استمرت حوادث الصنود ، واستمر شغل المصريين ، واستمر جمع القوات المصرية لمدة بضعة أسابيع أو بضعة أشهر .. نزل الموقف سيميل الى نقطة الانفجار ، وعندئذ ستجد الولايات المتحدة نفسها مضطرة الى ارسال قوات الى الشرق الأوسط للدفاع عن اسرائيل ضد هجوم عرس محتمل ، مما يؤدي الى تحويل النزاع الى حرب على مدار الحرب البشائية . ولكن عند الفاصر استطاع التخلص من مضطرة الروس ، فامرسل الى الحدود الاسرائيلية قوات تفوق ما كان متوقعا .. كما اعلق ايضا بمضيق تيران دون ان يستشر موسكو . وهكذا ازداد حذر تصاعد الحرب ثقفا ، وسمح من الممكن ان يتدهور الموقف الى حد وقوع محادثة عسكرية بين الدولتين الكبريتين ، وسمح من الضروري تخشى ذلك بأي شئ » .

وقد أعاد « ديجول » أثناء اجتماعه السري مع سفير إسرائيل
ترديد تهديده فقال - « لا تكونوا الماحقين بالطلاق النار » ولم يكن
سفير إسرائيل مستعدا لهذه المقابلة ، ولكن موضوع الحفيث الذي
جاء من أجله والذي كان يهيم في المقام الأول هو - الحظر الذي
فرضته فرنسا على شحنات الأسلحة إلى إسرائيل .

ولم يحاول « ديجول » حتى الاحتياض طلب أعمار رسمية .
لقد ألح السفير الإسرائيلي صراحة أنه قرر وقف شحنات الأسلحة
بمجرد بدء مشوب الحرب . وقال أنه إذا أترك عملاء فرنسا - أو
بعبارة أخرى إسرائيل - أن يسلحوا سلاحهم قد وصلت ، فإنهم
سيهدرون الدماء في أحضان الحرب .

وشرح السفير الإسرائيلي بلمهبط . . أن مثل هذا القرار لن
يسمى سوى إسرائيل التي تشتري كل سلاحها تقريبا من فرنسا .
أما الدول العربية ، فإنها على العكس تشتري من الاتحاد السوفيتي
كميات ضخمة من المتار المسكوي ، ومع هذا فإن أحدا لن يهتم
ولو لحظة واحدة بوقف شحنات المدافع والذخائر المرسله إلى
مصر وسوريا .

ولكن « ديجول » ظل صليبا كالصخرة ورفض رفع « الحظر
الوقائي » الذي فرضه على الأسلحة المرسله إلى إسرائيل . لقد
قرر ديجول السفير الإسرائيلي قوله - « لا تشبوا الحرب التي
أعرف أن الطرف الآخر لا يريدوها . لقد مدلت كل ما في وسعي
لمحاثة الحرب . وهناك حل واحد ، وهو موجود في أيدي الدول
الأربع الكبرى » .

ورد السفير قائلا . . أن مصر قامت بميل عدواني عندما أغلقت
المضائق ، وأشار إلى التهديدات التي ترددها الدول العربية ضد
إسرائيل .

وأجاب ديجول ' « إذا تعرضتم للهجوم ، فلن تتركوا لكي
تصبحوا ضحية للتدمير ، وأنتم مقتنع بأنكم إذا نشبت حرب ،
فسوف تكلفكم الكثير من الصغار والدماء ، كما أنها لن تحل أي

مشكلة . وسيكون لربما عليكم بعد عشر سنوات أن تعذبوا من جديد » .

واستطرد ديجول قائلا لكنه يفكر بصوت عال : « أتى لا أعرف إذا كانت الحرب ستشعب أم لا . وأنت أيضا يا سيدي السفير لا تعرف » .

وأضاف قائلا : « لا تصموا بلكم في الولايات المتحدة ، فهي لن تنقذكم » .

وخرج السفير من « قصر الأليزيه » وقد ملأه إحساسا هيبق بالمرارة وهيبة الأمل . لقد ثابت عرسا من حلقب واحد بوقف شحات الأسلحة إلى إسرائيل في أشد لحظات وجودها حرجا . وقد مرض هذا الحظر على إسرائيل قبل أن تطلق رسالة واحدة .

وقد باذر السفير برسائل برقية إلى تل أبيب ، شرح فيها مضمون حديثه مع ديجول وقال فيها : أنه لم يحدث أى تغيير إحصائى في موقف الرئيس الفرنسى . بل على العكس ، فهو شغيب الذى أمر بوقف إرسال شحات الأسلحة إلى إسرائيل لأنها من القلبم بأى عمل عسكري .

لمر أن السفير لم يعرف كل شيء . فهو يجهل الصدرات القومية التى وجهها ديجول إلى رئيس ورائه « جورج بومبيدو » بسبب المستندة التى يبدونها آل روتشيلد لإسرائيل . لقد استشاط ديجول غضبا من يظنة الشعور القومى اليهودى لدى بعض الفرنسيين ، ورأى في ذلك ما يشبه الحيلة . وبعدها قال بومبيدو — وهو متضيق — لأحد أفراد أسرة روتشيلد « قل لأصدقائك أن يوقفوا انتادهم لمسانة الحكومة الفرنسية ، لأنهم لا يعرفون أين توجد مصلحتهم » .



وفي تل أبيب .. قال الصحفي البريطانى : « ومصفون تشرشل » لوشى دايل الذى دعاه لاجول العداء : « كلنى جدى في حاجه إلى هظر لكى يصل إلى الحكم » .

ورد دايان قائلا : « لقد اتفقتي الأمر أيضا حشد ٨٠ ألف
جندي مصري في سيناء لكي أحمل على منصب وزير الدفاع » .

وقد قال دايان للصحفي الشاب ما معهم منه ، ان الحرب
ليست وشيكة الوقوع . وعندما سأل « وسنوت تشرشل » محجر
لنفسه مقدما على أول طائرة تطلع في الحد إلى لندن .

وفي الساعة الثالثة ، وصل « موسى دايان » إلى قاعة
الصلوات . وفي الساعة الرابعة عقد في نادي المخالفة أول مؤتمر
صحفي له أهم مثل من مراسلي الصحف الأجنبية ، ومن بين
أجابه على الأسئلة العديدة التي وجهت إليه . كتب هناك أحادة
تسلطت النظر . . فعمدا مثل في المؤرطة الدبلوماسية التي
وجدت إسرائيل نفسها فيها بعد أعلاقي المصايق قال « في الوقت
الحاضر ربما كنت الوقت مبكرا أكثر مما ينبغي . أو متأخرا أكثر
ما ينبغي . فهو ربما كنت مبكرا أكثر مما ينبغي لاستعلام نتائج
بشأن العمل الضلومسي الذي يجب القيام به بشلي هذه المسألة » .

وقد استنجد الصحفيون من هذا الكلام . ان دايان لا يتوقع
شوب حرب في الأيام المقبلة .

وفي الوقت نفسه حصل كثير من الجنود الإسرائيليين على
أجازة قصيرة . بل ان هذه الآف من جنود الإحتياط تم تسريحهم
في الوقت نفسه بعد أن أطلعوا بكلمة السر التي تداع في الراديو أدا
مساء لوقف . وعندما رأى « آرثر جولدرج » المندوب الأمريكي في
الأمم المتحدة صور الجنود الإسرائيليين في أجازة والتي بشرت في
النوم التسللي ، اكتمر وجهه وقال : « ان هذه الحكايات المتعلقة
بالجنود الإسرائيليين الذين حصلوا على أجازات لا تثير سروري
وحيث أني أعرف هؤلاء الإسرائيليين . . على هذه الحكايات ربما
تمنى انهم سيعلنون الحرب عدا » .

و القاهرة . . . قلم سفر الاتحاد السوفيتي بريلة عبد الناصر
في هذا المساء (السبت ٣ يونيو) وقال له طلقا لما نلقاه من حكومه
من معلومات . ان الأزيمه في طريقها الى الهند و ان اسرائيل لن
تقوم بالهجوم .

وفي تل ابيب . بحث السفير السوفيتي « ديمري تشوماجين »
ببرقيه الى موسكو ضمنها وجهه نظره ، وهي ان اسرائيل لن
تفعل شيئا مثل مضي السبعين .

وفي واشنطن . . دعا « والت روسو » ممثل اسرائيل لتناول
طعام العشاء على مأتمه وقال له « اسطروا حتى يهله الاسوع
المقبل قتل ان تقرروا العمل » .

ولكن المندوب الاسرائيلي لم يمس بيت شقة . لقد كان
يعلم ان الحرب نفسها قد أصبحت ممثلة ساعات .

وفي اليوم التالي (الأحد ٤ يونيو) عقد « الملك حسي »
مؤسرا صحفيا في هيل وقال فيه : « ان اسرائيل تستطيع ان
تهاجبا خلال الثمانين والاربعين ساعة القادمة . فهي مصادة
على القيام بمثل هذه المناهات » .

اما في القدس نفسها . . فقد اجبعت الحكومة الاسرائيلية
في الثاميه صباحا وعرض عليها « آبه هارمل » السفير الاسرائيلي
في واشنطن تقريره عن الموقف في الولايات المتحدة . وفي الاجتماع
اقترح « موشي دايان » وزير الدفاع ان « تعطى الحكومة سلطة
مطلقة لرئيس الوزراء ووزير الدفاع لكي يستطيعا دفع الجيش
الاسرائيلي الى المعركة اذا دعت الحاجة الى ذلك » . وكل الضميع
يفهمون ما يعنيه ذلك .

ورغم الممارات العاطفة التي تصبها قرار الحكومة . فقد
كان المضي واسحا ، وهو ان اسرائيل ستحوض الحرب . وانصل
« موشي دايان » ليفوتيا بالحقاق رابين رئيس هيئة اركان الحرب ،
لكي يبلغه بقرار الحكومة .

وى الساعة الحالية عشرة مساء ، فقد فى ظل ايدي آخر
احياء مجلس الوزراء برئاسة « تشكول » . اما موثى دايان ،
فقد رقد فى قاعه الميلىفت .

وقبل ان يستسلم « داسى » للنوم ، طلب من احد مساعديه
ان يمر على « بن جوربون » لكي يطلع بقرار الحكومة « قل له
ان الحكومة وافقت على اقتراحى .. وائى اعتقد ان الحشود
المصرية لها طابع هجومى » .

وعندما وصل المسعوث الى منزل بن جوربون .. فكر
بن جوربون لحظة ثم قال : « هل موثى واثق من نفسه ؟ » .

— نعم ..

قال بن جوربون : فى هذه الحالة ، اسحه بركانى !

طوال الفجر ، وفي الصباح المكر ، من يوم الاثنين ٥ يونيو ١٩٦٧ كان ينوالى وصول قواد هيئة أركان حرب الجيش الإسرائيلي ، وعلى رأسهم وزير الدفاع ، الى قاعه عمليات السلاح الحوى الاسرائيلى . وهناك في الساعة السابعة وعشر دقائق بتوقيت اسرائيل انحصى قائد سلاح الطيران نحو الميكرومون والتي بالكلمتين المنق عليها من قبل : « موكيد — جو » .

وأعلن المتحدث باسم الجيش للمصممين ان الجيش الاسرائيلى يقوم بهجوم مصاد على اثر « التحركات المنطوية على التهديد » التي قام بها الجيش المصرى .

برافلت عشرات الطائرات من عدة قواعد جوية في اسرائيل . وكانت تضم طائرات من طراز : مومور — وميراج — وسوبر ميستر وأراجون . . . قد انطلقت في تشكيلات يتكون كل منها من أربع طائرات ، وقد انطلقت هذه الطائرات النفاثة طبقا لتوقيت حسب بدقه حتى الثانية الأخيرة ، بحيث تصل جميع الطائرات في اللحظة نفسها الى اهدافها المنتشرة في أراضي مصر وسيناء .

لقد تم اختيار ساعة الصفر بذكاء ودهاء . . . لصدما تعمل الطائرات الى اهدافها تكون الساعة قد طلعت الثامنة و ٥٥ دقيقة في مصر (وقرق التوقيت بين القاهرة وتل ابيب هو ساعة) . وانس فال المصريين سيؤحدون على عرة . . لانهم كانوا يعتقدون ان الهجوم الاسرائيلى الشهير سوف يأتى مع « اول ضوء في الفجر » وما دام هذا الهجوم لم يقع في ذلك الوقت . . فان يقطنهم سوف تضعف . كما ان الرؤيه في لحظة الهجوم ستكون رائعة ، لأن هباب الصباح سيكون قد انتقش بفضل أشعة الشمس الاولى .

وسيكو معظم قواد سلاح الطيران المصري في طريقهم الى مكائهم
او الى معسكراتهم او الى مواعبيهم في المدينة . لقد كان هذا هو
التوقيت المثالي للقيام بهجوم جوى .

وقد حدث ما كان متوقعا ان يحدث : فقد خفضت حالة الطوارئ
في المطارات المصرية ، واوقف الطيارون المصريون محركات طائرات
الميج وبرلوا منها الى قاعة الطعام لسلول قدح من القهوة . واغلقت
من مطار غرب القاهرة ، طائرة ثقيلة ، كانت تحمل القائد العام
للجيش المصري الذي قرر التوجه اليوم 3 يونيو الى الصحراء
للقيام بجولة تفتيشية .

ومضت الدقائق والطائرات الاسرائيلية تنرق نحو اهدافها .
وقد اتجهت اولا عدة طائرات مقاتلة نحو الشمال ، وحلقت على
ارتفاع كبير فوق البحر الابيض المتوسط ، ثم انزلت نحو
العرب ، واتجهت نحو مصر . وكثت الطائرات تطير على ارتفاع
مخفض جدا لا يجاور مضمه لملر من تروه الاوج . وذلك
بمقد نحاشي هيون الرادار الاليكترونية . وعندما وصلت الطائرات
لحوق البصر ، الى المنطقة الموازية لعلما النيل ، انزلت فجاء نحو
الصوب . ولم يكن احد يتوقع ان تتعد هذا الاتجاه الذي تسمى
فيه عدة طائرات الحطوط الجوية المصرية .

اما اسراب الطائرات - التي انطلقت نحو مطارات سيناء -
مقد اتجهت طريقا آخر . لقد احدثت تطير في الاغوار وبين اللال .
وهكذا برت هي الاخرى دون ان تلحظها اجمره الرادار المصري .
وفي الساعة الثامنة والنقبة الحاسمة واربعين - بتوقيت مصر -
كانت جميع الطائرات فوق اهدافها . وفي اللحظة نفسها اندمجت
نحو ميوات المدرات ولبطرت الطائرات المصرية القلمه عليها لرايل
من الصواريخ والقذائف والفضائل ، كما التت قتال ثقيلة على
الممرات فصدعتها واحدثت فيها محوات واسعة . وهكذا تحولت
مطارات مصر الى شعلات من اللهب والدمار المضمية .

ولم تلبث شبكات اللاسلكي بعيدة المدى الموجودة في الطائرات
الاسرائيلية ، والتي كانت صابنة حتى هذه اللحظة ، ان بدأت

تعمل من جديد في وقت واحد . وقطع الصمت الثقيل المتسم بالتوتر ، والذي كل يسود قاعة الممبآت الاسرائيلية بصيحات الدهشة والفرح من الطيرين .

وفي الساعة الثامنة والدقيقة العشرة — بتوقيت اسرائيل — قطع راديو « صوت اسرائيل » اداعته ليمان : « ليها يلي بلاغ لمحدث عسكري ، تدور منذ الصباح محارك عنيفة في الضفة الجنوبية بين القوات الحوية والدرمة المصرية التي تحركت نحو اسرائيل ، وقواتنا التي اشتبكت معها لردّها على اعتابها » .

وانطلقت الديابات وبدأ الهجوم .

وبدأت حرب الايام الستة .



في الساعة الثانية والدقيقة العشرين في « نيويورك » ومبآت الممبآت الى رئيس وفد اسرائيل في الأمم المتحدة ، وبماد عليهما اتصل المندوب الاسرائيلي على الفور برئيس مجلس الأمن وطلب منه عقد اجتماع عاجل للمجلس . وقد سبقه بشارين دقيقة عنوه اللدود « محمد عوض القوي » مندوب مصر ، الذي قدم هو الآخر طلبا لرئيس المجلس معقد اجتماع عاجل .

وقبل ذلك — ١٢ دقيقة .. التفت احد اخيرة الممبآت في « قاعة الاخبار » في بدروم البيت الأبيض ، اول ميا عاجل .. لقد اتصل الضابط النوبتجي على الفور — « زالت روستو » وابلعه بالبا . وقال روستو : « انمسي الاخبار وعلود الاتصال بي » . وخلال دقائق كانت قد وصلت آباء اخرى : لقد شنت الحرب .

وعقب الساعة الثالثة بقليل ، بتوقيت واشنطن ، وصل « دين راسك » التي مسمى وزارة الخارجية ، واسرع مضو قاعة العمليات التي يطلق عليها اسم « المحزن الصلح » وهي توحّد بالدور الثامن من هذا المبنى السقم . وهذه للقاعة على اتصال

مستمر مع قاعة العمليات الموجودة بورارة الدفاع ، ومع « قاعة الموقف » التي توجد بالبيت الأبيض . وفيك « راسك » رباط عنقه وألمسك بالبرقيات التي وصلت من الشرق الأوسط ، وبدأ يدرسها وهو يحتسب قوة سلحة . وبسرعة تم تنظيم العمل على شكل مجموعات . وكلفت كل مجموعة مؤلفه من عشرة رجال بحل غيرهم مخلص كل ٦ ساعات . وأخذ « الحرب الساخن » يتلقى سيلا من الأنباء من وكافة المحطات المركزية ومن وكالات الأنباء الصحفية من ورارة الدفاع ومن البيت الأبيض .

وكان « والت روسو » على اتصال دائم من « قاعة الموقف » في البيت الأبيض مع راسك ومكثرا . وفي الساعة الرابعة والنصف صباحا قرر كل هؤلاء أنه يجب إيقاف الرئيس جوسون .

وقال روسو لجوسون :

— لقد نشبت الحرب في الشرق الأوسط . . ثم انصب الى ذلك بعض التفاصيل المنطقة بالهجوم الجوي الذي وجه الى المطارات المصرية .

وكان الرئيس الأمريكي هادئا جدا وفي غاية التحفظ . وكان أول سؤال له « كيف بدأ ذلك ؟ من الذي أطلق النار أولا ؟ وأجاب روسو . « أن هذا ليس واضحا حتى هذه اللحظة » . ثم انفتحت نحو أحد مساعديه وقال له . « اسبح على الفور كيف بدأ ذلك . انني أريد أن أعرف من الذي بدأ القتل » .

وانصل « راسك » تليفونيا بجوسون واقترح عليه إرسال خطاب الى « حرومكو » . ووافق « جوسون » وكان مضمون الرسالة محتدلا . وقد أعرب وزير الخارجية الأمريكي في هذه الرسالة من أسفه لنشوب القتال في الشرق الأوسط . . وأشار الى أن الولايات المتحدة . . لا تزال متمسكة بشدة بمبدأ السيادة الإقليمية والاستقلال بالنسبة لجميع الدول في هذه المنطقة من العالم ، وتأمل أن يتوقف القتال في أقرب وقت ممكن . وأغاب « راسك » أن الولايات المتحدة ترغب في وقف إطلاق النار على

الغور . وتقال انها ستتدخل لدى الحكومات المعنية ، وكذلك في نطاق الأمم المتحدة . وأعرب « راسك » عن أمله في أن يحدد الاتحاد السوفييتي من جانبه موقفا مماثلا . وأرسلت الرسالة في برقية عاجلة إلى « أندريه جروميكو » في موسكو .

وفي باريس . . استولى على الجرنال ديغول غضب شديد وقلق مبالغ فيه علم أن الحرب قد نشبت . أما الغضب . . فيرجع إلى أن النصائح التي بطلها لاسرائيل ومصر لم تجد أذنا صاغية ، وقد قال لجورج بومبيشو - الذي استندى على عجل إلى نصر الألبانية - « أنهم لم يصحوا إلى مصحة فرنسا » .

أما القلق فلأن ديغول كان يحشى تفاقم الموقف . وقد خال رئيس الجمهورية الفرنسية لأحد مستشاريه : « إن الاسرائيليين هم الأقوى . وليس شبه شك في أنهم سيهزمون خلال الأيام الأولى انتصارات باهرة . ثم بعد ذلك . . أن تقديم سوف يبطئه ، ثم ينتهي بهم الأمر بأن يعوضوا في البحر العربي الذي يحيط بهم من كل جانب . وسوف يشن العرب هجوما مضادا ويردون الاسرائيليين على أعقابهم نحو أراضيهم بل أنهم ربما يستطيعون التوغل في اسرائيل . وعندئذ ستجد الولايات المتحدة نفسها مضطرة إلى التدخل للدفاع عن الاسرائيليين ، مما قد يؤدي بالنهاية إلى تدخل السوفييت إلى جانب العرب . وهكذا على الصراع قد يصغر عن مجابهة بين الدولتين العظيمةين ، بل قد يؤدي إلى حرب عالمية » .

وكل من رأى « ديغول » أن فرنسا يجب أن تبدل كل ما في وسعها لوقف القتال ، أو على الأقل لتحديد سعاته . وقد تصرعت فرنسا فعلا لتحقيق هذا الهدف . ففي هذا الصباح صدر بلاغ رسمي جاء على أمر « ديغول » يعلن حظر جميع شحنات الأسلحة للشرق الأوسط . وأما . . . محمد الحظر السري الذي قرعته فرنسا على اسرائيل منذ يومين جاء الحظر الرسمي .

وفي البيت الأبيض بواشنطن . . كانت المبرقطة الكاتبة الموحدة في « قاعة الموقف » تتدب بأعداد متزايدة من التوقيعات المتماثلة

بالشرق الأوسط . وقعت مختلف فروع هيئة الاستعلامات
الأمريكية ، تقريرا عاجلا الى « الرئيس جوسون » . وكان أساطين
الجنسوسية على يقين من أن إسرائيل ستمرر النصر خلال أربعة
لو حسمه أمام . وقد رأوا أن الاسرائيليين لا يحتججون الى أكثر
من ٢٤ ساعة لتحطيم الطيران المصري وهو حاتم على الأرض .

وفي الساعة السابعة . . قرأ « جورج كريستيان » السكرتير
المحلى للبيت الأبيض ، البيان الأول الذي يتضمن الأوامر من
أسف الرئيس جوسون لشبوب القتل ، كما تضمن السلي مذاه
بوقف إطلاق النار على الفور .

وأرسلت برقيات عاجلة ، الى الملحقين العسكريين والدبلوماسيين
الأمريكيين في القاهرة وتل أبيب ، طلب منهم عليها الإجابة على هذا
السؤال . « من الذي أطلق النار أولا ؟ » .

وحوالي الساعة الثامنة كك مساعد « روستو » من البحث
من المدفع الذي أطلق أول قنبلة . وقال له رؤسائهم أن هذه
المسألة لم تعد موضع اهتمام في الوقت الحالي .

واستدعى « هونسون » « جولد بيرج » محبوب أمريكا في الأمم
المتحدة و « مكملرا » وزير الدفاع . وأصدر بنفسه تعليمات الى
« جولد بيرج » بأن يقترح على مجلس الأمن وقف إطلاق النار على
الفور . وطلب من « مكملرا » أن يصح بصورة عاجلة جميع
الوحدات الأمريكية في المنطقة في حالة ناهب .

ولم يكلف « جونسون » نفسه مشقة النهوض من فراشه وارتداء
ملابسه ، فقد كفى في هذا الوقت من الأزمه ، يدير شئون أمريكا
من على سرير . . والى جانبه تليفونه الخاص .

وفي الساعة السابعة والحقيقة ٥٩ دقيقة التظنون ، وكان المتحدث
هو « والت روستو » . ويمدها نهض الرئيس الأمريكي والتفت

الى سكرتيره فقال له . يجب ان انزل الى « قاعة الموقف » عند تسليما عن طريق « التلفزيون الأحمر » رسالة من كوسيجين .

ان « التلفزيون الأحمر » - هذا التلفزيون العاكس - يتألف في الواقع من أربع آلات كفية مبرقة . . اثنين في الكرملين في موسكو - واثنين الآخرين في وزارة الدفاع الأمريكية بواشنطن . وهكذا . . فل كلا من الماصسين تلك جهازين يتصلان ببعضهما بعضا مباشرة مع توليديهما في الحولة الأخرى . ولحد الحمازين روسي مرود بحروف روسيه . . بينما الآخر أميركي مرود بحروف لاتينية . وعن طريق هذه المبرقات الكتنية . . يستطيع زعماء الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الاتصال ببعضهما في أي وقت ، والتشاور معا في حالة وقوع أزمة عالمية بحيث لا تنحول الى براع خطير . وبعد أنشوء الخط الأحمر في ٢٠ أغسطس ١٩٦٢ ، فإنه لم يستخدم مطلقا الا في نتائج مباريات الكرة الطائرة ، ومثل خلالها الاحصائيون السوفيت الى واشنطن عبارات مأخوذة من كتاب «مذكرات راسم» لثورجنيف .

ولكن الموقف اليوم خطير . في هذا الصباح استبطلت نجاة الآلات المبرقة الكتانية الموحدة في وزارة الدفاع الأمريكية وسحلت الكتبت التالية : « ان كوسيجين رئيس مجلس الوزراء يسأل اذا كنى الرئيس جونسون موجودا على الخط . . »

ثم توقف الجهاز الأوتوماتيكي برهة قبل ان يستأنف الكتابة . . « برجوا ان تغلقوا الرئيس جونسون الرسالة التالية . . »

ونزل جونسون بخطوات سريعة الى « قاعة الموقف » وجلس على مفرجة من مائدة المداولات . وفي اللحظة نفسها سقطت رسالة كوسيجين التي كانت عملة عن بضعة سطور مكتوبة على ورقة صفراء من أنبوبة التفريغ الى داخل الطوماء المحتفى . بعد ثوان وصلت الترحية الانطيمية للرسالة . وكتبت الرسالة قصيرة ، وبطرة واحدة اليها كانت كافية لادخال الميكانيكية الى قلب جونسون الذي قال حينئذ . . « لن تقع حرب عالمية » .

ان « كوسيجين » أكد في رسالته ، ان الاتحاد السوفيتي يعارض بشدة الحرب والعدوان . ثم انتهى بمسئولية نشوب القتال على اسرائيل وطلب من الولايات المتحدة ان تستخدم كل مواردها لادي

الحكومة الاسرائيلية ، ولأن تحظرها من المواقف المفجعة التي قد
تتبع من أعمالها . وأضاف كوسيجين . . أن الاتحاد السوفيتي يقف
إلى جانب الشعب العربي المحبة للسلام . وقال : أنه إذا
اشتركت الولايات المتحدة في الحرب إلى جانب إسرائيل على الحكومة
السوفيتية مستعد أوامرها فوراً إلى قواتها المسلحة لتقدم بموجبها
المسكري إلى الدول العربية ولتوقف المدون الامريالى .

وقد كانت هذه الرسالة ، لا تعدو أن تكون طريقة لثقة ، يقصد
بها القول للامريكيين : « أننا لا نريد الحرب ومن الأفضل لكم ولنا أن
نظل خارج هذا الموضوع كله » .

وحلّل غفرة قصيرة ، رد « جوسون » على « كوسيجين » ،
وقال في رده : « أننا لا نملك معلومات عن بدأ القتال ، ويجب أن
تتعاون كل من موسكو وواشنطن حتى نحصل على وقف إطلاق
النار في الحال وإعادة السلام » .

ول اليوم تلحقه « بومبو » تسلّم كوسيجين رسالة أخرى
من دييجول عن طريق « الخط الأحمر » وهو نظير « الخط الأحمر »
بين باريس وموسكو . وأمر « الجبرال دييجول » في رسالته عن
قلقه البالغ من أهل سلام العالم في أعقاب أحداث الشرق الأوسط
. . وكرر اقتراحه المعتاد بمقد لثاء عاجل بين الدول الكبرى لحل
مشكلات المنطقة وإجبار الأطراف المعنية على وقف إطلاق النار
والانسحاب داخل حدودها .

وفي واشنطن . . بدأت الأنباء تتوالى من اتساع جبهة القتال
وعن امتداد القتال إلى الحدود الأردنية والحدود السورية .
وعندما أصبحت الساعة السابعة في موسكو ، والثانية عشرة في
واشنطن ، بدأ « الخط الأحمر » لو « الخط الساخن » يعمل من
جديد بين موسكو وواشنطن . أن الجهاز لا يتقل في هذه المرة
رسالة عادية من كوسيجين ، بل إنذاراً . أن نص هذه الرسالة
يفيد إلى الأذهان . . للرسائل الشهيرة التي بعث بها الاتحاد
السوفيتي إلى كل من إنجلترا وفرنسا وإسرائيل أثناء أزمة قناة
السويس في الخامس من نوفمبر ١٩٥٦ .

وأحدثت الرسالة - في هذه المرة - تأثيرا بالغا وجزرما حقيقيا في البيت الأبيض ، وأصبح العالم مهتدا من جديد بحرب ذرية يمكن أن تنشب في أي لحظة . واحتفظ « جوسون » بهذه أمصاله ، وراح يفتح مع « والت روستو » أسس خطة عمل على مرحلتين . وبدأ جوسون من إرسال رسالة إلى موسكو يؤكد فيها تسليمه لرسالة كوسيجين . وفي الوقت نفسه أصدر أوامره إلى جميع وحدات الأسطول السلافي الأمريكي في البحر الأبيض المتوسط بالاتجاه صوب منطقة المارك .

وفي خلال بضعة دقائق .. كانت عشرات السفن الحربية وحاملات الطائرات الأمريكية تنجح بسرعة صوب شواطئ سيناء . وكان ذلك بمثابة مظاهرة كبرى من مظاهرات القوة ، وعندما وصلت إلى موسكو أثناء هذه التحركات - وكان هذا ما يريد جوسون ، الذي بدأ بعد ذلك يكتب بيده ، بمساعدة والت روستو ، رسالة إلى كوسيجين أشار فيها إلى تمهيدات الحكومة الأمريكية بالمحافظة على استقلال إسرائيل . وفي تلك اللحظات ، لم يكن العالم في أي وقت مضى - بعد أزمة كوبا - على مقربة هكذا من الحرب النووية .

إن « جوسون » لم يهاظر بالحرب الذرية من أجل « سواد صيود » إسرائيل ، بل خضع لانتصارات منطقية بحتة . فقد انتهت على البيت الأبيض - طوال فترة الصباح - لبرقته التي تبرز الانتصارات المذهلة للجيش الإسرائيلي : أولا الهجوم الجوي ثم التقدم بسلاح المدرعات . ولهذا غلقت كل واضحة أن العرب سيطلبون مساعدة حليفهم الرئيسي . الكرملين . وأدرك « ليندون جوسون » أنه إذا سجع في تهديد نشاط للصوفيت ومنع تدخلهم في المارك .. على هزيمة العرب أمام الاسرائيليين سيفرأ العالم على أنها هزيمة منكورة للاتحاد السوفيتي ، فتوق هزيمة كوبا سنة ١٩٦٢ . كما أدرك أيضا .. أن العالم العربي الذي لحقته الهزيمة في الحرب ، سيشر بخيبة أمل كبيرة تجاه موسكو وهكذا سيكون الروس في نهاية الأمر هم أكثر المهزومين في الحرب الاسرائيلية العربية . أن جميع الأساليب تصل لفنون جوسون على أن يتبنى النصر لإسرائيل .

وفي الوقت نفسه الذي كتبت فيه لرسائل طمر بين واشنطن والكريلين ، وقع حادث « غنى » بوزارة الخارجية الأمريكية . لقد عقد المتحدث الرسمي مؤتمرا صحفيا شرح فيه موقف أمريكا في الأزمة بقوله : « اننا محليون بالفكر والقول والعمل » . ولم يكن المتحدث الأمريكي يعلم انه لقي بفضلة !

لقد انتهت في الحال المكالمات التليفونية الملمسة على البيت الأبيض ، وعشرات الآلاف من البرقيات ، كما وصلت احتجاجات من القادة الأمريكيين واليهود . وعندما علم « جوسون » بالسبب .. اجتاحه غضب شديد ، وقرر اذاعة بيان يضع الأمور في نصابها لمورا

وفي الحال .. هرب المتحدث الرسمي لجميع الصحفيين ويقول لهم : ان التعبير السابق .. لم يكن يعني ان أمريكا سوف توقف الجهاد وعدم المبالاة .. بل المقصود هو ان أمريكا ليست بهارية .

ولم يكف جوسون بذلك ، بل استدمى « دين راسك » وطلب منه ان يؤكد هذا التكذيب أمام الصحافة .



في موسكو .. كان المكتب السياسي — وهو اهم هيئة في الحياة السوفيتية — معمدا بعد الصباح — وكان في جدول أعماله مسألة واحدة هي : الحرب في الشرق الأوسط . وكانت المعلومات التي وصلت الى موسكو متفرقة مشوشة . ولم يكن السوفييت في البداية يعرفون من الذي بدأ القتل وأين نوحه الضحية ومن الذي كسب ومن الذي خسر . وخلال ساعات ، كان الموقف قد بدأ يتضح للسوفييت شيئا فشيئا . وبعد ثلثي ساعات من المناقشات القصيرة .. رفع المكتب السياسي علمه أن رد فعل الولايات المتحدة للحادث على رسالة كوسيجين من شأنه أن يمنع من الآن فصاعدا أي تدخل عسكري سوفييتي . وانتصر المعتدلون من أعضاء المكتب السياسي ، واتخذوا قرارات في نهاية الاجتماع : سوف لا يصوت الاتحاد السوفيتي في الأمم المتحدة على قرار بوقف إطلاق النار ، إلا اذا تضمن هذا القرار بقاء للأطراف المعنية بلن تحب قواتهما من الأرض المحتلة . ول

الحقيقة .. لا تستهدف مثل هذه النوصية سوى اسرائيل ، التي
توقل جيشها في الاراضي المصرية .

اما القرار الثاني .. فكان قرارا مرييا وهو : ان العلاقات
الدبلوماسية مع اسرائيل سوف تقطع اذا استمرت هذه الدولة
في اعتدائها . ان قطع العلاقات الدبلوماسية هو عمل مظهرى .
ولكى يكون له وزن ، يجب ان تقوم به جميع دول الكتلة
السبوعية . ولم يكن قادة الاتحاد السوفيتي واثقين من ان الدول
الديمقراطية الشعبية ستتمتع كلها مثل هذا القرار الذي اتخذه
الكرملين . لرومانيا تنتهج منذ فترة بعيدة سياسة مستقلة ،
وتحاول بولندا — بختر — ان تدير على موائها . وحتى تتأكد
روسيا من ان جميع دول الكتلة الاشتراكية ستتمتع بتوجيهات
موسكو ، قررت استدعاء رؤسائها على عجل لمصور اجتماع
سرى للعامة في العاصمة السوفيتية .



وفي مجلس الامم .. اقترح « آرثر جولد برج » المنحوب
الامريكى .. وقف لطلاق النار بلا قيد أو شرط ، ولكن العرب
رفضوا الموافقة على قرار لوقف اطلاق النار لا يمس على سحب
القوات نورا . واعترض جولد برج . « ان العودة الى المواقع
السابقة — أى مواقع « يوبيو — هي اقرار لاعاق حليج العقبة » .

وفي الوقت نفسه الذى استولى فيه الجيش الاسرائيلى على
حلب يوسى ورمح والمرش ، قررت الحكومة الاسرائيلية ان
يسافر « أبا ايبال » الى نيويورك لمشارك في مناقشات مجلس
الامم — كما قررت الاستيلاء على غرب الأردن . اما على الجبهة
المصرية .. فسوف يتم الانتقال الى المرحلة الثانية من الهجوم
بعد فتح ممرات سيناء ، وهى الاستيلاء على شرم الشيخ وساند
الجيش المصرى في سيناء . فبعد كانت التعليمات واضحة أمام
الضباط الاسرائيليين : « ان المصريين في حيلة ذهول ، اذ ان
قائدهم قد اشعلوا نيرانهم الحساس حتى وصلوا لحالة من الهستيريا
الجماعية . فاذا تمكنا — منذ الانكسار الاول — ان نلحق بهم هزيمة
مرة .. على روحهم المعنوية سرعان ما تنهار ، ولهذا فالحل المعركة
الاولى هي العاصمة » .

وفي الوقت نفسه .. اداع راديو القاهرة بياناً خلاصاً في الساعة ٢٧ دقيقة من صباح الثلاثاء ٦ يونيو جاء فيه : « أيها الإخوة المواطنين .. أن القيادة العليا المسلحة تعلن أن لديها أدلة أكيدة على أن القوات الجوية الأمريكية والبريطانية تشترك في الاعتداء الإسرائيلي . أن لديها أدلة على أن حملات الطائرات الأمريكية والإنجليزية تقوم بعملية واسعة المدى إلى جنوب إسرائيل ، وعلى الجبهة المصرية .. أقامت الطائرات الأمريكية والإنجليزية مطاء حوياً فوق القوات الإسرائيلية . لها على الجبهة الأردنية ، فإن هذه الطائرات تشترك في عمليات ملطفة ، وأن محطات الرادار لديها الإثبات الكافي » .

أما في موسكو .. فقد اجتمع المكتب السياسي من خميد في جلسة طويلة ومكثنة ، فقد تم إبداء القوات الجوية العربية وتم تدمير المطارات وأمهات الجبهات المصرية والأردنية .

وبعد الظهر .. بحث كوسيجي برسالة إلى البيت الأبيض جاء فيها . أن الاتحاد السوفيتي موافق على التصويت على قرار وقف إطلاق النار بدون شرط . وخلال فترة قصيرة - أي في الساعة السابعة المساء وعشر دقائق مساء - وافق مجلس الأمن بالإجماع على قرار من نصير القرارات التي أصدرها في تاريخه ، وهو . مطالبة جميع الحكومات المعنية بأن تتخذ جميع الإجراءات اللازمة لوقف إطلاق النار ولإنهاء جميع العمليات العسكرية في الشرق الأوسط .

لقد استهج « أبا ايبلان » من نتيجة التصويت ، فصرح بأن إسرائيل تشترط لتطبيق القرار أن يوافق عليه الطرف الآخر . وأعلن الممثلون العرب الواحد تلو الآخر أنهم يرغبون بقرار مجلس الأمن .

واستمرت الحرب .



كان ثالث أيام الحرب .. يتميز بمسلق الدببات الحوئي في سيناء . لقد كان الهدف الإسرائيلي مدحوا * سحق حشود

النباتات المصرية ، واغلاق طريق الهروب الموصل الى القناة
الأخرى لقناة السويس ، لكي تتحول ميناء الى مخ ضخم للجيش
المصري .

وفي الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم الرابع للقتال (٨
يوليو) كانت سفينة التحصين « ليرنى » تمر في البحر الأبيض
المتوسط حينها وعلى بعد ١٧ ميلا بحريا من العريش .
وتعرف السفينة ليرنى في الأرشيف السرى للبصيرة الأمريكية
باسم « اليك ليرنى » وهو تعبير يرمز الى « المحادثات الإلكترونية »
ويستلزم حوب السفينة بالترجمة والفنيين ومسباط المحادثات
.. الذين تم انتقاؤهم « على التوازي » . وكانت مهمتهم الاستماع
الى الإشارات اللاسلكية للجيش الاسرائيلي والجيش المصري في
ميناء ذلك يومها . وكانت السفينة حاضمة مباشرة لوكالة
المخابرات المركزية وتصل بطريقة مستقلة .

وفجأة ظهرت طائرتان اسرائيليتان من طراز (ميراج) في
السماء واحدا يحلق حول السفينة ، وانفصا عليها وهما تنافسا
بالصواريخ والقنابل والمدافع . وبعد ذلك بقليل وصل الى مكان
السفينة ثلاث من سفن الطوربيد وبدأت في مهاجمة السفينة .
ومالت السفينة لدرجة خطيرة ، ولكن طائرتها أرسلت على الفور
هواجر ثقيلة من الصلب ، أعلنت بطريقه محكمة الجرم الذي
اصيب ، وحالت دون وتسرب المياه الى داخل السفينة فلم تغرق .

ولحظة .. رفع علم أمريكي كبير على الساري السحيم
لليرنى ، واصبح واصحا لى الاسرائيليين أصابوا إحدى سفن
البحرية الأمريكية . ولم يبق أمل الاسرائيليين الا ان يقتحموا
اعتدائهم من هذا الهجوم الذي كلف ٢٤ بحارا أمريكيا حياتهم
في مهلة الأمر .

وتتلور أكثر جوانب هذا الحادث إبلا على بعد عدة آلاف
من الكيلومترات .. في البيت الأبيض الأمريكي ..

لقد وصلت رسالة عاجله بشأن الحادث بعد التسمية
صباحا بقليل - بثوقيت واشنطن - وكانت الرسالة قصيرة جدا :
« هوجبت سفينة أمريكية واصيبت في البحر الأبيض المتوسط » .

وكال الرئيس جونسون مشاعة الموقف مع بعض مستشاريه
ومعهم ماكلترا ودين راسك . واحذفت البرقية عمل القنبلة . . !

لقد كالى جونسون يستبد به خوف عميق من احتساب ان
تقوم سفينة سوفيتيه بهلججه احدى سمن الاسطول السادس
الامريكي . ولده بسيطة ، كالى ماكلترا وراسك وجونسون . .
مقتنعين بلى السفينة الامريكية قد لصابتها غواصة سوفيتية .
ووفقا لاقوال اعد الذين شهدوا هذا الاحتياغ ، على تلك كانت
لرهب لحظات أزمة بوبوكلها واحطرها . لقد قال جونسون :
« ربما كنا على شفا العرب العالمية الثالثة » .

وى اللحظة نفسها . . احتاج شاشات رادار السفن السوفيتية
لى البحر الأبيض المتوسط عدد كبير من اللقاط المصينة . انها
اطلقت عدة عشرات من الطائرات الامريكية التى تحلق لانتشاء
ستار والى حول السفينة « ليبرى » ولصرب من اصابتها ردا على
ما قام به . وسلا البيت الأبيض اضطراب متسم بالهستيريا . لقد
اصبح واجبا ان يوضع الجيش الأمريكى كله فى حالة استعداد
وكذلك القيادة الجوية الاستراتيجية ، مل وربما قواعد الصواريخ
الامريكية .

هل هي الحرب حقا ؟ !

ان اللحظات القصيرة ، التى انقضت منذ تلقى البرقية ،
تشبه كابوسا جويبا . ثم وصلت برقية ثلثية ، من الحكومة
الاسرائيلية مباشرة . لقد احاط الاسرائيليون رئيس الولايات
المتحدة ملما بانهم هاجموا بطريق الخطا سفينة امريكية من الجو
والبحر . واعربوا عن أسفهم العميق لهذا الحادث المؤسف .
وبهت الرئيس الأمريكى . . فقد كالى بوسع الروس ، وربما
المصريين ، ان يهاجموا السفينة « ليبرى » . لما ان يفعل ذلك
الاسرائيليون . . . ورغم ان فقدان السفينة قد اذهل ليدون
جونسون غلته تنفس الصعداء . ان الروس لم يهاجموا . .
والحرب العالمية لم تقع .

هذا .. علما بأن خطرا آخر كان ينتهما في تلك اللحظة .
 فالنفس السوفيتية في البحر المتوسط كان عليها أن تحظر موسكو
 بالتحقيق المأجور، لعشرات من الطائرات الأمريكية التي انجحت
 إلى ميناء ، ولاند من تهمة السوفييت . ولأول مرة بمستخدم
 الخط الطيفوسي الأحمر ببغداد من حقب الولايات المتحدة ،
 وحرر والت روستو ، وروبرت مكنلرا ، على حه السرعة ،
 رسالة إلى السوفييت . وهكذا أصط كوسيجين علما بأن
 الاسرائيليين قد هاجموا بطريق الخطأ سفينة أمريكية في البحر
 المتوسط ، وأن الطائرات الأمريكية قد حطت من حاملات طائرات
 مختلفة لمساعدة السفينة الأمريكية ، ولي مهمة هذه الطائرات
 دفاعية بحة وليست لها أهداف هجومية ضد الوحدات
 السوفيتية ، ولا ضد القوات المتقاتلة في سيناء .

وبعد ذلك بقليل . اتفاد الكرملين انه تلقى الرسالة ، وانه
 يقبل الرواية الأمريكية للحادث .

ان نظورات الحرب تتلاحق بسرعة . فقد استولوا
 الاسرائيليون على الضفة العربية لنهر الأردن بأكملها ، واستولوا
 على سيناء . لقد قبلت الأرض وقف إطلاق النار وقبلت مصر ،
 وبدأت السيران تتزايد على الجبهة السورية .. في حقب الجولان
 .. لقد شنت القوات الإسرائيلية هجومها على خمس نقاط مختلفة
 في آن واحد . وبخلاف الصورة العامة للمكان فيها في سيناء ،
 فلا وجه للمقاربة بينها من حيث الأرض ولا التحصينات .
 بالحصون المصرية كانت تبدو مهيئة .. ولكن حصون السوريين
 أقوى بكثير . ونسوة المهمة وكنها تشكل حسا واحدا ، يسم
 جبوبا جوية متعددة الطبقات ، وحدراتنا شبكة من العريانة ،
 وأبرأها حرسية وحشد في لا تنهي . وهقول الصام ومواقع
 للمدفعات والمنفعية .

وبمع تطور الموقف على الجبهة السورية .. وصلت رسالة
 من موسكو إلى الشطرنج عن طريق « الخط الأحمر » . وهرع
 « والت روستو » إلى مديوم البيت الأبيض . ان هذه الرسالة التي
 وصلت من موسكو تحث كثيرا عن الرسائل السابقة . ان الموقف

يحتفل اليوم ، غالاسرائيليون قد نوعلوا في الأراضي السورية ، والاتحاد السوفيتي قد عقد العزم على انقاذ الموقف . ان الرسالة التي نقلها « كوسيجين » الى واشنطن هذا الصباح (١٠ يونيو) تضمن تهديدا صريحا : « اذا لم يوقف الاسرائيليون مورا عدوانهم ضد سوريا ، من الاتحاد السوفيتي سيتدخل في النزاع لوقف المعتدى . ان الجيش الاسرائيلي الذي يتقدم نحو دمشق يستعد لقلب نظام الحكم الديمقراطي في سوريا ، وهذا امر لن يسمح به الاتحاد السوفيتي . وقد اكدت اوامر بهذا المعنى الى القوات السوفيتية التي سوف تقوم ملحقاء فعلي بأسرع ما يمكن » .

ان الرسالة خطيرة للغاية

ويتحد البيت الأبيض قرارا لا بد من وقف الاسرائيليون .

ويطلق سفير الولايات المتحدة في تل ابيب مكالمه تليفونية تنذره بالخطر ، كي يتدخل لدى الاسرائيليين ليطلب منهم وقف اطلاق النار بأسرع ما يمكن . ومدة ايام قليلة . . . كأي حراء وراره الخارجية الأمريكية يسألون الاسرائيليين كل صباح : متى نهاجمون سوريا ؟ . اد أنه لو كأي هلك نظام حكم نوري الولايات المتحدة أن تشهد سقوطه ، فهو بالتأكيد نظام دمشق المزيد للشيوعية . ولكن كل شيء قد معمر حالا ، اد أن الروس قد يتدخلون في الحرب بين لحظة وأخرى

ولا يرى « الصرال هولر » رئيس هيئة أركان الحروب المشتركة لجيش الولايات المتحدة هذا الرأي ، فقد قال : « ليس علينا أن نحشئ قيم السوفييت محيل ما . ان السوفييت لا يملكون وحدات كبيرة سريعة الحركة تستطيع التدخل على الفور في المعارك الدائرة في الشرق الأوسط . لقد أعلنوا حالة الطوارئ في صفوف ثمرق المظلات السوفييتية ، لكنهم يدركون مدى خطورة استخدامها في هذا النزاع » .



وفي مجلس الأمن . . . كانت المناقشة ، تمثذ الرابعه والنصف صيلحا كانت التوتود في اجتماع طارئ . وفي الساعه التاسعه

والنصف - بقوتيت نيويورك - طلب المندوب الأمريكي « جولد
برج » الى مندوب اسرائيل ان يصمم اليه على وجه السرعة خارج
قاعة الاحتفالات .. فقد تلقى المندوب الأمريكي لنوه مكانة
تليمونية من البيت الأبيض الذي نقل اليه نص الرسالة السوفيتية
المبلغة عن طريق التليفون « الأحمر » .

لقد قتل « جولد برج » لمندوب اسرائيل ' « ان الموقف حتمي
جدا . ففي خلال لحظة سوف يملأ المندوب السوفيتي ان بلاده
سوف تتدخل عسكريا في الشرق الأوسط اذا لم توقفوا تفكيركم
في سوريا . وليس بوسع الولايات المتحدة ان تتف موقف اللامبالاة
من مثل هذا التصريح .. حتى ولو لم ينفذ هذا التهديد ، اد أن
الجميع سوف يعتقدون ان اسرائيل والولايات المتحدة قد
استسلمتا أمام تهديد الاتحاد السوفيتي ، وعليه .. يبين أن
تعلقوا على الفور ان ملائكم تقبل وقف إطلاق النار على الصبهة
المصرية . تعمل ذلك على مسئوليتك ، ان كل حقيقة لها
قيمتها » .

ولكن المندوب الاسرائيلي لم يعمل ذلك على مسئوليته .

بعد قليل .. اظهرته الحكومة الاسرائيلية تلغرافيا ، بان
يقبل وقف إطلاق النار بعد ان كانت قد انتهت من الاستيلاء على
الجللان ،

لقد اسهت حرب الأيام الستة .

بناء الجيش الإسرائيلي

بنتام، إيجان أكسوف

هذا الكتاب ..

وهذا المؤلف ..

عندما تحاول أن تفهم التفكير العسكري الإسرائيلي .. على أكثر
أشئ يصبر عن هذا التفكير هما - موشى دايان وزير الدفاع
الإسرائيلي ، وإيجال آلون نائب رئيسة وزراء إسرائيل .. وهو
في الوقت نفسه مؤلف هذا الكتاب .

إن المؤلف يعتبر من الجيل الصهيوني الثاني الذي نشأ في أرض
فلسطين . ملقّد ولد في سنة ١٩١٨ ونرس الزراعة في الجامعة
العبرية ، ثم درس في جامعة أكسفورد .

ولقد بدأ النشاط العسكري للمؤلف عندما عمل في منظمة
« الهاجاناه » منذ سنة ١٩٢١ ، وهي المنظمة السرية المسلحة
التي أنشأتها المنظمة الصهيونية في فلسطين ، وأصبحت بعد ذلك
نواة الجيش الإسرائيلي عندما أعلن قيام دولة إسرائيل .

وقد تطور التاريخ العسكري « لإيجال آلون » بعد ذلك . إلى
أن أصبح قائدا لقوات « الماساح » .. التي كانت تقوم بالعمليات
العسكرية الخاصة ضد العرب .

و « حرب ١٩٤٨ » تولى قيادة تولدت إسرائيل في الحليل
الأعلى ووسط فلسطين ومخيم القدس ، ثم تولى قيادة الاحتياط ،
وبمدها رماه حرب « لاحتوت هاعفودا » .

إلى جانب أن « إيجال آلون » أصبح وزيرا في الحكومة

الإسرائيلية منذ ١٩٦١ وباتوا لرئيس الوزراء الإسرائيلي .. وظل
واحدا من الشخصيات الرئيسية في إسرائيل .

وفي هذا الكتاب .. يركز المؤلف على تناول النظريات العسكرية، ويتابع تطورها منذ بدأت المنظمات الصهيونية في فلسطين نشاطها المسلح ضد العرب قبل الحرب العالمية الأولى .. مع التركيز على أسلوب تطبيق هذه النظريات خلال الحروب الثلاثة التي بدلتها إسرائيل ضد العرب في ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧ .

والكتاب .. هو واحد من الكتب التي كان محظورا حتى الآن تداولها في مصر والدول العربية .



اتى « جيش الدفاع الاسرائيلي » بصفة رسمية في يوم ٢٧ يونيو سنة ١٩٤٨ . ولكن اللقب العسكري الاسرائيلية كانت في الواقع قد تكونت - بصفة غير رسمية - قبل ذلك بوقت طويل .. امتد من أيام المجموعات التي تكونت من جماعات صهيونية من رجال الحراسة الى أن تطورت الى جيش حديث استطاع أن يهزم « حرب الأيام الستة » .

ان التكوين العنصري للجيش .. بدأ مع قيام منظمة « الهاجاناه » - وهي كلمة عبرية معناها الدفاع . وقد اطلق الاسم على المنظمة السرية المسلحة التي اقلها جميعا اليهودي في فلسطين في ظل حكم الإنتداب البريطاني . فبعد صدور « وعد بلفور » تكونت أولى الكتائب اليهودية داخل الجيش البريطاني الذي يقتل في مصر أحداث الشرق الأوسط خلال سنوات الحرب العالمية الأولى . وكانت هذه الكتائب مكونة من متطوعين ويهوديين يهود .. من فلسطين وبريطانيا وأمريكا زدوا الشعب اليهودي بقرصنتهم الأولى لاكتسب مرأى عسكري وتنظيم أفضل . واستطاعت هذه الكتائب - أيضا - أن تجمع كمية ضخمة من الأسلحة الحديثة التي ثبت ميا بعد انتهائها ذات فائدة كبيرة .

وفي أعقاب الحرب العالمية الأولى مباشرة ، مرضى الإنتداب البريطاني على فلسطين ، نتيجة من عصبة الأمم ، وبدأ تطبيق

أجراءات « وعد ملنور » الخالص بحق اليهود في الهجرة والاستيطان في فلسطين ، وخلق وطن قومي لليهود هناك . ومنذ ذلك الحين .. بدأ التوتر بين العرب واليهود يأخذ طابعاً سياسياً أكثر من دى قبل ، وقد أثر الوضع الجديد تأثيراً واضحاً على تطوير النظم العسكرية اليهودى .

وقد تميزت الفترة بين ١٩٢٠ و ١٩٢٩ سلسلة من الهجمات المتبادلة بين العرب واليهود . لها موقف السلطات البريطانية .. لقد كان يسمى سوفد الحياء ، وساء على ذلك .. أعلنت السلطات عدم شرعية المنظمات المسلحة التي لهاها المجتمع اليهودى ، ولكن اليهود نابروا على تطويرها .. ومن ثم ظهرت « الهاجاناه » الى حيز الوجود تدريجياً وتدمت متيحة لتدقيق المهاجرين اليهود الذين بدأ وصولهم بأعداد كبيرة من كثير من البلاد ، وخاصة من شرق أوروبا .

ول البداية على الأقل ، كانت عملية تخطيط وتطوير المستعمرات الصهيونية الرائدة في فلسطين .. محكومة جزئياً باحتياجات سياسيه استراتيجة . مثال ذلك .. أن اختيار موقع المستعمرات كى لا يتأثر فقط باعتبارات النمو الاقتصادى ، بل ويتأثر أيضاً بمسألة رئيسيه باحتياجات الدفاع المحلية ، وباستراتيجية التوطن على نحو شامل التي كانت تستهدف تأكيد الوجود السيلى في أجزاء كثيرة من البلاد ، والدور الذي تلعبه مثل هذه المجموعات من المستعمرات في الصراع الحليم الذى قد ينشب في وقت ما في المستقبل .

وقد أدخلت هذه الاحتياجات في التكرر العسكري « للمهاجته » وأسلوبها في تنفيذ سلسلتها ، عناصر جديدة متنوعة — بما في ذلك استراتيجة عالية أكثر مجتسماً أحدث في اعتبارها الظروف المحلية ، وتخطيطاً شاملاً ومروية أكبر واستخداماً للدفاع الأوتوماتيكية الحفيلة على نطاق أكثر اتساعاً . ومع تزايد التوتر بين اليهود والعرب .. كانت امكانيات المهاجته تتزايد هي الأخرى . وفي تلك السنوات .. أسهمت مفاوضات مشجعتان من جانب البريطانيين

في التطور بالهاتجاه الى حد كبير . وكانت المبادرة الاولى وهي الرسمية .. هي انشاء بوليس شرعى للمستعمرات اليهودية يتكون من ثلاثة عناصر رئيسية :

● عدد ضئيل من الوحدات المنظمة تقوم حكومة الانتداب البريطانى بدفع لجورها وتزويدها بالأسلحة .

● عدد اكبر من رجال البوليس ذى طابع خاص .

● وحدات متحركة يقتصر وجودها على مناطق معينة .. وتقوم حكومة الانتداب البريطانى ايضا بدفع تكاليفها .. لتكون مسئولة عن حراسة الطرق والحاصلات ، ودعم المستعمرات ، ووسع الكمان فى طريق رجال المصالحات العرب .

اما المبادرة الثانية .. فكانت غير رسمية ، لكنها مع ذلك لا تقل اهمية من الاولى .. تلك هي لى « رجال المصالحات العرب » كانوا قد انزلوا حائل فاحشة بحملوط ثابيب شرعه بتزول العراق المهددة الى معامل النكبر فى حيفا . وشيخة لذلك .. شكلت وحدة يهودية استيطرية مشركة عرفت باسم « العرق الليلية الخاصة » بقيادة الكاش « ويبست » لحماية هذا الخط الحيوى . وهكذا تعاون « ويبست » مع وحدات الهاجاناه الملائه التى كانت تعمل بالفعل .

وكانت هناك القوتان من رجال البوليس — الاولى شرعية والاخرى شبه شرعية — تحصل على لاداره الهاجاناه ، وتستعمل كغطاء للتدريب والميليات العسكرية .



ومع نهاية عام ١٩٣٦ ، أصبح واضحاً لى حرب المصالحات لن تنتهى بالتهليل النهائى للحشود العسكرية لاي من الجانبين . اليهود او العرب ، اذ لن كليهما كالى يعتبر غير شرعى فى نظر

السلطات البريطانية . وقد أدى هذا إلى أن تقوم « الهاجاناه » بالتركيز على تكتيكات حرب العصابات مع استعمال وحداتها القليلة — التي تعترف بريطانيا بشرعيتها — إلى أقصى حد ممكن . وبمرور سنوات ٢٧ و ٢٨ و ١٩٢٩ ضاعفت الهاجاناه من مجهودها لاقامة مستعمرات — سائقة التحصين — تمثل برج مراقبة للقيام بالأعمال العسكرية ، وكان الانتاج الأعظم يتبدل في تطوير المنظمة العسكرية اليهودية على أساس مناطق جغرافية استراتيجية . ولهذا فانس مفتوح بأنه يمكن القول بأن الصهيونية قد كسبت الحرب الفلسطينية في الثلاثينات (أي قبل أن تنشب رسميا فعلا بـ ١٨ سنة) ، ولكن الحرب هم الذين كسبوا الصراع السياسي .

وعندما بدت بوادر احتياج بريطانيا إلى العرب في الحرب العالمية الثانية ، التي أصبحت وشيكة ، اردانت فكرة العرب على المساومة ، وامرغوا من بريطانيا « الكتاب الأبيض » (١٩٣٩) الذي تضمن فيه بريطانيا عنيت العدد النسي بين العرب واليهود في فلسطين لصير صالح الطائفة اليهودية مشكل دائم ، وذلك عن طريق الحد الحظير من هجرة اليهود . وهكذا لاح أنه — بالرغم من علانية الميل الطويله إلى ربط بين اليهود والبريطانيين في فلسطين .. فان صداما مائرا لم يكن من الممكن تجنبه على أية حال .

وأدى قيام الحرب العالمية الثانية إلى وضع اليهود في مأزق خطير : أن بريطانيا تحارب ألمانيا النازية ، ولذلك يجب أن يتف معها اليهود . ولكن بريطانيا تحدد من هجرة اليهود إلى فلسطين .. ولذلك يجب أن يحاربها اليهود . أن اصناف بريطانيا في حصة حيوية — مثل الشرق الأوسط — سوف يؤدي إلى اضطرارها في حربها ضد ألمانيا النازية ، وهي العدو المشترك .

لقد حدد الزعيم « دابيد بن جوريون » رئيس اللجنة التنفيذية الصهيونية هذا الموقف المتناقض على نحو لا يسمى حيفا أعلى . « سوف نخوض الحرب ضد ألمانيا كما لو لم يكن هناك كتاب أبيض .. وسوف نقاوم الكتاب الأبيض كما لو لم يكن هناك حرب » .

كانت هذه السياسة .. هي نقطة تحول جديدة في تاريخ المنظمة العسكرية اليهودية في فلسطين . لقد قررت القيادة العليا للهجاناه - بموافقة الهيئة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية - أن تقوم بتشكيل قوة عسكرية سرية مستقلة تضم تسع سرايا واسمها « الناباح » لكي تعمل في صف بريطانيا وتول الحلفاء في الشام ، وقد جاء هذا القرار متفقا مع قرار الحلفاء بعزو سوريا ولبنان في أغسطس سنة ١٩٢١ . ونظرا لأن الحلفاء لم يكن لديهم وقت كاف للاستعداد لهذا الحزو ، فقد طلبوا الاستعانة بأول سريتين من (الناباح) كبرشدين ومحررين ووحدات متقدمة .. إلى جانب القيام بميليات النجس خلف خطوط العدو ، وتم تمديد جميع هذه الميليات بنجاح ، مما بعث الارتياح البالغ في قيادة الحلفاء في المنطقة

وبعد ذلك الوقت - حتى انتصار الحلفاء في العلمى - استمر هذا التعاون غير الرسمي الذي انطوى على الاعتراف بالأمر الواقع ، وإن كان في الحقيقة مؤقفا ، بقوات (الناباح) غير القانونية من قبل السلطات البريطانية ولم يحدث قط أن انضم أعضاء (الناباح) إلى الجيش البريطاني ، وكل هذا بناء على رغبة مشتركة من الجانبين ، ونتيجة لاصرار (الناباح) على أن تظل مستقلة عن البريطانيين .

وعندما انتهت الحرب العالمية الثانية ، انتهت معها الميراثية الضمنية التي كانت بريطانيا تفتقها على (الناباح) مقابل التعاون المشترك ، وأصبحت هناك مشكلة .. كيف يمكن التحويل . وقد تم حل هذه المشكلة بتقسيم (الناباح) إلى فصائل ترابط في المستعمرات اليهودية المختلفة ، بشرط أن يقضى أفراد القوة جميعهم خمسة عشر يوما من كل شهر في العمل في زراعة المستعمرات ، والنصف الآخر في التدريب وبحيث أن ما يكتبونه من عمل نصف الشهر يكفي لعائلتهم الشهر بأكمله .

ولكن بعلمه الحرب أدت إلى مشكلة أخرى وهي ضرورة التفرع بالحركة البريطانية بعد أن انتهى التعاون معهم . وهكذا بدأ التنظيم العسكري في فلسطين يواجه البريطانيين . لم يكن هدف هذه الأعمال العسكرية هو تدمير القوات البريطانية في فلسطين ،

فهذا أمر ممكن وغير مطلوب . ولكن الهدف الحقيقي كلى تقويض مركزهم واحساسهم بالأمن ومكانتهم الأدبية ، ولغوى هذا كله .. انه مدور موافقة اليهود لا يستطيع بريطانيا الاحتفاظ بملسطين كقاعدة آمنة عيلة فى هذه التطفة الحيوية (ومثلك تتاهل بالنسبة لمسألة اعداد المهجرين لليهود المسيح لهم المقدم الى فلسطين .. حيث لن اليهود ما زالوا حتى الآن اقلية قسم البكل) . لن الاستعدادات العسكرية التى حصلت عليها من قبل بمساعدة بريطانيا خلال سنوات الحرب لمقاومة دول المحور ، أكتشت الآن أنها عظيمة الفائدة فى العمل ضد البريطانيين أنفسهم .



وفى تلك الفترة . كالى التفكير العسكري (للمهاجناه) بقضى بعدم التحلى من المستعمرات الثانية بأى ثمر ، ومهما كلى طول خطوط المواصلات والامدادات .. وذلك لكى تبقي جزءا من الضغط العربى على المراكز اليهودية ، ولاستعدادها كقواعد لميليات العماليات خلف خطوط العدو (العربى) .. كما أنها ستصبح بمثابة أهداف مهالفة لطوعها متدا يرمى الوقت لشحن حرب شاملة فى المنطقة بأسرها ، كما كلى تفكيرنا العسكري بقضى أيضا بنصب الاشتباكات المباشرة مع البريطانيين بعد أن حددوا موعدا لجلالهم من فلسطين ، حتى لا يمرقل هذه الخطوط .

وفى هذه المرحلة أيضا .. أصبحت (البالماح) رأس رمم (للمهاجناه) وحررا منها ، كما بدأ العمل على تكوين أسلحة منفصلة للحرية والظلم .. وكذلك تصبئة حرس داخلى يضم الرجال والنساء والشباب ، الذين نقل أعمالهم من ١٨ سنة للقيام بأعمال الحراسة الداخلية فى المدن والقرى .

وعندما بدأت الصوفى العربية فى عزو فلسطين بعد ١٥ مايو ١٩٤٨ كان التأثير الميكولوجى للعرو مشطيا للعلية . وهما رعتت « الهلجناه » اشاع لستراتيجيه دفاعية ، رغم أنها لم تكن تضمن تمليا مجاح الهجوم . لن التركيز على الدفاع ككن معناه لن تحصر

الحرب ، لأن المائدة في هذه الحالة سوف تكون في يد العرب ، وسوف يسمح لهم بذلك لمختيار رملان الهجوم ومكثته .

ومع ذلك ماى العدو (العرب) ظفر بمكاسب هائلة في هبتهن خلال تلك المرحلة من حرب ١٩٤٨ . فبالنسبة للمصريين .. استطاعوا أن يتقدموا على بعد ١٢ كيلو مترا من « ريفخوت » ، وأقام السوريون رأس جسر عبر الأردن في الجليل الأعلى ، كما رابطت قوات شرقي الأردن في محبتي الرملة واللد المربيتين . في هذه المرحلة أمكن التوصل إلى هدنة مدتها شهر واحد ، بدأ على نداء من الأمم المتحدة ، وهي هدنة نفذها الجيش الإسرائيلي اعتبارا من ١١ يونيو ١٩٤٨ . وبمعنى اعتبار هذه المرحلة نصرا إسرائيليا وإن لم يكن حاسما .

لقد أصبحت دولة إسرائيل الآن بطلنة رسميا ، وأصبحت « الهاجادة » هي الجيش الرسمي للدولة ، الذي أصبح اسمه « رجال » .. أى جيش الدفاع اليهودي ، كما استطاع الجيش — أثناء الهدنة — أن يحصل على أسلحة من تشيكوسلوفاكيا وفرنسا وبريطانيا . وكان معنى ذلك .. أن المرحلة التالية — التي تبدأ عند انتهاء فترة الهدنة — سوف تكون هي المرحلة الحاسمة . أن التكتير العسكري في الجيش الإسرائيلي كان يصر دائما على أن يستع ببيعة البدء بالهجوم والاحتفاظ لنفسه برلمان المائدة ، بمجرد أن تنتهي لفترة وقف إطلاق النار الذي فرضته الأمم المتحدة .

ورغبة في عدم انتهاك قرار الأمم المتحدة .. وانراكا من الجيش الإسرائيلي بأن الجيوش العربية امتدحت أن تبدأ هجومها مهزرا .. فقد قرر الإسرائيليون أن يسيقوا العدو بمجرد ساعات قليلة ، ويشموا هجومهم في اللحظة التي تنتهي فيها الهدنة رسميا .. أى عند منتصف الليل . وبذلك بدأنا نحن الهجوم واحتفظنا برلمان المبادرة .

وعلى الرغم من أن عددا اكبر من القوات أصبح يشترك الآن ضد هدف واحد ، إلا أن تكتيكات حرب العصابات لم تغفل نهائيا من

العمليات العسكرية الإسرائيلية . ويوجه علم . . على كل أهداف حرب التحرير هذه حققت جميعها . ولو لم تعرض الأمم المتحدة وقت انطلاق النار للبره الثبوتية في ١٩ يونيو ١٩٤٨ لكن من المحصل أن يسير الهجوم الإسرائيلي دون هوادة تقريبا . لقد استمر الوقت الثاني لانطلاق النار حتى ١٠ أكتوبر ١٩٤٨ ، وهنا قامت القيادة العسكرية الإسرائيلية بتصميم عملياتها العسكرية ، على أساس أن هناك احتمالا لزيد من تدخل الأمم المتحدة في صورة وقف إطلاق النار ، لهذا . . على كل عملية عسكرية يجب أن تكون مستقلة في حد ذاتها إلى جانب كونها جزءا من خطة شاملة .

وفي جميع المعارك التالية . . كانت القيادة العسكرية الإسرائيلية تصر على أنه ، في جميع عمليات الهجوم ، يجب عدم فقدان مرونة حرب المصالح ، والتسيرة على الإرتجال ، والقدرة على الحركة والمناورة واستخدام تكتيكات « الاقترب غير المباشر » . ودق أسلحة قوى في جنوب رمح بالقرب من الحدود الإسرائيلية المصرية ، بهدف فصل قطاع غزة عن مؤخرته ، مع ترك الخط الحديدى دون أن يمس . . أملا في أن يصف هذا من عماد العدو المصرى ، وبشجعه على الانسحاب هتدا إلى مصر . عند هذه المرحلة ، وامتت الحكومة المصرية على التحول في مفاوضات الهدنة شرط أن يرفع الاسلحة الاسرائيلى ، وتم هذا ، ولكنه كل خطأ . لأنه أضعف بشدة من مركز المسلم الاسرائيلى في المفاوضات التالية ، فتم توقيع اتفاقية الهدنة في قرية رودس في ٢٤ فبراير ١٩٤٩ تاركة قطاع غزة في أيدي المصريين ، وتضمنها اتفاقيات هدنة مع الدول الأخرى .



.. أن الجيش الاسرائيلى صممه الظروف . وهذا ينطبق عليه في هذه المرحلة من تاريخه بقدر ما ينطبق عليه في المراحل التالية . ولكن تطوره الاساسى مرصه عليه العدو . وبعض مواحي مجاحه كان مرجعه أخطاء العدو العربى وصفه . ومع ذلك . . فإن معرفة السبيل إلى إسملال ضعف العدو . . وأعلى استخدام مصوره ساءة - يعد موهبة في حد ذاته . وبالتالي لجيش اسرائيل . . على استخدام هذه الموهبة ، كل ينطلب إلى حثب جهاز محابرات متطورا للامية ، قادة وحودا . . ليسوا مدربين ومظمين جيدا طبقا

للمستويات العسكرية المثلثة محسوب ، بل أيضا مدرجين بديسا ومعتبرا لمواجهة مقتنيات حرب متعرة .

بقيام دولة اسرائيل الحديدية . . مدلت تضطلع بمشروعات لاستيعاب المهاجرين الجدد ونسبية الموارد الاقتصادية وتخصيص الكفاءات العسكرية . ولم تكن الخدمة العسكرية تعتبر على نطاق علم غلبة في حد ذاتها ، بل شرط لا مخلص منه للبقاء . لذلك . . اتخذ قرار حكيم يقضى بالاحتفاظ بمعيشة عائل صغير قدر المستطاع ، يتكون أساسا من المصنفين وتشكيل دائم للسيادة مع الخبراء والفنيين المطلوبين . وتقرر ان يتكون السواد الأعظم من أسلحة الجيش المختلفة ، من قوات الاحتياط المدرية التي يجب استدعاؤها للتدريب والمانورات لنسبة أسابيع قليلة من كل علم وفي أية حالة طارئة .

وكانت الفجوة ، في كفاءات الأسلحة ، حيدا وبين العدو مشكلة أخرى ، إلا ان حلها كلى يعتمد على ان يوجه هذا الكم بتفوق في الكيف تقوفا كبيرا ومن ثم كلى لزاما سد هذه الفجوة بتحقيق مستويات أعلى بكثير في الخبرة العلمية والتكنولوجية والنسبة .

وبتنظيم أفضل وتطوير لعنيت المبدان ومن طريق المهاره في الإستراتيجية والتكتيكات .

وبالإضافة الى ذلك . . فقد كان هناك بعدا خطيرا آخر لابد من مراعاته وهو الاحتفاظ برملم الموفرة دائما في الجيش الاسرائيلي وأعطاه أهمية كبرى للمفاجأة والمهجوم ، لأن هذا هو الحل الوحيد لمشكلة الضعف الجغرافي الاسرائيلي ، وهذا يؤدي الى التركيز على قوات الطيران . ان مسرح الحرب الاسرائيلية العربية في أساسه برى ، بمعنى أن معاركه الحاسمة سوف تتورق في البر ، ولكن التنوق الحوى هو الذى يفتح الباب أمام حسم أى حرب برية . لقد بدأ التفكير العسكري الاسرائيلي يركز البية للقوات البرية على اللوحات المدرعة التي يمكنها ان تتطعم مسافات طويلة بسرعة ، وعلى سلاح المشاة بتساقده الطائرات ، ثم قوات طوارئ كبيرة فيها من صفات الجيش الحسم الكبير ، ومن صفات الفرق الخاصة ، المرونة .

واعتمد التفكير العسكري الإسرائيلي أيضا ، على تطوير جهاز للمخابرات من الطراز الأول ، و ربطه بالمعسكر المختلفة لقوات الجيش الاسرائيلي ، ودعمها لهذا الجهاز .. كان لا بد من اقامة شبكة قوية للانداز المكنر لما اهمه هذا الجهاز فتبدو واضحة جيبا يعلم ان الهجوم لابد ان يكون دائما طلع العمليات العسكرية الاسرائيلية .. مهما كان الثمن السيلبي الذي يدفعه في سبيل ذلك . كان لا بد ان تعتمد النظريات العسكرية الاسرائيلية على « هجوم مضاد سابق لهجوم العدو » او « هجوم مضاد توقيى » كما كان يسمى ايضا . وبالنسبة للعمليات المعادية ، فلا بد من الاعتماد على استراتيجية الانتكلم الديناميكية .

كان هذا هو الاساس العسكري عندما شنت حملة سيناء سنة ١٩٥٦ — ان وضع الامن الاسرائيلي كل معاه ثل حرب توقيعية . والمهيئة للنصر .. كان لابد من سبل تنويع عسكري محدد على العربة المصرية . الامر الذي تطلب حشد قوات غامرة كانية على هذه الجبهة ، من مدرعات للمشاة مروده بالالات الميكانيكية ووحدات استطلاعية خفيفة وقوة حوية تكتيكية ورجال مخابرات ومدمية وبيدان .. حتى على حساب اضعاف جهات اخرى مختلفة . على ذلك كان يمكن الدليم بهذه المخاطرة بفضل التصنة الكاملة لقوات الاحتياطى ، والاحتفاظ بوحدات متحركة كبيرة في المؤخرة لاستخدامها اذا اقتضت المرورة ذلك . ونعمى مليا (حرب ١٩٥٦) لاستئلال مصر المناجاة الى أقصى الحدود بالنسبة للاستعدادات وللجبهة دائها وتوقيت الهجوم واسلوبه . وتمت الذبينة بسرعة ووق صيت .. فاطلقت شلحات على الارض على وشك التعرض للهجوم ، بينما كانت القوات الرئيسية في واقع الامر تمسشد في ساعة المعسكر تقريبا منذ نطق انطلاقها على حدود سيناء .

وكان الهدف من عمليات انزال حدود المظلات — التي تمت سنة ١٩٥٦ خلف خطوط الجيش المصرى — هو اتخاذ سبيلها كنقطة للتسلوطة في مغاضبات السلام مع مصر ، اذا ما قدر اجراؤها .

ولان ما يفتنى هنا .. هو تطور ثوة الجيش الاسرائيلي ونظرياته العسكرية .. فلتنى ان لبرد وصفا تفصيليا لحيلة سفاء ..

منقلا الى الفترة من حملة سيناء في ١٩٥٦ ، وحرب الأيام الستة في ١٩٦٧ .



في السنوات السابقة على سنة ١٩٦٧ - كان هناك رأي متشائم ، كل يمكن ان يقودنا الى اخطاء فائقة . هذا الرأي يقول ان الوقت ضدا .. ولصالح العرب . ان هذا الرأي كان يعتمد على ان السكان في الدول العربية يزدادون بمعدل محيف ، ولن يستوى معيشتهم في ارتفاع مستمر وأن عدد شبابهم الذين يتلقون تعليمًا ثانويا وحاميا يزداد باطراد .. معنى ان هناك تحسنا كبيرا في النوع كان يحدث في المجتمع العربي ، ولن يمضي وقت طويل حتى تلحق سائر الدول العربية ، وما ان يضاهي الكيف الى تفوقهم المعنوي حتى تصعب قوتهم العسكرية فاحرة على التعطب على اسرائيل وتدمرها .

وكان رأيي الخاص .. هو ان ما بهم ، هو كيفية استفادة المرء من الوقت ، كنت مقتنعا بأنما اقوي بكثير مما كنا عليه في الإحصاريين السابقين سنة ١٩٤٨ و ١٩٥٦ . وهكذا على الوقت حتى لم يكن ضدا ، وأنه لن يكون بالضرورة في المستقبل القريب ضدا لفترة هيلين على الأقل . ولكن من رأيي ، ان هناك ارتباط وثيقا بين التقدم الإحصائي والتطور من ناحية ، والفترة على تطبيق الخبرة العلمية والتكنولوجية التي تتطور بسرعة اكبر من النظام الاجتماعي . ولهذا كان وضع أسلحة حديثة معقدة للمالية في أيدي مجتمع متخلف .. لا يخل بالضرورة على زياده في الفترة العسكرية . وقد يبرهن بعكس ذلك على أنه عاقل وليس عاملا ماسعا . ومن الواضح ان الريادة السريعة في سائر الدول العربية هي مقنة وليست نعمة .

ان الأخطاء الفائقة ، التي كل يمكن ان نقودنا اليها النظرة المثبتة ، تتراوح بين ضرورة الاعتماد التام على الرادع القوي ، لنتائج القنبلة الذرية مثلا ، والاعتماد التام على دولة كبرى .

وبالنسبة للحالة الأخيرة .. فقد كتبت مرموزة تماما ، لأن اعتمادنا على دولة واحدة كبرى ، صوم يقضين أملاء سينابا لاساليب ووسائل حل للنزاع العربي الاسرائيلي بصورة قد تكون

في صالح أعدائنا ، وبالإضافة الى ذلك .. فإن القوة الكبرى التي ستضمن وجودنا .. قد لا تكون بالضرورة متفقة معنا دائما في تقدير الحالة الفعلية للأمور . لها السبب الآخر .. فهو لن يتجه الحرب في أيامنا وفي عصرنا ، تنقرر في الأيام القليلة الأولى ، بل وفي الساعات القليلة الأولى أيضا ، وبالتالي فإن مساعده خلفنا لنا قد تأتي متأخرة ، ومن ثم لن تجدي فضلا .

ومضة عامة .. فاته - حتى الان السبب على حرب ١٩٦٧ - اعتدت النظرية العسكرية الاسرائيلية على أن اسرائيل لابد أن تقوم نورا بحرب وغتية في واحدة من الحالات الست التالية .

١ - عند حشد القوات الهجومية العربية على نحو يشكل خطرا على اسرائيل .

٢ - حين يصبح واضحاً أن العدو يستعد لشن هجوم جوي مفاجيء ضد قواعد اسرائيل الحيوية .

٣ - في حالة السمرس لهجوم حموي . حتى وان كل محصوراً في مكمل محدد مد منشأنا الجوية ومؤسسانا العالية .

٤ - حين تصل حرب العمليات الى النقطة التي يصبح معها الدفاع السليم والاعراءات الانتقامية عاجزة عن مواجعتها .

٥ - اذا نحتل الارض في تحالف عسكري مع دولة عربية اخرى وسيحتل للقوات العسكرية الاصبية بالمركز فوق أراضيها وحامة على الضفة العربية من مهر الأردن .

٦ - اذا أغلقت مصر مضائق تيران

في هذه الحالات ، لو في أية واحدة منها ، كان لابد من تطبيق نظرية « الهجوم المباد التوقفي » نورا .. حتى ولو تعرضت اسرائيل لادانة الأمم المتحدة . الهجوم لولا .. ثم تقديم نفسه الى العالم بعد ذلك ، وهذا هو ما حدث في سنة ١٩٦٧ .. ١



في الأيام القليلة السابقة على ٥ يونيو ١٩٦٧ ، كانت لدى المخابرات الإسرائيلية المعلومات الحديثة عن التشكيل العسكري للدول العربية ، وعن مواقع القوات وبواباتها ، ومن ثم تسلي القوات العسكرية الإسرائيلية لن تعمل من خطتها طبقا لحط العدو .

وفي ظل الظروف التي ظهرت بعد انسحاب قوات الأمم المتحدة من سيناء وإغلاق مصايق تيران في مايو ١٩٦٧ ، قررت حكومة إسرائيل تأجيل رددها العسكري على مصايق تيران ريثما يتم القيام بحاوله دبلوماسية حمله . . للناك مما اذا كانت الدول البحرية الكبرى مستعدة لذلك الحمبر المصري بالقوة .

وكان في رأيي . . ان هذا خطا عسكري وسياسي على حد سواء ، لان حرية الملاحة أصبحت اعتبارا ثانويا ، بينما التصدي الخطير يمثل في حشد القوات للهجومية في سيناء الذي أعقبه تحول الأرض الى حلف عسكري مع مصر . وفي تلك الأيام . . لم تكن إسرائيل تقوى على انتظار هجوم مصري كبير قبل ان تنس هجومها المضاد .

كانت سيناء . . تمثل الخطر الرئيسي من حيث القوة العسكرية . وكل تهديد الأرض استراتيجيا — جغرافيا ، أما تهديد سوريا فكان يمثل في قدرتها على الأراج . ولهذا كان — من الصائب — توجيه الجهد الرئيسي ضد مصر مناجاه استراتيجية ، لأن الميوش (المصرية) كانت على أهبة الاستعداد ، والنوع الوحيد من المناهضة الذي كان لا يزال ممكنا ، هو على المستويات التكتيكية والتفيدية ، أي في الميدان . . في مسرح الحرب .

ولم يكن حافيا . . ان التصرف في الجو هو مفتاح النصر ، حتى وإن كان في حد ذاته لا يضمن النصر . وتمكنت قواتنا الجوية من مباغتة السلاح الحوى المصري . . رغم أنها كما قد فقدنا منذ وقت طويل ميزة المناجاة الاستراتيجية . وجدير بالفكر ان السلاح

الحوى الاسرائيلى لم يستطيع مناعة القوات المصرية ، النجية الاولى للمبارزة العسكرية مصحبه بل ايضا القوات الجوية الاردنية والسورية والعراقية .

وكل الحزم كبرا على ان تكون سبيعا مصيده كثيرة للجيش المصرى .

ان شبه جزيرة سيناء .. يمكن ان تكون منطقة حاضرة بين مصر واسرائيل ومقطعة لانتلاق لاي هجوم مصرى على اسرائيل . لكنها يمكن ان تصنع ايضا معا للقوات المحتشدة فيها لشن هذا الهجوم . وقد خلوت القوات البرية الاسرائيلية - وحامية المدرعات والمشاة - ان نعوض بملصها عن ضياع عصر المفاجأة الاسرائيليه باستخدام سلسلة من المفاجآت التكتيكية ، وذلك التى على مستوى العمليات .

وكانت الجبهتين - الاردنية والسورية - يعتبران من المرحه الثانيه من جهه الاهيه حتى بدأت الحرب . وعامت عدة ايام من الفرار السيلنى من حاصبا بالنسبة لشن الهجوم على الضفة السورية ، بسبب المعالاه فى تقدير قدره السوريين على الصمود . ولانه لم يكن من المتوقع بواقته المصريين على وقف اطلاق النار سبل هذه السرعة

وفى رايى .. انه كان يجب على اسرائيل ان تشن هجوما على الجبهة السورية بمجرد ان تم اسفل غامليه القوات الجوية العربية بما على ذلك السورية . لو تم هذا - فى الوقت المناسب - لتمكن تحقيق هدف سياسى آخر عظيم الفاتدة الى جانب المكاسب الواضحة الاخرى ، فقد كان يمكن للقوات الاسرائيلية ان تجرى اتصالا مباشرا مع جماعة الدرور ، التى طلل قمع دمشق لها ، وتقدير يد المون لها لتقيم جهازا سلسبا للدرور - اى دولة دررية مستقلة - وهكذا كلى يمكن لدولة من الدرور ان تكون بمثابة دولة صديقه حاجزة بين اسرائيل وكل من سوريا والاردن ، وهكذا سبهم كثيرا فى استقرار المنطقة .

لقد اشتت حرب الأيام الستة ، بصورة حاسمة ، بعض الفروخ الإسلامية المصبة التي تسكت بها خلال الفترة السابقة وهي :

أولا اثنا في حرب ١٩٦٧ تصبنا ما اقترعناه من أخطاء في حرب ١٩٥٦ .. سببا خطيا في حرب سببا بالتأييد العسكري من بريطانيا وفرنسا .. فلتنا حصرنا على الجبهة السياسية ، وهذا هو ما لم يحدث في حرب الأيام الستة .

ثانيا . ظهرت إسرائيل بأنها أقوى من الحشوش العربية مجتمعة . وكان هذا مرجعه الى أن النظام الإقطاعي العربي - بعض النظم من التقدم الذي حققه - قد فشل حتى الآن في أن يقدم بالقدرة الكافي في ميدان التكنولوجيا العسكرية الحربية . ولم يكن هناك أي وفاق اجتماعي أو شعور بالوحدة الوطنية داخل أية دولة عربية . بل كانت السمة المبرزة السائدة هي العنصرية والكنية ، فكان الحكم يكتب كل منهم على الآخر . والوزراء يفترون الأوامر للأطاحة برفاقهم ، والسياسيون يرمون الى خديعة رؤسائهم كما يهدد الجنود ضباطهم . ولم يستطع كبار المسؤولين في الحكومة أن يكونوا أماء كل منهم مع الآخر . لو حتى مع أنفسهم .

وبالمقارنة .. كانت إسرائيل مثال للنسج والحضارة . فهي أساسا متحدة ، وبالرغم من مشاغلها الداخلية المصيبة ، فإنها تقسم بالتمسك المستقل وتحظى بمساندة التضامن اليهودي في جميع أماء العالم ، ولشتت أن الكيف - على مستوى الفرد والمجتمع - يتفوق على الكم .

ثالثا - كذلك برهنت حرب الأيام الستة بصورة قاطعة . على أن نظرية الهجوم المصلد التوقفي قد ضمنت - بفاعلية - أن شقزع إسرائيل زمام المبادرة من العدو . ولقد تعلبت من هذه المرة - إلى الأبد - أنه لا مديل لإسرائيل في حربها مع أعدائها العرب سوى أن تحتفظ بزمام المبادرة مع رفض الدفاع السلبي بشدة .

والآن ، حين أرى الموقف بعد حرب يونيو ١٩٦٧ - على هناك
خدمة هائلة نحو إعادة تسليح القوات المصرية مرة أخرى . على
مستهل عام ١٩٦٩ استعاد سلاح المدرعات المصري - بفضل
الامتدادات السخنة - ما كان عليه من قوة عشية حرب الأيام
الستة ، وأصبح السلاح الجوي المصري بقوة ٥٠٪ ومن المؤكد أنه
خلال سنة بعد ذلك سوف تطلع المدرعات المصرية ١٥٠٪ والسلاح
الجوي المصري ٢٠٠٪ من قوته قبل الحرب .

ومع أن هناك خطوطا واضحة الآن للموقف اطلاق النار ، إلا
أنه في رأيي أنه - في مواقف محيية - سوف يكون من واجب
إسرائيل - بل ومستجد نفسها مضطرة بجديده - التي أن نمث
ضرورة عبور خطوط وقف إطلاق النار ، سواء كان هجوم مضادا
توتيم على نطاق ضيق أو واسع . في عرو قصير الأمد أو في
عملية أكثر امتدادا . وهذه هي المواقف الرئيسية .

● أولا : في حالة التمرس لهجوم محدود أو شامل . أو
في حالة اكتشاف أن العدو يسمد نشاط لهجوم هوى أو بالصواريخ
واسع النطاق على أهداف حيوية في إسرائيل .

● ثانيا . في حالة تمرر وقف نشاط الإرهابيين بوسائل
محدودة .

● ثالثا : في حالة تحمل العدو في ملاحه إسرائيل في البحر
المتفوحة وفي المضايق ، أو الممرات الضيقة للبحر الأحمر .

● رابعا : بهدف تحقيق المصرة لاجلاء ظاهرين أو مستترين ،
معلمين أو محتجزين في دولة أو أخرى من الدول العربية .

● خامسا : في حالة تغيير الوضع الراهن لدولة معاصرة على
نحو يهدد إسرائيل بخطر محقق .

مسئلهٔ تقبیل ایزمورفیک

تأنيث، شافوول قرييد لاميدو

بالنسبة لنا - نحن الاسرائيليين - من الكراهية النسيبة على الاسرائيلي نعطه يبعو كقريب لبلدا في نظر العربي . وكأنه ركيزة لقوى الشر في العالم اجمع ، فضلا عن اتساعه بالقوة والحداد الشيطاني . وهكذا يرى العرب ان اسرائيل دائمة الحديث عن السلام منذ عشرين عاما ، ولكنها هاجت جيرانها مرتين فجاء .

وبالامانة الى ذلك - من الصبر العربي برداد يوما بعد يوم اقتناعا من اسرائيل اذاء للاستعمار العربي . وهكذا يسمح احتمال الهزيمة العربية اقل تسوء ، لادتها لا تأتي على يد الدولة اليهودية اليهودية وحدها ، بل على يد العرب الاستعماري كله ، ان هذا التفسير المخل للامانات يسمح للمسلم العربي ان يؤمن بالنصر النهائي . نظرا لان تقدم التاريخ سيؤدي الى انهيار الامبريالية العربية ان عاجلا لو آجلا .

ومن الصعب ان نتحدث عن سياسة عربية مشتركة ، حتى بالنسبة للمشكلة الفلسطينية ، الا ان هزيمة العرب في يونيو ١٩٦٧ قد جعلت بلورة اتجاهات مستقبلية تتعلق بالكتيك الواجب اتباعه تجاه اسرائيل . ففي العالم العربي اليوم هناك ثلاثة مواقف تكتيكية بالنسبة لاسرائيل

الموقف الاول : يؤمن به مجموعة يصعب تقدير اهميتها ، وهي مستعدة للبحث في حل سلمي ، وهي تفتقر الى المفاهيمات هي الوسيلة الوحيدة لاستعادة جزء من الاراضي التي فقدت في يونيو ١٩٦٧ . وعلى مستوى رؤساء الدول ، يتخذ كل من الرئيس التونسي بورقيبة وحسن ملك الاردن هذا الموقف .

الموقف الثاني . يؤمن بأنه « لا تقمص ولا اعتراف ولا صلح مع اسرائيل ، وكذلك لا مساواة بشأن مستقبل اراضي وشعب فلسطين » . وهذا الموقف سيطر ، لاذ يرى ان الوقت في صالح

المغرب وأنه يمكن استعادة جميع الأراضي التي فقدت في يونيو ١٩٦٧ ، بفضل أعداد سيالسي وعسكري عبور .

الموقف الثالث يؤمن بأن نشوب حرب تقليدية جديدة مع إسرائيل أمر غير ممكن في المستقبل المباشر . لهذا على أصحاب هذا الموقف يؤمنون بأن الحل هو حرب العصابات . وهذا القطاع من المغرب يقدّمه من الأساليب الدبلوماسية حتى باعتبارها تكتيكا مرحليا . وأبرز الذين يمثلون هذا الموقف منظمة « فتح » .. أشهر حركات المقاومة الفلسطينية

ولكن ما هي سياسة إسرائيل تجاه المواقف العربية ؟

لقد قيل أن إسرائيل ليست لديها سياسة خارجية حقيقية . لأن هذه السياسة تتجدد بصفة جوهرية وفقا لاحتياجات أمن الدولة الملحة . وذلك صحيح إلى حد ما . ولكن هناك ، من البداية ، موقفان متطرفان ويختلفان بالنسبة للرأي العام داخل إسرائيل ، وهما :

الموقف الأول : يؤمن به مجموعة من اليساريين ودعاة السلام الفلسطينيين وهم مستمدون بدون شك ، إلى تفكيرهم التنارلات كبادرة أولية من قبل إسرائيل ، مثل الحلاء من الأراضي المحتلة بما في ذلك القدس القديمة وقبول جزء من اللاجئين على أمل أن يعتنق شك المغرب تجاه هذه التوايا الطيبة ، وأعمال الجحيم المتخلصين من استمدادها للتفاوض من أجل الوصول إلى صلح قنوي . ولا تنضم هذه المجموعة سوى أقلية ضئيلة ، إلى جانب أسماء حرب « ركاح » الشيوعي الموالي للسوفييت ، وجباعت صخرة للعلية مثل جماعة « ماتزين » . وكل المؤمنين بهذا الموقف لا تريد نصبتهم من مخوع السكان على ٢٪ أو ٣٪ .

الموقف الثاني : وهؤلاء هم الذين يرفعون شعار المطالبة بكل أرض إسرائيل .

وهي التي تمتد - من النيل الى الفرات - وهذه المجموعة تضم عناصر من اليسار واليمين ، لم يكن بينها أي اتصال قبل حرب يونيو ١٩٦٧ . ولكن عندما بشرت كما حيج سيهم مجاء . وأعضاء هذه المجموعة يمكن تقديرهم بمشرة في المائة من السكان .

ولكن ، ربما لا يمكن تصور قيادة المؤمنين بالموقف الاول ، على من المحتمل جدا ان تبحث قيادة واسعة للمؤمنين بالموقف الثاني .

وهناك موقف ثالث تؤمن به الاعليه الكبرى من السكان ، وتعتبر هذه الحكومة رسميا بناء على المبدأ الاساسي التالي ' : ان اسرائيل مستعدة للتخلي عن جزء من الاراضي المحتلة .. مقابل اعتراف صريح من البلدان العربية بها وتوقيع معاهدات صلح رسميه معها .. بشرط ان تلتى الحدود الجديدة احتياجات امنها ونظرا لان الاراضي المحتلة تشكل ميراث رئيسية بالنسبة لاسرائيل في حالة حدوث مواخذه عسكريه جديده ، على الجلاء عنها لا يمكن ان يكون شرطاً مسبقاً للتفاوض ، بل لابد من توقيع معاهدة صلح اولاً .. ثم بعدها يتم الجلاء

لقد رأينا من قبل نظره العرب النبا - معن الاسرائيليين . والآن ، على نظره الكثيرين بنا - معن الاسرائيليين - الى العرب يحكمها شعور بالتفوق ، لان كثيرين من الاسرائيليين يعتبرون المجتمع العربي بدائيا ومنحلفا . بل وفي حالة انحلال - فنادا كانت هذه هي النمطه المضادة ، مهل يمكن ان يكون للدول الكبرى موقف يفرض على الطرفين حل النزاع ؟

ان من الصعب تقييم الاثر الحقيقي للدول العظمى على النزاع الاسرائيلي العربي . لقد خلقت دولة اسرائيل بمصل توافق موقف كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي ، وكل من الروس هم الذين مكثوا الاسرائيليين من الصمود خلال الشهور الاولى من حرب عام التحرير في ١٩٤٨ . كما ان الامريكيين هم الذين اجبروا القوات

الاسرائيلية على الجلاء عن منطقة العريش في سيناء في نهاية تلك الحرب نفسها .

وفي ١٩٥٦ — أدى التوافق بين «وطني الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي الى انشاد مصر من الانهيار (كما سبق ان أدى الى انشاء اسرائيل في ١٩٤٨) وتحولت هزيمتها الى نصر سياسي ونفسي . وكان الروس هم الذين تسببوا في اثارة سلسلة الحوادث التي انتهت الى حرب يونيو ١٩٦٧ . ولكن ليس ليكون اى من الأمريكيتين أو الروس — منذ ذلك الوقت — ان يعدلوا الموقف الجديد الناتج عن النصر الاسرائيلي . ويبدو ان ازمة عام ١٩٦٧ وآثارها قد اوضحت حدود سلطة الدول العظمى في الشرق الأوسط ، مما كان يفوقها العظمى في هذه المنطقة في الماضي ، ويرجع هذه الحدود الى قيام الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي بتحديد كل منهما للآخر .

ولو بدأنا بمصالح الاتحاد السوفيتي في المنطقة . . فإن هناك اهداما عاجله متعددة له ، هي مع العرب من تثبيت لعداياه مرة أخرى في مصر وسوريا في حالة تغيير نظام الحكم بها ، وتعبيد وجود الاسطول السادس الأمريكي بالانشقاق حول التنظيم الدفائي لحلب شمال الاطلنطي ، وكذلك اجبار الأمريكيين على تقسيم الشرق الأوسط الى مناطق نفوذ مما سيدعم الوجود السوفيتي في البحر المتوسط . ومن ثم فإن الإبقاء على التوتر بين اسرائيل والقول العربية ، يعتبر شرطاً لازماً لفعلوا هذه البلدان معها . كما ان من شأن حصة اضافية أن تشجع موسكو على استغلال التوتر ، اذ من غير المستبعد ان يتوقع الروس دعم الولايات المتحدة في مرحلة انعزالها الجديدة عقب تسوية النزاع اللبناني ، وانسحابهم من كلفة مواضعهم المحيطة بهم للاصحاء داخل القلعة الأمريكية . ولا شك ان الروس محطون في هذا الاعتقاد . ويمتد الاتحاد السوفيتي ان المحلل سيكون عندئذ حلياً ليداه في الشرق الأوسط وبصفة خاصة ، ان الانشاء بصفة منتظمة على التوتر في المنطقة سيؤتي بشماره .

ولكن مثل هذا الموقف له مخاطره ، لبررها حدوث تصعيد في حالة نشوب نزاع محلي . ولتصور مثلاً وقوع حادثة في منطقة

قضاء السويس تؤدي الى استئناف القتال بين اسرائيل ومصر .
المعصب على الاتحاد السوفيتي أن يسمح بوقوع جريمة عريضة ،
اد أن ذلك قد يهدد بانتفاء على المراكز التي اكتسبها في العالم
الثالث ، متجه للضربة التي ستطغى بمكانته .

ويبدو أن ميله « الكرغلي » تهدف الآن الى الانشاء على حاله
محمومة من التوتر ، لاسمعد منها - كما رأينا - وقوع تدخل
من الاتحاد السوفيتي في ظل بعض الظروف ، كما تهدف الى
تحاشي التدخل عسكريا بقوة بسبب مضطرة تصعيد الموقف ،
واستغلال حيلة الأمل التي تشر بها البدل العربية للتدخل فيها
على مستوى كبير ، والسعى الى التوصل لحل وسط للنزاع في
الشرق الأوسط مع الولايات المتحدة في ظل بعض الظروف
العالية دون التحلي من المواقع التي اكتسبها في العالم العربي .

وإذا كانت روسيا تؤيد موقف العرب ايضابا ، ولا يستبعد
قيام العرب بميل عسكري محدود .. فإن أي ضغط روسي قد يضع
اسرائيل في موقف صعب ، ولكنه لن يكون كافيا في حد ذاته لاجبار
اسرائيل على تغيير سياستها . ان ما هو موقف أمريكا ؟

ان موقف أمريكا بحكمة شائعات ومرويات متعاصرة . ان
مصالحتها الاقتصادية والاستراتيجية في النطاق العربية هي أكبر هذا
من مصالحها في اسرائيل . وبما تفرض مصالح أمريكا عليها أن
تتخذ موقفا محتلما .. فلها تؤيد اسرائيل لأسباب أخرى غير مجرد
المصالح .. أسباب عقائدية .. وأسباب تتعلق بالسياسة الداخلية
لأمريكا نظرا لأهمية الناحية اليهود في الحياء السبئية الأمريكية .
ومن المؤكد أن رمس أمريكا اتحاد موقفا معاد من الدولة اليهودية ،
قد سهل من مهمة الروس في مصر وسوريا .

وبالنسبة للموقف الآن . فمن الحذر أن يكون الأمريكيون
مستعدين للقيام بشارات في الشرق الأوسط ، وأن يحاولوا عرض
تسوية على اسرائيل من طريق المفاوضات ، وفقا لما يشترطه
الاتحاد السوفيتي .. وذلك في مقابل سحبها الى التوصل الى اتفاق

مع موسكو في الشرق الأقصى ومثل مشكلات مرع السلاح . ولكن
يحتل أيضا أن انسحاب أمريكا من فيتنام قد يدفعها إلى المراهنة
على أنها لن تفقد بمصالح البلدان التي كانت تساندها في المناطق
الاستراتيجية الأخرى .

وهذا احتساب ثالث ، وهو أن التدخل السوفيتي في
تشيكوسلوفاكيا وفشل المفاوضات الخاصة بفيتنام قد يشعبان في
ريادة التورم العالمي واتباع أمريكا لمسببه أكثر تشددا في الشرق
الأوسط .

ويبدو أن الولايات المتحدة . تهدف إلى تحاشي شوب مراعاة
مصلحة المنطقة ، والابتعاد على مصالحها القاتبة واستمادة مكائها في
العالم العربي ، كما تهدف إلى تشجيع الظروف المؤدية لتفاهم عالمي
مع الاتحاد السوفيتي ، وفي الوقت نفسه ، عدم التصحبه بالمصالح
الحيوية لإسرائيل . أن أمريكا لا نود انسحاب إسرائيل بصورة قد
تعرض وجودها للخطر . ولكن لا يفسدو أن وراءه الخارجية
الأمريكية تعتقد أن هذا التوقيع على معاهدة المصلح لا يعتبر ضرورة
ملحه ، ويبدو أيضا أن أمريكا لا توافق على موقف إسرائيل بالنسبة
للقدس . وقد استغل الضغط الأمريكي ، بصفة خاصة ، احتياجات
إسرائيل الملحة في مجال التسليح الجوي ، وأجبرها على التخلي عن
المفاوضات المباشرة على الأكل في المرحلة الأولى للاتصال مع العرب .
ولكن الأمر لم يكن متعلقا بمصلحة حيوية لإسرائيل ، على عكس
معاهدة المصلح . وقد تجبر واشنطن إسرائيل نظريا على الرضوع
على طول الخط ، ولكن هذا الاحتمال نظري صحت . . أد يجب أن
يسمح الرأي العام الأمريكي في الاعتزل .

ويبدو أن اتسي ما يمكن أن تعطه أمريكا ضد إسرائيل . . هو
أن تظهر تشددا أكبر في الأمم المتحدة أو في مجال تزويدها بالأسلحة .
ولن يكون ذلك كافيا لحمل إسرائيل على تغيير سياسة تعتمدها بلادة
من مصالحها الحيوية . مصالح لا يمكن لإسرائيل أن تتخلى عنها
إلا إذا اقتضت الولايات المتحدة على مباشرة ضغط شديد جدا
عليها . غير أنه من المستبعد تصور وقوع هذا الضغط .

وهكذا .. فلن من المحتمل أن يؤدي العمل الدبلوماسي لروسيا وأمريكا إلى إجبار الدول العربية وإسرائيل على تعديل بعض من مواقفها التكتيكية . بل إن هناك احتمالا أن يؤدي هذا العمل إلى بدء إجراء مفاوضات .. ولكن من المشكوك فيه أن يؤدي إلى تحلّي الطرفين المعنيين من مواقفهما الأساسية ! .

وتدعينا هذه الإضرابات العلنية في ذاتها .. إلى بحث هاتين حاصتني ، وهما ، موقف إسرائيل تجاه مصر ، وموقفها تجاه الأردن .

ففي بدايه سنة ١٩٦٨ تردد الحديث عن احتمال التوصل إلى تسوية مؤقتة بين مصر وإسرائيل ، وخلال الشهور التالية اتضح التكتيك المصري بصورة أكبر . وبعد ذلك الوقت يسير المصريون على خطى متواريين . يحب الاعتراف بأنهما لا يحلوان من الفصائية . فهم من جهة .. يشيرون من وقت لآخر بعض الحوادث في منطقة قناة السويس ليشيروا للملأ بأن الموقف الراعي يشكل تهديدا للسلام ، وأن جلاء إسرائيل من الأراضي المحتلة يعتبر الوسيلة الوحيدة لضمان الهدوء . ومن جهة أخرى يشجعون مشروعات مختلفة تتضمن بعض التنازلات ، مع علمهم مقدما بأن إسرائيل صفرضها ولا يمكن أن توافق عليها .. مما يضع إسرائيل في موقف دفاعي على السمعيد الدبلوماسي ، وفي هذه الأثناء .. تستعد مصر لاحتمال نشوب حرب جديدة .

أما بالنسبة للأردن .. فلن من المحتمل ، بل ومن القبول ، التوصل إلى معاهدة صلح في هذه الحالة الخاصة والمحدودة ولكن الأمر غير مؤكد على الإطلاق لأن هناك أربع عقبات رئيسية . فأولا - اعتراض مصر . أن إسرائيل تعرف أن أي سلام على المدى البعيد مع العالم العربي يجب أن يمر مصر . ولن التوصل إلى اتفاق مع الأردن وحده يحصل إلا يكتب له الإستقرار . وإذا كن موقف القاهرة مهما بالنسبة لإسرائيل ، فإنه أكثر أهمية بالنسبة للملك حسين .. لحومه من العناصر الموالية لمصر داخل الأردن ، ومن المنظمات الفدائية .. هذه هي العقبة الثانية . ولحرا هناك مقنة احتجاجات الأمن الإسرائيلي وعقبة القدس .

وهكذا .. فمعاً يواجه نوعاً من الديناميكية المستقلة للتراع
بيننا وبين العرب . هناك (رفض) يهودى فى مواجهة (الرفض)
العربى . وحتى الآن كان العرب هم أكثر من حصر فى هذا
التسلسل من الرفض ، ولكن الحاضرين سيكونون من الجانبين
فى الأجل الطويل . وهكذا فإنه من غير المحتمل على الإطلاق ظهور
امكانيات سلام حقيقى بين إسرائيل والعالم العربى .. أو على
الأقل مع مصر .. أهم دولة فى العالم العربى . إن .. فى هذه
الحالة .. طالما أن احتمالات السلام متعمدة .. هل هناك
احتمالات للحرب ؟

إن الهزيمة المصرية أمام إسرائيل فى سنة ١٩٦٧ كانت
مأساة . وبالأخص إلى الأسباب العسكرية والسياسية التى
وصفت الجيش المصرى فى موقف صعب جداً من البداية .. فإن
هناك عوامل أخرى مصيبة . أن أخطر دليل سيكولوجى فى
الهزيمة العربية يكمن فى ضعف الصلات الاجتماعية التى تربط بين
العربى وأحبب العربى ، وبفحة لهذا العجز فى السبل الاحتياضى ،
يحد كل حدى عربى نفسه بحارب فى الأوقات الحرجة للمعركة
كقرد مغرول .. لا ماعنصره مصوا فى مجموعة . لذلك .. فإن كل
فرد يسيل إلى الاهتمام بنفسه أولاً ، تحتل الوحدة . وقد سئل
قادة بعض الجماعات العسكرية عندها وتموا فى الأسر عن أسماء
رجالهم ، فقالوا أنهم كانوا يكتفون بمعرفه أسماء قادة السرايا ،
وكانوا يمتصرون سؤالهم عن أسماء الزعماء الذين خدموا تحت
أمرهم أهانة لهم .

وسئم الاسرائيليون عندها لاحظوا الهوة التى تفصل بين
الضباط بعضهم من النعمس ، وأحياناً كراهيتهم المتبادلة لبعضهم
النعمس .. حتى وهم فى الأسر . فقد كل كل منهم يلوم الآخر بأنه
لم يقوم بواجبه ، كما لو كانوا هم قد تصرفوا بطريقة مرضية .

وتشير دراسات أخرى خاصة بالمصنع العربى .. إلى أن
العامل الثانى الذى ساهم فى انهيار العرب هو موقفهم تجاه
الحقيقة والواقع . أن المرء ليصق من كثرة الأكاذيب التى يرددونها
فى حياتهم العامة . ومن أمثلة تلك الكذبات الكبرى .. هذه

المزامم التي قالت ان الطيران المصري دبر نتيجة لهجمات أمريكية وبريطانية . وقد حدث في مبياء أن وقعت بعض الوحدات المصرية في الاسر مبيعة لأنساء مضلله لداعها راديو القاهرة عن انتصار الجيوش العربية ، فقد كانت سيلة الاعلام المصري أبان الحرب ضد المصالح المصرية بكثير مما هي معها .

ولكن .. هل تعتبر نقاط الضعف هذه ملازمة حتما للمجتمع العربي وتقاليدته الثقافية وانحائه السيكلوجية المبيقة ؟ وهل تستطيع اسرائيل أن تستمر في اعتمادها على نقاط الضعف هذه ؟ أنشئ أنك في ذلك . غادا لكي لاسرائيل أن تعهد في الاجل القصير والمتوسط - أي في السنوات المقبلة - على نقاط الضعف العربية المعلقة ، فانه من الخطر أن تعتمد على ذلك لفترة اطول .. !

أن من الممكن - بل من المحتمل - أن يثس العرب حروبا جديدة ضد اسرائيل ، في شكل هجوم مفاجيء . أن الذي يجعل هذا الاحتمال نظريا بأكثر مما هو واقعي .. هو مدى قدرة العرب على التغلب على المخاضات الاسرائيلية التي قد تكشف مثل هذه الحطة في الوقت المناسب ، والتغلب على الرادار الذي قد يكتشف الطائرات المصرية .. بعد أن أصبح عليها مد يونيو ١٩٦٧ أن تقطع بمسألة كبيرة مسببا لبلوغ الاراضي الاسرائيلية . وأخيرا .. فانه قد يكون من الصعب تدمير الطيران الاسرائيلي وهو رابض على الأرض لأسباب فنية عديدة ، منها مثلا حالة الطوارئ شبه الكاملة التي تطبق على هذا السلاح .

ومن ناحية أخرى .. على اسرائيل لا يمكنها أن تفرض الصلح على العرب عن طريق أحراز انتصارات جديدة . أن اسرائيل أملت مرتين - ١٩٥٦ و ١٩٦٧ - في فرض السلام على المسالم العرب عن طريق هريسه عسكريا ، ولم ينحقق ليلها في المرتين . وقد يستطيع الجيش الاسرائيلي أن يدمر الجيوش العربية في الحال ، أو أن يحتل في الحال القصوى كلا من عملى ودمشق والقاهرة ، بل انه قد يتمكن من البقاء لفترة ما في عملى ، ولكن لا يمكنه أن يبقى في دمشق . أو في القاهرة مدة حاصة . وقد

اضطرت اسرائيل منذ حرب الأيام الستة واحتلال الأراضي الجديدة .. إلى مد فترة التجنيد الإلزامي إلى ثلاث مسعوات ، مصلا عن أن حدود الاحتلطي يستدعون للخدمة المأيلة شهرين كل عام تقريبا . أن هذا أقصى ما يمكن أن يقدمه سكان البلاد واقتصادها . ومن الواضح . أن هناك استحالة غنية بالنسبة لحيش بعقد جيش اسرائيل في مد رقعة الأراضي التي يحتلها لفترة طويلة ، خاصة بالنسبة للمناطق المكتظة بالسكان كيشارب ديمشي وداتا نهر النيل . وهذه مصطلبات تعمرها اسرائيل كما يعرفها العرب ، وقد تقودها إلى استدراج ميسط ، هو أن هناك حدودا للمأيلة استخدام قوة اسرائيل العسكرية .

بعد ذلك .. هناك سؤال : هل يحتل تدخل الاتحاد السوفيتي عسكريا لصالح العرب ؟

أن هذه الفكرة قد نبهو طبيمة داخل الجيش السوفيتي . منها نعرف أنه أسس للفرو السوفيتي لتشييكوسلوفاكيا .. هرجت أبناء تشير إلى أن الحدود الروس كانوا قد أهدروا قبل ذهابهم إلى تشييكوسلوفاكيا .. أنهم متوجهون إلى مصر لمحاربة اسرائيل .

ولكن من المقول هنا أن يقول : أن أقصى ما يستطيع الروس أن يفعلوه بشكل مباشر هو التدخل المحدود هذا .. وحتى هذا الاحتمال ضعيف للغاية نظرا للوجود الأمريكي في المنطقة . الآن .. هل تتدخل أمريكا ؟ أن الواقع أنها قد تتدخل في حالة واحدة فقط ، هي عدم السماح بنعيم اسرائيل ، ولكن هناك احتمال أقل بالنسبة لتدخل أمريكا في حالة وجود عمل عسكري محدود يهدف إلى إجبار اسرائيل على الحلاء من الأراضي المحتلة .

والآن ، نظرا لأنه من غير المحتمل اقرار سلام قريب بين اسرائيل ومصر — أقوى حاراتها العربية — فإن الدولة اليهودية ستكون مضطرة إلى تركيز جل اهتمامها لفترة طويلة على مشكلات الأمن . أن أمن اسرائيل يتوقف بطبيعة الحال على مجبوءة من الموابل ، من بينها ، الحصول على أسلحة جديدة لو منها . والمهاجيم الاستراتيجية لهيئة أركان الحرب ، وتقريب القوات

المسلحة ، وتنظيم الإمدادات والتبوين بالحيش ، وتنظيم اقتصاد الحرب وأجهزة المحاربات العسكرية وغيرها .. وهذه موضوعات متركها للأحصائيين لتتركز على معص المشكلات الأساسية .

من هذه المشاكل .. مصرع الأراضي المحتلة . غلب بدائنا بالمرتفعات السورية التي تحتلها إسرائيل الآن ، غلبنا مسجد لثنا نطل مباشرة على القرى الإسرائيلية الواقعة في منطقة بحيرة طبرية ووادي نهر الأردن . وخلال عشرين عاما .. دلب السوريون على مهامة السكن الإسرائيلي في الوادي وعلى ضفاف البحيرة بصفة متقطعة ، من فوق هذه المرتفعات التي كانت تبدو وكأنها غير قابلة للتسوط .

ومن الواضح أن هذا الموقف يجب ألا يتكرر . لن من بين الحلول الممكنة لهذا الموقف .. نزع سلاح المرتفعات جولان ووضعها تحت إشراف دولي . ولكن المعروف أنه من الصعب أن نعتمد — كإسرائيلي — منذ مايو ١٩٦٧ على دوام الإشراف الدولي ، خاصة وأن كثرة تغير نظام الحكم في سوريا قد يعني مرة بحكومة تفسن الإنهاء على نزع سلاح هذه المنطقة ، ومرة أخرى بحكومة تلتفيه .

ومن ثم ، نستنه من الواجب وجود إشراف إسرائيلي . لن الإشراف على جولان لا يعتبر صلبا بالنسبة لأمم قري وادي الأردن لمصب ، ولكنه سيضرب للإسرائيليين أيضا أنهم ماحتلالهم لهذه المنطقة الصميرة — التي تتل مساحتها من ألف كيلو متر — سيجعلونها بسلطا استراتيجيا أساسيا للزحف جنوب دمشق في حالة استئناف القتال مع سوريا ، ومهامة الأردن من الخلف . كما أن الإشراف على مرتفعات جولان ، يصي أيضا الإشراف على نهر بانياس وسد الحبيبة ، مما يسمح بمع لية محاولة عربية جديد لنحويل مياه نهر الأردن (الذي يعتبر مسفرا آخر للنزاع) . ومباشرة الضغط على الأردن إذا ما لزم الأمر . فضلا من أن خط أنابيب شركة أرامكو الناظرة للنفول السعودي إلى مصافي سوريا يمر بهذا الإقليم ، مما يعتبر صلبا عاما للإبقاء على السلام في أيدي إسرائيل .

وهكذا يبدو أن الإشراف على المرتفعات السورية ، يعتبر ورقة أساسية بالنسبة لنا — نحن الإسرائيليين .

وننتقل الآن الى صحراء سيناء .

ان وجود اثرائ مصرى من طرف واحد على سيناء كلها . . قد يسمح لحكومة القاهرة ، اذا ما رغبت فى استئثاره القتال - كما فعلت فى ثلاث مرات فى الماضى - أن يحشد قواتها بالقرب من الحدود الحويبية لاسرائيل . مهددة فى كل وقت بشطر النيب الى قسطنطينية والتوغىل صوب منطقة تل أبيب الساحلية . وقد تقرر اطلاق مضيق تيران من جديد . معى حاله وقوع هجوم حوى مصرى يرتفع لفترة الانتذار من أربع دقائق الى سبع وعشرين دقيقة . وسيما كفى فى امكان لجهره الرادار المصرية الموجوده فى المريسى ونقاط اخرى من شلال سيناء - مثل يوبىسو ١٩٦٧ - أن تتشع من الناحية النظرية كل حركة حوية فى اسرائيل . فانها فى هذه المرة - لجهره الرادار الاسرائيليه الموجوده على سفنك قناه السويس - هي التى يمكنها ان ترصد التحركات الجوية فى الدلتا والقاهرة . وفى حاله شن المصريين لهجوم برى ضد اسرائيل ، سيكون عليهم ان يصرخوا اولاً عاتقاً هاتماً هو قناه السويس الذى يدهيه خط من المضخبات ، ثم عبور ما يقرب من مائتى كيلو متر من الخطوط المصرية ، اصححت بعض المراكز الحويبية المصرية (ولا سيما مور سعيد) على مدى صربة مخرج من الخطوط الاسرائيلية .

وهذه العوامل العسكرية . . تعطى لاسرائيل ايضاً ميره سياسيه صعبة . فبالرغم التهديد المصرى ، تسمح ملكاتها الآن أن تلتزم استراتيجيه دفاعية ، وتتفادى الادانه التى كانت توجه اليها عندما كانت تشن هجمات وقائية وهي الهجمات التى كانت ضرورية حتى يوسو ١٩٦٧ . وننصف الى ذلك : المبرر السياسيه التى يبذلها بالنسبة لاسرائيل الاشراف على احدى غنى قناه السويس ، والمبرر الاقتصادي الملحة من امتلاك حقول البترول فى سيناء (التى يعتبر انتاجها الحالي ضعف الحاجه الجارية لاسرائيل الى هذا الخام) وكذلك ملأه المحاصر المحتلته .

ويعتبر الوضع القائم الحالي بالنسبة لوجهه نظر امم اسرائيل مثالياً فى قناه السويس وسيناء ، ولكنه يستبعد أية امكانية

للسلام مع مصر . ان ما هو الحل ؟ ان هناك عدة حلول ومسط
تفرس نفسها ، من بينها مثلا تقسيم سيماء الى قسمين ، يحط
بدا من العريش شمالا وينتهي بشرم الشيخ جنوبا ، على ان يخصص
كله - مثل الضفة العربية في الأردن - لاشراف اسرائيل . وكل
هذه الحلول على أساس توقيع معاهدة صلح مقدما مع الدول
العربية . اما لو لم يحدث ذلك .. فلن يقاء الاشراف الاسرائيلي
العسكري على الأراضي المحتلة الآن يقطن لاسرائيل مرابا
استراتيجيه اساسية تكمهاها من قبل .

وإذا كان السلام غير ممكن مع مصر ، والنهاية غير متوقعة
لنظميات المقاومة الفلسطينية .. ان ، هل هناك حل نهائي لهذه
الآزمه ؟!

ان هناك مبدئيا . مرابا واضحه لتوقيع معاهدة صلح بين
اسرائيل والأردن ، حتى في حالة رفض مصر واعتراضها . ان
التوصل الى تسوية بين اسرائيل والأردن سيثبت لولا ان بالامكان
قيام تعلش في الدولة اليهوديه واحدي الدول العربية في الشرق
الأوسط . وعندئذ يحدث شرح في النجبه المشتركة التي يقبها
المعرب منذ عشرات السنين عند العمل الصهيوني وقوله اسرائيل ،
كما تضعف حركة حرب المصالحات ابتداء من عرب الأردن وشرته .
كما ان هناك احتمالا في ان يصمم ليسان والمملكة العربية الى العمل
السلمي ، وبذلك تنشأ في الشرق الأوسط منطقة خاصة للفهود
الامريكي وتتبع ايضا بحصليه الولايات المتحدة ، وتضم كلا من
اسرائيل والأردن ولسان والمملكة العربية . وعندئذ يمكن لاسرائيل ان
تكتسب من جديد عطف الرأي العام العربي ، كما ان مرعسا سترفع
بدون شك القبود المعروضة على مرويد اسرائيل بالأسلحة ، ولي
يكون الجيش الاسرائيلي تلقا على حدوده الشرقية في حالة نشوب
حرب جديدة مع مصر . واهيرا .. على الاقتصاد الاسرائيلي سيحدد
مناقد واسعة في البلدان المحاورة . ولا شك ان هذه المزاي الرائعة
تبرر ان تعيد اسرائيل حرمها من عرب الأردن وان تقسم تنازلات
في التخصس .

في الواقع .. ان أي شئ تنفمه اسرائيل للأردن لن تكون له
قيمة قبل التوصل الى اتفاق مع مصر . ان أي تسوية منفصلة مع

المالك حسين سومنظال دائما محفوفة بالحفظ وغير دائمه الاستقرار ، طالما لم توافق عليها مصر ، لهذا فان قيام اسرائيل بالتخلي عن امور هامة في مجال الامن كتس للتوصل الى لتسليق مفصل مع الاردن ليس له ما يبرره في الوقت الحاضر ، لأن على اسرائيل في جميع الأحوال ، أن تحتفظ بشرافه عسكري كاف على عرب الأرض لتتمكن من اعاده احتلال المنطقة في سبع ساعات في حالة قيام حكومة معادية في صيان .

وإذا كان مستقبل علاقه اسرائيل بالمنطقة كلها ما زال مجهولاً بالمخاطر .. فهل توجد مخاطر مماثلة بالنسبة لمستقبل المحتجع الاسرائيلي نفسه ؟ في الواقع أن هناك مشكلتين أساسيتين يجب على اسرائيل أن تعالجها في المستقبل القريب ، حتى لا تنتهز الى مستوى محتجع من مجتمعات المشرق العربي وهما

● معدل اندماج اليهود الذين هم من أصل افريقي أو شرقي في مجتمع تكنولوجي حديث .

● مشكلة تكوين الصفوة الحاكمة .

أما بالنسبة للمشكلة الأولى ، فانه حتى حرب الأيام الستة .. كان المحتجع الاسرائيلي ، ينقسم الى معسكرين فزاد الثقة بينهما : ١ الموسرين وهم اليهود ذوو الأصل الأوروبي .. والمفراء وهم ذوو الأصل الشرقي . ويمكن مشكلة الزموج في أمريكا - التي تمثل ١٠ ٪ من السكان - فأن اليهود الشرقيين في اسرائيل يمثلون أكثر من ٤٥ ٪ من السكان . ويندهور وضعهم يوماً بعد يوم .

أما مشكلة الصفوة الحاكمة .. من مستقبلها بمشائم بالدرجة نفسها حيث ما زالت فلسفة المسومة السياسية والاقتصادية ، تتلذذ حتى الآن من يهود من أصل روسي ، وبولندي . أما الصفوة المحلية ، تسيطر عليها الأصل الأوروبي والأمريكي .

وهناك بعد ذلك .. مشكلة الاندماج على التماسك الاجتماعي الاسرائيلي ، وهي هنا مطروحة على مستويين : حل للقضاء على

الهوة التي تفصل بين اليهود الشرقيين والأوروبيين من ناحية ، ثم حل مشكلة السكان العرب داخل الأرض التي تحتلها إسرائيل من ناحية أخرى

إن المشكلة الأولى رابت حدة عندما ظهرت فترة هجوع سببي على الحدود في السنوات السابقة على ١٩٦٧ . فعندما اقترب المجتمع الإسرائيلي من أن يكون محتبما (طبيعيا) لو شئت تلك المشكلة على الإنحلال ، وطبقت سياسة اقتصادية انكماشية عجبت من اتحاد التفكك الإحصائي . أن انتميار يونيو ١٩٦٧ قد أعاد التماسك إلى المجتمع الإسرائيلي ، ولكن المشكلة ما زالت تهدد بالانفجار . ويمكن حلها بواسطة حرية يهودية واسعة تأتي من الدول العربية . ولذلك . . فرسا يكون من مصلحة إسرائيل دائما أن تلجأ من وقت لآخر . إلى بنوية الانجاءات المعادية للسامية في الغرب . . بهدف تنمية الرغبة في الهجرة إليها .

الجيش والسياسة في إسرائيل

تأليف: عاموس بيرميوتر

هذا الكتاب

وهذا المؤلف

بالنسبة للجيش الاسرائيلي ، على لور شحسفين مثلنا السلطة المدنية في منصب وزير الدفاع كلتا دانييل بن حوريون وموشى ديل . ومع ان هذا الكتاب يعتبرهما مدعين . . الا ان الخط الفاصل بين المدنيين والسياسيين ليس بهذا الوضوح القاطع في اسرائيل ، نظرا لان الحركة الصهيونية هزمت من البداية على ان تقسم مجتمعا عسكريا اسمه مجتمع « اسبارطة » القديم . مجتمع من المحاربين ، الذين يقومون بأعمال عسكرية . . حتى وهم يلبسون المدنيين .

وهذا الكتاب يحلل — من وجهة نظر اسرائيل طبعاً — العلاقة بين السلطة المدنية والسلطة العسكرية في اسرائيل ، بناء على المفهوم السابق للحدود بين السلطتين . ونظرا لندرة المؤلفات التي تتناول هذا الموضوع — خصوصا من وجهة نظر اسرائيل — فإن هذا الكتاب « العسكرية والسياسة في اسرائيل » يكتب أهمية مضاعفة من حيث موضوع الكتاب ، ومن حيث مؤلفه .

ان المؤلف « هابوس بيرليوتر » اسرائيلي من مواليد تل أبيب ، حصل على الدكتوراه في الهندسة ثم الماجستير ، ثم حصل على الدكتوراه من جامعة كاليفورنيا الأمريكية . وقد خدم في وزارة الدفاع الإسرائيلية كمضو في لجنة الطاقة الذرية الإسرائيلية . كما أنه كان زميلا باحثا في معهد الدراسات الدولية في « بيركلي » حتى ١٩٦٧ ، ويحمل الآن رانرا مركز الشؤون الدولية بجامعة هارفارد الأمريكية ، مع احتياظه بجسميته الإسرائيلية ، ومساهمته في امط ووزارة الدفاع الإسرائيلية .



كان الانفصال المتأخر الذي لحقه «زاحل» - جيش الدفاع الاسرائيلي - سنة ١٩٦٧ نتيجة لفلسفة تعتبر ان المجهود الحربي اداة لنساء الامة بمد بدايه الحركة الصهيونية في فلسطين . وفي عام ١٩٤٨ ادت حرب التحرير الاسرائيلية الى لقاء الموء على الجيش ومد ذلك الوقت أصبح لقاده الجيش مود بين المحبة الحكومية والاقتصادية التي التزمت باذلال الأساليب الحديثة في الجيش سرعة . وقد أدى انتصارنا العسكري على المصريين في ١٩٥٦ وانتصارنا على مصر والاردن وسوريا في ١٩٦٧ الى دعم سياسة الجيش .

وبالرغم من ان جيش اسرائيل النظامي لا يربط على ثلثين ألف جندي . . الا ان سبع اجالي السككن اليهود، وعددهم مليون ونصف مليون ، يعتبر احتياطيا عسكريا فعلا . لهذا فمن الطبيعي ان نسايل عن أثر الجيش على الحياة السياسية في اسرائيل .

ولكن نفهم هذا الأثر . لابد ان نفهم الدور الذي تم تحديده الجيش الاسرائيلي من البداية لكن يقوم به بالنسبة لأمم اسرائيل وسياستها . . ان هذا الدور يمكن تلخيصه في نظرية التطويق العربي التي اعدت في البداية تحت اشراف بن جوريون . . واصبحت من يومها هي المدا الذي يحكم عمل وتفكير جيش الدفاع الاسرائيلي - زاحل .

ان هذه النظرية تعتمد على الأفكار التالية .

● أولا ان العرب يحاصرون اسرائيل جغرافيا

● ثانيا : ان مهمة الجيش هي ان يحاصر العرب عسكريا لكي يلقى تأثير هذا الحصار الجغرافي .

● ثالثا . ان هذا الحصار يعتمد على الحصول باستمرار على أحدث الأسلحة . ومهمة القيادة السياسية ان تضمن دائما وجود دولة - لو أكثر - قادرة على إمداد اسرائيل بأحدث الأسلحة هذه .

● رابعا : ان مجاح النجاسة لا يقاس بالحصول على سلاح حديث غلط .. ولكن بالحصول على المعلومات التي تمكن الجيش من مساعدة هذا السلاح الحديث محليا ، حتى لا يظل الجيش تحت رحمة الدولة الموردة ، والتي قد تتعارض مصالحها مستغلا مع مصالح اسرائيل ..

ان بن جوريون ، باعتباره اول وزير دفاع لاسرائيل ، كان هو المطلع اول من اشراف على تطبيق هذه النظرية . ان موقف بن جوريون كان قائما على اساس انه طالما احتفظت اسرائيل بتفوقها العسكري الذي يسميه هو - لاسباب دينيه - توازيا عسكريا على قوات الدول العربية مضمة .. ومالما استطاعت اسرائيل ان تهيئ حدودها وتوسع فيها من طريق الممارات الانتقامية ، فانها ستكون في امان . وهذا الوضع الدعائي قائم على اكثر من مجرد الحد الأدنى لاعتبارات الامن القومي . فالمقصود به السماح بقيام معاومات عسكرية برية على الحدود . حتى يمكن صد اي هجوم عربي فوق الاراضي العربية . ولا بد - في جميع الاحوال - ان تتم جميع الاعمال العسكرية فوق ارض العدو العربي .. وليس فوق ارضنا في اسرائيل . ان هذا معناه الانتقام السريع . ومعنى الانتقام هو اقامة السلام من طريق القوة .

وقد حرص موشي داييل - وزير الدفاع الحالي في اسرائيل - ان يطبق هذه المبادئ باعتباره تطبيقا مطلقا لبني جوريون . ان مفهوم داييل للعلاقات العربية الاسرائيلية يبيع من الافتراضات التالية .

● أولا : ان الحد الأدنى لمهمة الجيش هي ان يكسب الحرب .. ان ولاء الجيش لابد ان يكون لمهته ، وليس لمبادئه اي حرب سياسية ضد حرب آخر . ان الجيش هو مجموعة من الفتيين المتخصصين ، وتخصص الفرادة هو القيام بالاعمال العسكرية لتحقيق اهداف سياسية تحددتها القيادة المدنية .

● ثانيا : ان الحد الأدنى لمهمة الجيش . هو الدفاع عن حدود اسرائيل .

● ثالثاً - ان الدولة كلها - اسرائيل - هي حدود .

● رابعاً - ان الجيش يجب ان يعمل على اساس ان هناك دائماً تدميراً وشيك الوقوع .

● خامساً - ان ميله العرب بالنسبة للتسلل هي (حرب عدائين) ضد اسرائيل .

● سابعاً - ان سياسته اسرائيل هي تحويل الامر الواقع الى حالة دائمة . . وتحويل الهمة الى صلح .

● سابعاً : ان غرض العتلات العسكرية التاثيريه . هو تسببه الدول الكبرى حتى تقوم بالضغط على العرب من أجل الصلح مع اسرائيل .

لقد ظلت المبادئ السبعة السابقة دليل عمل للجيش الاسرائيلي منذ ١٩٤٨ حتى ١٩٦٧ . ان التعبير الوحيد الذي طرأ على الموقف بعد ١٩٦٧ ينطلق بالبدا السليم فقط . فنتيجة للانفصال الاسرائيلي في الحرب ، أصبحت سياسة اسرائيل الآن تتناق مع اعطاء أي دور للدول الكبرى ، بينما أصبح العرب هم الذين تتوقف قدرتهم العسكرية والسياسية على ما تريده الدول الكبرى .

والمهم الآن ان نفكر في : نظرية التطويق العربي (التي عمل الجيش الاسرائيلي على تسليحها دائماً - قد ترتب عليها في التطبيق - إجراءات كثيرة تحدد طريقة العمل داخل الجيش نفسه . ان وجود جيش محترف ، وضرورة احتفاظ هذا الجيش دنيا بمستوى عال من التخصص ، قد تؤدي الى نتائج عديدة . . من بينها مثلاً ، ضرورة الاحتفاظ بمستوى من يتخفى في القبلات العليا بالجيش حتى تكون القيادات دائماً من الشباب . لقد تم وضع حد أعلى للأعمار بالنسبة للخدمة بالجيش . خصوصاً في المراكز القيادية بحيث تكون القيادة دائماً محترفة وشابة ، وبميت تتاح لها فرصة الترقية بسرعة حتى يصبح للمواهب الجديدة بالظهور دنيا .

ونتيجة لهذا . من رؤساء لركان حرمه الجيش الاسرائيلي يتولون مهامهم في المتوسط لاند تقراوح بين ثلاث سنوات وخمس سنوات . لقد تماقلب على الجيش غيبا بين عليي ١٩٤٨ و ١٩٦٧ سبعة رؤساء لأركلى الحرب ، استقال اأدهم بعد سنتين ، وواحد بعد سنة واحدة ، وواحد بعد انتهاء مدة السنوات الثلاث . ان رؤساء الأركلى السبعة لمعت اعمارهم — غيبا عدا اثنين منهم — اقل من اربعين عابا عند تعيينهم .

ان القاعده ملساها موجوده بالنسبة لكبار الضباط . ومتوسط الأعمار مخصص نسبيا ، (اذ يبلغ من ٤٠ الى ٤٤ سنة لمن في رتبة بريجندير حمرال ومن ٢٥ الى ٤٠ لمن في رتبة كولونيل ، ومن ٢٠ الى ٣٥ لمن في رتبة ليمنتت كولونيل ، وذلك في سنة ١٩٦٦ .

ولان هذا الكتاب يهتم اساسا بسيطرة المدنيين على العسكريين في اسرائيل — بالرغم من الدور غير العادي الذي يقوم به «زاهال» — من هناك حادنا من الماضي القريب سوف مستخدمه للدلالة على مطلب المدنيين على السلطة العسكرية .

معضنا قام الرئيس المصري ناصر في ٢٤ مايو ١٩٦٧ بحصار خليج العقبة . . واجهت الحكومة برنابية « ليفي اشكول » هذا التحدى بالنيولوملية في ملديء الامر . ولكن المبادرة الامريكية بدعوة الدول البحرية للمساعدة في رفع الحصار أدت الى ما اعتبرناه كفسرائيليين كارتة ديبلوماسية . ويومها طالبت الصحافة وصفط الجمهور على الحكومة من اهل القيلم بعمل عسكري . وقيل مشوب الحرب بعشرة ايام ، طالب رعباء احزاب المعارضة وبحظم الصحف الاسرائيلية بتشكيل حكومة طوارىء يتم فيها ائتلاف جميع الاحزاب لقد مارست المعارضة النيلية فسطا قويا على الحكومة لفصل منصب وزير الدفاع من منصب رئيس الوزراء (وكان اشكول يشغلها سنا) . وطالبت ايضا بتعيين موشي ديان ا نطل سماء (١٩٥٦) . في هذا المنصب واجتمع حزب (المفاي) — وهو الحرب الرئيسي في الائتلاف — عدة مرات . . وعارضت لسنه التنيينية — وعصومنا العسكرية العلم وقتها جولاذا سكر — في انضمام

الجنرال دابليو . وبعد عدة أيام من الضغط .. استطاعت الممارسة أن ترفع رعاية الحرب على تشكيل حكومه وحدة توميه مع تعيين دابليو ويرا للدفاع .

وخلال تلك الفترة (من ١٥ مايو حتى ١٥ يونيو) لم يصدر عن الجيش وأركان حربه أي عمل بقصد به تحدى مجلس الوزراء . أن كل ما فعله الجيش .. هو الضغط على رئيس الوزراء من أجل الاندماج على عمل عسكري ، وقام اسحق رابين — رئيس أركان الحرب — بالدعوة إلى التفتتة العامة وبالرغم من أن هيئة أركان حرب الجيش كانت بمثابة من « الشكول » ولا تنق و كنيته وتعتبره معتبرا إلى الحرم .. إلا أنها ظلت حاضمة للسلطة المدنية . وحتى عندما تم تعيين دابليو ويرا للدفاع — وهو الأمر الذي كلى الجيش يريده في الحقيقة — على هذا التعيين تم بواسطة السلطة المدنية ، وأصبح موسى دابليو نفسه ممثلا للسلطة المدنية في منصب وزير الدفاع .

وهذا التفتتد الواضح لدور السلطة المدنية — بالنسبة للجيش — لم يستمر إلا بعد سنة ١٩٤٨ . لما قبلها فلم تكن هناك حدود واضحة بين السياسة والعسكرية ، بعد أن أُنشئت « الهاجاناه » سنة ١٩٢٥ ، باعتبارها أول منظمة يهودية مسلحة في فلسطين . لقد كانت (الهاجاناه) أولا للقبيل بالأعمال المسلحة ضد العرب في فلسطين ولحماية الجالية اليهودية في فلسطين . ولسنوات كثيرة .. لم تكن (الهاجاناه) محتاحة إلا لكي تترك العرب يستنفدون جهودهم ضد بريطانيا ، باعتبارها سلطة الانتداب في فلسطين . لقد أُنشئت التتود العرصى في فلسطين في البداية ضد سلطات الانتداب البريطانيه ، وكانت القيادة اليهودية تعلم أنها لو أنشئت السياسة نفسها — التي طبقها العرب ضد الانتداب — فسوف نحل كلرته باليهود ، لأنهم جرد نهر الانتداب فسوف يوقف اليهود وحدهم ضد العرب . وهكذا سعى اليهود وقتها إلى الاستئادة من هذا التراع لمصلحتهم ، بأن تركوا العرب يحاربون البريطانيين ، بينما يقومون هم بالتعامل مع البريطانيين ضد العرب .

وفي الوقت نفسه .. قام « بن جوريون » والوكالة اليهودية بدعوة اليهود للتطوع في الجيش البريطاني في صفوف الطفاء ضد

المحور . وهكذا بطوع ثلاثون ألف يهودي مع الحلفاء ليكنسوا
الحبره منهم ، ويحصلوا على السلاح الذي استخدمت ميما بعد
ضد العرب والبريطانيين على السواء .

وفي مايو ١٩٤١ بدلت « الهاقاه » في ساء قسوه فدائية هي
« البالماح » لتكون اول وحده عسكريه تضم بحيه عسكريه محترفة
مفتقره متخصصه في العمليات الخاصة التي يقوم بها الفدائيون ،
والتي تصمد على الحرب الحاطمة والحركة السريعه ، واخراج اكبر
النتائج بواسطة اقل عدد ممكن . . . ومستطيع ان يدرك اهمية
« البالماح » بالنسبة لمستقل الجيش الاسرائيلي بعد ذلك حينما تعلم
انه في سنة ١٩٤٨ كل الجيش الاسرائيلي يضم ١٢ صابطا برتبة
لواء . من بينهم ثلاثة حاموا من « البالماح » وحوالي ١٠ عتيدي في
ذلك الفترة ، كل ٢٠ منهم من ضابط « البالماح » وكل اكثر من اربعين
في المائة من الضباط في رتب مقدم ورائد مغربيين في « البالماح » ومنذ
سنة ١٩٤٨ أصبح ثلاثة من قواد « البالماح » رؤساء لركان حرب
الجيش وهم : موشى دايان . اسحق رابين ، وهاييم بارليف .
وفي حرب ١٩٦٧ كانت لركان حرب الجيش تضم ١٨ صابطا ، من
بينهم ١١ من ضابط « البالماح » السنين .

ومع هذه الاهمية التي كانت تعطى « للبالماح » . الا ان
« بن هوريون » ساعطاه اول وزير دفاع اسرائيلي ، قرر في سنة
١٩٤٩ حله وادماحها في الجيش كجزء من تحويل المنظمات المسلحة
المختلفة الى جيش رسمي ، بعد اعلان قيام دولة اسرائيل .

وهما . . نشا اول خلاف في الكتيبت (البرلمان الاسرائيلي) بين
بن هوريون ومعارضيه . كل الحلاف هو هل نشيء جيشا
شعبيا يعتمد على فرق الماعقة والفدائيين وحرب العصابات التي
تقوم بها « البالماح » أم نشيء جيشا محترفا ؟ هل نشيء جيشا
مجلسيا . . أم جيشا متخصصا ؟

وكانت المسبة التي تم التوصل اليها هي : أن يكون الجيش
حسما ومحترفا ، ولكن مع وجود نظام ضمن للاحتياطي . ونظام

معال للتعينة السريعة جدا ، ونظام دقيق لضمان ارتفاع مستوى الاحتياطي عند التعينة العاجلة . وتم كذلك وضع الأسس لأن يقوم الجيش بتدعيم أحدث الأهرامات العلمية والتكنولوجية ، وأن يحرس روح « الهلجانه » .. و « البامح » في المحسنين الجند ، وأن يساعد الجيش في امتحان المهاجرين الجند ، ويهتم بالزراعة ويسهم في مجهودات المستعمرات الزراعية .



لقد كان « بن هوريون » يؤس على المهمة الرئيسية للجيش هي القتال .. والهدف الوحيد له هو الانتصار وقت الحرب ، وكان يرى أن على العسكريين أن يقصروا أنفسهم على تلك الوظائف الأساسية . لقد كانت هذه هي النظرية التي لرسى « بن هوريون » أساسها باعتباره أول مدعي في وزارة الدفاع ، وهي نظرية أدى العمل بها إلى تحديد واضح للعلاقات المدنية العسكرية ، وإلى تبني نضيق مجهودات الجيش في مهام إدارية أو اقتصادية مباشرة .. مما يحدث علة في الدول المدنية .

ومع ذلك .. على الجيش كان عليه أن يتحمل أعباء ، ليس للعمل كمنيل في المؤسسات الاقتصادية والثقافية ، ولكن لمجرد سد الثغرات فقط ، وفي الأحوال التي تتعلق مباشرة بكفاءة الجيش بـهـ .

على ميدان التعليم مثلا .. كان مستوى التعليم - ولا سيما بالنسبة للضباط - يمثل تلقيا عظيمًا للجيش .. ولكن يتم سد هذه الثغرة . أقيم الجيش مدارس خاصة ودراسات لتعليم المجندين المحدد بهذه القماء على الأمية في الجيش . وهذا يبرر دور النساء في الجيش لأول مرة . ومن ناحية أخرى لسقط اقتراح بانصاف تخصص عسكري في المدارس الثانوية ، وبدلا من ذلك أقيم الجيش أكاديمية خاصة لهذا الغرض .

وفي الوقت نفسه .. قام الجيش بانشاء وحدة خاصة هي (ملحل) - أي - شياي طلائع الرواد الإسرائيلي . ومهمة هذه

الوحدة . . هي اعطاء فترة قصيرة من التدريب العسكري للشباب لكي يتم تمييزهم بعد ذلك كمجموعات في المستعمرات الزراعية ، التي تقع عادة في الأماكن الخصباء على الحدود السورية او المصرية .

وقد استلزم الدور الجديد لـ . . ان يقوم الجيش بتأسيس صناعة كبيرة وبحيث علمى معقد لدى الى انتاج المعدات الحربية والالكترونية التي يعتمد عليها لى الجيش والقتالى من الدولة . . ان هذه الطريقة تطورت الى صناعة الكترونية راقية ومعقدة . وقد دعم ذلك مقبرة ووزارة الدفاع على تهيئة شركات الطيران والالكترونيات بحيث أصبح عدد العاملين في تلك الصناعة الحربية أكثر من عشرين ألفا . وبذ هرب ١٩٦٧ وسعت وزارة الدفاع صماعتها العلمية بالالكترونيات والطيران والسواربع الموجهة كما تلبت علق طلبة من العسبى الملازمين لتلك الصناعات . وفي الوقت نفسه ، لفته على مستوى الضابط العلى . . يقوم الجيش بتشجيعه على دراسة المهارات الادارية والاقتصادية المختلفة ، لكي يستطيع الضابط المتور على وظيفة ملانة عنيا يخرج من الجيش ، حيث يؤدي نظام الترقية السرية ، والتقاعد في سن مبكرة . . الى هروج الضابط الى الحياة المنبهة مبكرا . ويركز اقلية المسباط على دراسة الاقتصاد او لدارة الأعمال او عمليات البحث سواء بمراسلتها في اسرائيل او في الخارج (بريتانيا أو فرنسا أو أمريكا) .

وبالنسبة للعلاقة بين الجيش ووزارة الدفاع ، فقد استقرت عند مفاعيم معينة بعد سنة ١٩٤٨ . فبعد تشكيل « راحال » أصبح لوزارة الدفاع الدور الثاني بعد الجيش ، واقتصرت مهمتها على الشراء ، وظل ضابط الجيش ، ينظرون الى الوزارة باعتبارها مجموعة من الكتبة والتجار . وفي الوقت الذي كلى الجيش يتلقى احسن الاهتمام ، كلفت وزارة الدفاع تتلقى من معضم الاهتمام . . وتتكون من السباسبين وطقه التسعين البارزين ليشل ليشل لشكول (أول مخبر علم لها) ويتعلم سببر (ثلثي مخبر علم لها ووزير المالية الحالي) واسرائيل حالبلي (أول نائب لوزير الدفاع ووزير الاعلام الحالي) . وقد حذر كل هؤلاء الوزارة بعد سنوات قليلة فقط . . وهكذا اكتملت سيطرة بن حوريون باعتباره وزيرا للدفاع .

لقد قبل ، بن جوريون ، على رفع دور الجيش فوق الوراثة ،
 فكان يترك إصدار التعليمات الخاصة بالجيش والوراثة للقادة
 وبعد أن حرم على الأحراب المسيحية أن تعمل داخل الجيش ،
 وبعد أن أزال اليساريين من كل المراكز التي شغلوها في الجيش .
 وضع نظاما للترقيات يقوم على أساس الكفاءة لكي يتمشى هذا مع
 تسمية روح الاحترام داخل الجيش ، وأصبح برنامج تدريب سباط
 الجيش يتضمن كثيرا من مبادئ تدريب البالمخ (الصاعقة)
 على القيادة . وأصبح بن جوريون — بأعضائه وريثا للدفاع وممثلا
 للسلطة المدنية — هو الذي يوافق على جميع التعيينات والترقيات
 ابتداء من رئيس أركان الحرب حتى رتبة ليفتانت كولونيل (مقدم)
 وكان الترشيح لمصب رئيسي أركان الحرب يتم بناء على توصية
 رئيس الأركان السابق ، وكذلك اللجنة الداخلية الخاصة وكبار
 المستشارين . أما تعيينات وترقيات كبار الضباط الآخرين
 فيرسلها رئيس الأركان ، ولكنه يعتبر سلطة مهتبة أقل من رتبة
 ليفتانت كولونيل .

وإذا كان « بن جوريون » قد استطاع أن يهضم الصراع على
 السلطة بين الجيش والسكرين داخل وزارة الدفاع ، فإن هذه
 الأزمة تفجرت عندما استقال بن جوريون في نوفمبر ١٩٥٢ . لقد
 قام بن جوريون قبل استقالته باحتياله « لأمون » منصب وزير
 الدفاع . . ولكن في خلال شهور قليلة نجح العسكريون ضد
 ومضوا أزمة عرمت فيها بعد باسم « قضية لأمون » . أن هذه
 القضية — التي ظلت على درجة عالية من السرية حتى سنة
 ١٩٦٠ — ومازالت غامضة حتى الآن — تتعلق أساسا بسلسلة من
 عمليات التحسس والتجسس ، كان الجيش والمخابرات قد أعداها
 للقيام بها في القاهرة سنة ١٩٥٤ .

كان السبب الرئيسي في العمليات . . هو أن إسرائيل أصبحت
 في سنة ١٩٥٤ سوادا حصى في العلاقات بين مصر وأمريكا ، وبسبب
 تحول السياسة الأمريكية نحو القاهرة . وفي الوقت نفسه غلب
 السياسة الإسرائيلية كانت في سباق مع الزمن لكي تكسب أمريكا
 كحليف لها في صراعها ضد العرب ، وخصوصا ضد مصر ، لهذا

قامت المخابرات الإسرائيلية بتجهيز عدة عمليات بسف وتحتس
تتم في القاهرة ضد السفارة الأمريكية والانشآت الأمريكية في مصر
مهدف القضاء مقدما على أي احتمال لتحصن العلاقات المصرية
الأمريكية . ولكن مصر كشفت شبكة التجسس والتفريب
الإسرائيلية في اللحظة الأخيرة وأعدت زعماءها ، وعشلت العملية
شلا دريما .

ولدى الفصل المدوي .. الى تحقيق سريع داخل الجيش
وداخل جهاز المخابرات ، تبين بعده أن العمليات بنفت بدون علم
لأون ووزير الدفاع . وهنا أثار «لأون» أزمة لأنه اعتبر هذا العمل
تعبدا لسلمته المدنية ، ولكن المخابرات استطاعت أن تقدم وثائق
مرورة ضد ، دعمها الجيش ، لكن يتم في النهاية التخلص منه ..
وهذا ما حدث فعلا ، عندما اضطروا لأون الى الاستقالة .. انتهت
بذلك فترة من المنافسة بين وزير الدفاع والقيادة العليا للجيش ،
وهي فترة استمرت 15 شهرا ، انتهت بعودة بن حوريون من جديد
الى وزارة الدفاع واستئنافه العمل مع تليده - موشى دايان -
على تأكيد نظريتهما من جديد بالنسبة للعلاقة بين الجيش والديين
. الأول كوزير للدفاع .. والفني كرئيس لهيئة أركان الحرب .

وبعد سنوات طويلة من الصراع .. أصبحت العلاقة المدنية
والعسكرية الآن كما يلي : أن جماعة كبار الضباط في جيش إسرائيل
ليست لها أي مطالب سياسية كجماعة ، وهي تحتفظ بولائها
لرئيسها المدنية . ولكن .. من ناحية أخرى . فتبلغ هذه النحية
بنفوذ ضخم في شؤون الدفاع والشؤون الخارجية ، خصوصا تلك
التي تتعلق بأمن الجيش لو يضمن قدرته على النجاح في مهمته
العسكرية ، وهذا النفوذ يعتمد على أن الجيش مسئول عن الانتصار
في العمليات العسكرية .. بينما السياسة مسؤولة عن توفير الموارد
وحاق الظروف التي تسمح للجيش بالتصرف بحرية . لهذا فاننا
نجد أنه بينما يلزم « بن حوريون » مثلا في قيام إسرائيل بالحرب
سنة ١٩٦٧ لخشيته من التدخل السوفييتي لصالح مصر .. على
رئيس الوزراء ووزير الدفاع وقتها - ليفي أشكول - اضطروا
يوافق على الحرب بناء على تقرير من مخابرات الجيش .. قررت

عنه ان الاتحاد السوفيتي لا يمكن ان يساعد المصريين بشكل مباشر ،
ومع وجود عوامل كثيرة خلف القرار .. الا ان العامل الاول هو
صدق ثبوت تلك المحادثات في الماضي .. ودقة المعلومات التي
كانت تقدمها دائما عن موقف أعدائنا العرب .

كما انه يجب الانتباه ايضا الى انه في ظل وزير مدني - هو
السكر - حصل الجيش على احسن واغلى الاسلحة في تاريخه
كله ، بيضا بعد ان وزارة المالية عرّضت مرتين ، صد بن هوريون
وموشي دايان ، ريادة ميراثية الجيش ، ووجود دايان الآن في
منصب وزير الدفاع لا يعني انه يمثل للعسكريين .. لان الذي أعاد
« دايان » الى السلطة قبيل حرب ١٩٦٧ كان هو الباطن الاسرائيلي ،
وليس حترالات الجيش الاسرائيلي !

ان النظرية الاساسية هنا هي ' ان الجيش لا يتحرك كمجموعة
سياسية ، ولكن كمجموعة متخصصة مخصصة لحماية ، لذلك فان الجيش
الاسرائيلي لم تكن له مطلبية بالنسبة للصراعات السياسية في
اسرائيل . ان ما يحدث في العادة ، هو ان الجيش يتحرك في الدول
الغربية للاستيلاء على السلطة ، عندما يفقد ثقتهم في « السياسيين
المفسدين » . لهذا نقانا نجد انه بيضا يحتفظ الجيش بولاء ضخم
لبن هوريون مثلا ، فان بن هوريون لقد نفذته غير المادي على
الجيش عندما كون في سنة ١٩٦٥ حزب « رافي » وانشق على الحزب
المحس الرئيسي في الحكومة .

ولهذا ينشأ الآن سؤال .. هو : هل اسرائيل دولة
« امبراطورية » . ولنتسأل : هل الجيش فيها هو جيش
« امبراطوري » ؟

ان الدولة الامبراطورية تتميز لولا بما يلي :

• أولا : ثلاثة سيلية وحضارية غير فعالة ويستندها
الجيش . وهذا لم يحدث رغم انتشار الجيش في ثلاث حروب
متوالية .

● ثانيا . وجود-مستوى منخفض للمؤسسات السياسية .
وى إسرائيل استقرت المؤسسات السياسية المدنية بشكل عام .

● ثالثا : ضعف الاحزاب السياسية او عدم فعاليتها . وهذا
لم يحدث .

● رابعا ' عدم وجود هدف مشترك وتضامن ايديولوجي .
وى إسرائيل لم يؤد التوسع في الجيش الى تهديد التفوق المدني .

● خامسا : النقص في روح الاحتراف داخل الجيش لتطلب
الاعتبارات السياسية . وى إسرائيل لم يحدث هذا ولم تحالف
عثة الصراط مع اية فئة سياسية ..

وهكذا في القدرة الاستيعابية للاتصال ، والاستعداد من
المضاط سرعة ، وسلاح اندماج المخابرات القدامى ، واعتماد الجيش
على نظام الاحتياطى ، وتماثل الاهداف العسكرية والقومية ،
وتأمل روح الاحتراف في « راحل » .. كل تلك يجمع الجيش من
الندخل الفعل في السياسة . وبالأخص الى تلك ، في الاحساس
بشرعية الهياكل السياسية المدنية .. بقم صيلا فعلا لسيطرة
المدنيين ، مع عدم استعمال وجود الجيش كقوة ضاغطة .

الميراج ضد الميخ

تأليف: بن یوزاعا میوری داس

هذا الكتاب

وهذان المؤلفان

في حرب ١٩٥٦ لم تبدأ إسرائيل في الهجوم ضد مصر ، إلا بعد أن ضمنت مطء جويًا لها من بريطانيا ، وفي حرب ١٩٦٧ لم يهارب إلا بعد أن تالكت من وجود تمطيت لدى الطيران المصري بمستم الحرب . ومع ذلك .. فالنتيجة هي النتيجة ، لقد احتسب التاريخ على الطيران المصري هريتين حتى قبل أول طلقة . وكل السبب هو طمسه في كل مرة . أن الطيران المصري وضع في موقف صعب من البداية . موقف الشخص الذي أحاطت السائل بيديه وقدميه .. لكي يتمكن شخص ثل من ضربه على راحته .

ومن الهواد .. خلقت إسرائيل أسطورة روحتها في كل انحاء العالم . أسطورة تحاول دائمًا أن تقصمًا مثلا أن الطيار الإسرائيلي أكثر كفاية من الطيار المصري ، وأن التدريب الزائد في جانب الطيار الإسرائيلي كان يقابله تدريب ناقص في جانب الطيار المصري . أن هذا المنطق ضروري بالنسبة لإسرائيل .. لكي يقتنع مصر بالنسبة بأن هزيمة ١٩٦٧ كانت أمرا لا مفر منه ، وقدرًا لا يمكن تفاديه . ولكن الحقيقة التي سخطل إسرائيل تحفها ، وهذا الكتاب الإسرائيلي يحفيها ، هي . أن الطيران المصري هزم في الحرب .. قبل أن تبدأ الحرب !

وهذا الكتاب الإسرائيلي .. هو واحد من الكتب القليلة التي ركزت على الحرب الجوية بين مصر وإسرائيل ، مع الاستشهاد بأهلة من حروب ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ و ١٩٦٧ وهو من الكتب التي انتشرت تصليًا في العالم ، أنه حتى الآن مجموع من التداول في مصر والدول العربية .. والكتاب اشترك في تأليفه صحيفي إسرائيلي.

الأول (١ من بورا) ، عمل مراسلا لصحيفة « يديعوت احروעות » الإسرائيلية في باريس . وهو يعيش في إسرائيل منذ عام ١٩٤٥ ، وكان طالبا بالحايمة المصرية بالقنس ثم في السوربون باريس .

أما الثاني « بوري دان » . فهو أيضا إسرائيلي عمل مراسلا حرب لمدة سبع سنوات لصحيفة « مغازيف » التي تصدر في تل أبيب . وقد كان أحد جنود المقاتلات الذين أمسكهم إسرائيل خلف أسطوط المصرية في حرب ١٩٥٦ . ومنذ سنة ١٩٦٢ وهو يعمل مراسلا لصحيفة بيلريس .



في الشهور التالية لانتصارنا في ١٩٦٧ — بدأ الملحظون العسكريون الأجانب في تل أبيب يبحثون عن أجابة بالنسبة لسؤالين أساسيين ، السؤال الأول هو : لماذا قررت القيادة العسكرية الإسرائيلية أن تبدأ هجوم الطيران الإسرائيلي على مصر الساعة الخامسة إلا الربع صباحا بتوقيت القاهرة ، (الثانية إلا الربع بتوقيت إسرائيل) ؟ لماذا لم يبدأ الهجوم قبل ذلك بساعة أو ساعتين مثلا ؟

والسؤال الثاني ، الذي اهتم به إحصائيو الطيران هو : كيف استطاعت الطائرات الإسرائيلية أن تحقق مصر المفاجأة بالنسبة للطيران المصري ، وكيف استطاعت كل طائرة أن تقوم بمعد كبير من « الطلعات » في يوم واحد ؟

أما بالنسبة للسؤال الأول — وهو تحديد ساعة الصفر بالنسبة لهذه الهجومات الجوية الإسرائيلية على المطارات المصرية يوم خمسة يونيو — فقد تم تحديده بناء على الأسلوب الثلاثة التالية

أولا : أن مصر كانت تتوقع هجوما مفاجئا عند أول ضوء في النهار وأن دوريات الحراسة التي يقوم بها في كل صباح تشكيلات من الطائرات الميج ٢١ — منذ أعلنت مصر النعشة العلنية — كانت تشير بوصوح إلى الساعة التي كان المصريون يعتبرونها ساعة

القدر . وكل عنصر الملقى لهم من الناحية المنطقية .. هو احتياط ساعة متأخرة قليلا عن الساعة التي كانوا يتوقعونها

وقد ارتكب المصريون هذه اللططة نفسها سنة ١٩٤٨ ، عندما كانوا يرون أن الحرب يجب أن تبدأ مع أول ضوء من النهار .. وليس قبل ذلك أو بعد ذلك .

● ثانيا : كانت تقارير الأرصاد الجوية الإسرائيلية .. تشير الى أن بعض الضباب ، الذي كان يغطي مدخل القناة ، تدل على تشييع الأحوال الساعه القادمة ، وكانت الرؤية لدى هذه الساعة ستكون أفضل مما هي قبل ذلك .

● ثالثا : إن المادة جرت في معظم القواعد الجوية المصرية على تقديم وجهه افطار ثانية في الساعة الخامسة وثلاثي دقائق بتوقيت مصر . وفي تلك اللحظة .. يراعى الطيارون المصريون بعضهم ، ثم يتجهون معا الى « بيس » وينفثون فيه .

أما بالنسبة للسؤال الثاني — المنطلق تكيفية سلاح الطيران الإسرائيلي في أداء مهمته — على هناك عناصر عديدة ، ومن بينها عناصر وفرتها القيادة السياسية ، وعناصر أخرى وفرتها القيادة العسكرية ، وعناصر وفرتها أجهزة المخابرات الإسرائيلية بالنسبة لخدمة البيانات التي تحتتها من الاستعدادات العسكرية المصرية .. مقابل التحمل المطلق الذي أظهره المخابرات المصرية بالنسبة لمعلوماتها عن الاستعدادات الإسرائيلية .

ولو تركنا العناصر السياسية جانباً ، فمافنا نجد أن هناك مجموعة أسباب عسكرية ، كانت هي التي ساهبت بشكل مباشر في انتصار الطيران الإسرائيلي في معركته ضدالطيران المصري خلال تلك الساعات المبكرة من حمة يونيو سنة ١٩٦٧ . هذه الأسباب هي :

● أولا - أن برامج تفريغ الطيارين الإسرائيليين التي كان يجري تنفيذها قبل ذلك مسوات . كانت تركز على استخدام جميع

الوسائل الفنية والتكنولوجية الحديثة في ميدان العلوم الخاصة بالطيران والعلوم المرتبطة بها . وكفى التدريب الفردي على الممارك الحوية . هو الأمر الذي كان مصدره قلده السلاح الحوى الإسرائيلي بمد شاء هذا السلاح .

● ثانيا : ان السلاح الرئيسى ، الذى اعتمد عليه الطيران الاسرائيلى فى حرب يونيو ، كان طائرات (الميراج) الفرنسية الصنع . ولما الواقع ان الاغلبية الكبرى للطائرات الاسرائيلية فى تلك الحرب كانت فرنسية الصنع ولم تكن حصة الطائرات هي الحابل الملم . . ولكن التعديلات التى انجتها اسرائيل على تلك الطائرات لعبت فى الأخرى دورا هاما .

● ثالثا : ان المصريين لم يستحدثوا طائرات الميج ٢١ التى كانت فى ايديهم استحدثا كاملا . . لان طريقه عمل وتنظيم سلاح الطيران المصرى - قبل الخامس من يونيو - كانت توحي بان هناك تأكيدات قاطعة لدى هذا السلاح بأنه لن يقتل ، ولن يبدأ أى قتال . . ولن كل المطلوب هو اعطاء مظهر القتال . . وليس القتال .

● رابعا : الصيانة . ان الاهتمام الشديد بتنظيم وصيانة أجهزة الصيانة فى القواعد الحوية الاسرائيلية . كان شيئا استبايا يركز عليه كل واحد من قواعد سلاح الطيران قبل ذلك بمسوات طويلة . ان هذا الاهتمام ادى الى نجاحا - كاسرائيليين - فى اختصار المدة التى تفصل بين طلعتين للطائرة الميراج ، الى سبع دقائق فقط . . بينما المدة التى جدها يصممون تلك الطائرة أصلا هي عشرون دقيقة لهذا . . لم يكن من الصعوبة ان الطائرات الميراج استطاعت خلال الحرب ان تتولى ستين عشرة طلعة يوميا ، ولم يتطلب تغيير محرك الطائرة سوى مرة واحدة روتينية تتراوح بين ساعة ونصف وساعتين ، وذلك بدلا من البثرة التى كانت مقرررة من قبل . . وهي ١٢ ساعة .

● خامسا : عصر المعالجة . ان نجاح سلاح الطيران الاسرائيلى فى معالجة طائرات العدو المصرى على الأرض . . لعب دورا حاسما فى احراز النصر . لقد ساهم فى ذلك . . دقة المعلومات

التي حصلت عليها المحللات الإسرائيلية بالنسبة لتنظيم ومواقع
وتجهيزات القواعد الجوية المصرية ، وكذلك بالنسبة للأحطاش
القاتلة التي ارتكبتها جهاز الرادار لدى العدو المصري ، وبمحص
أدى .. كان أحد الأخطاء القاتلة التي ارتكبتها المصريون .. هي
وجود بماتلق (محليدة) داخل الحدود المصرية لا توجد فيها أجهزة
رادار مصرية .

● سادسا ' تسليم الطائرة الميراج . أن سرعة الطائرة الميراج
هي ضعف سرعة الصوت . أن هذه السرعة لا تسمح لأي طيار
في العالم أن يحرك بدعما ويستعديه ضد طائرة العدو ، تسير هي
الأخرى بسرعة تفوق سرعة الصوت . ولذلك .. أمر الفرنسيون
على أن السلاح الوحيد الذي لا يمكن أن يحطى هذه .. هو
الصواريخ الموجهة بالاشعة الصوتية تحت الحمراء . وأصبح على
إسرائيل أن تجهز طائراتها الميراج بهذا السلاح . ولكن تسليم
الميراج بالصواريخ الموجهة .. كان بدحا لا تتحمله إسرائيل ، نظرا
لأن ثمن الصاروخ الواحد يصل إلى خمسين ألف دولار . وكان
البديل هو تجهيز كل طائرة ميراج بخمسين من طراز ثلاثين
بالبندول ، وعدم استخدام الصواريخ الموجهة ، إلا في حالات
الضرورة القصوى .. ومع تخفيض سرعة الطائرة إلى النخبة
التي تسمح باستخدام المدافع . وقد أدى التدريب المستمر السابق ،
إلى تكيف الطيارين الإسرائيليين مع البطيئات الجديدة ، وإلى
حصولهم على حصة .. نقلها الأمريكيون بعد ذلك إلى طائراتهم
الناظوم في مواجعتها لطائرات الميج ٢١ في لبنان .

● سابعا ' أما السبب السابع والأخير .. في نجاح الطيار
الإسرائيلي في جهته يوم خمسة يونيو ، فهو مر ظلت إسرائيل
تحتفظ به مدة طويلة ، مع أنه كان أحد الأساليب الرئيسية في
الانتصار الجوي الإسرائيلي في حرب ١٩٦٧ . وهذا السر العسكري
له قصة بدأت قبل أن تبدأ الحرب بسنة كاملة ، وهي قصة لعبت
فيها المخابرات الإسرائيلية الدور الرئيسي .

ففي شهر أغسطس سنة ١٩٦٦ ، أي قبل بداية حرب يونيو
بمشره أشهر كاملة ، نقلت وكالات الأنباء العالمية خبرا غريبا ..

يفيد بأن هناك طائرة ميج ٢١ يقودها طيار عراقي ، قد هبطت داب
صباح على أرض قاعدة حوية إسرائيلية في مكان ملحوظ إسرائيلي
وكان هذا الطيار العراقي الهارب قد علز قاعدة قريبة من بغداد ،
ثم طار فوق المجال الجوي الأرضي دون تدخل ، ودرل بطائرته في
إسرائيل سالما .. وهي عملية ظلت المحاربات الإسرائيلية تسمى
اليها قبل ذلك بوقت طويل . أن الطائرة السوفيتية (ميج ٢١)
تعتبر من أفضل الطائرات المطاردة . وحتى ذلك الوقت .. لم يكن
يعرف عنها سوى بعض الأوصاف السطحية التي سبق أن نشرها
أحلات المختصة في شؤون الطيران . لهذا .. غلبت كفت صيدا
ثمينا تسمى اليه أجهزة محاربات الدول العربية ، بالامانة التي
إسرائيل التي كانت تسمى في ذلك الوقت التي معرفة الخصم الذي
تواجهه طائرات الميراج في القتال .

لقد هبطت الطائرة الميج ٢١ في إسرائيل ، وهي في حالة سليمة
تسليما ، ويقدر بمصر المراتبي الملح الذي تمنحه إسرائيل للطيار
العراقي بثلاثمائة ألف دولار . وبمجرد أن حدث ذلك .. طلبت
أربع دول غربية من إسرائيل - وجها لمركا وفرنسا - أن تسمح
لحراء الطيران بتلك الدول باحضار هذه الطائرة الميج . وكان
الآركيون حصوة ، يطلبون ذلك .. ٧ - الميج ٢١ هي حصصهم
في النظام . ولكن إسرائيل لم تكن تريد أعضاء موسكو ..
وبالامانة التي ذلك . فإسرائيل كانت تريد الاستفاده بهذه
الطائرة لحسابها هي أولا . أن العمل الحاصل الذي تمكنت به
إسرائيل ، هو تدريب الطيارين على الطائرة الميج ٢١ بعد أن
اصطفتها المحاربات اسم (ميج ٧) .. وقد كتب أحد الطيارين
الإسرائيليين تقريرا عنها يقول فيه :

(لقد طرأ على من هذه الطائرة الميج ٧ قبل وقوع حرب
يوليو ١٩٦٧ لمدة تزيد على مائة ساعة طيران . انها طائرة قتال
ممتازة في الارتعاعات الشاهقة .. ولكن من أهم الاكتشافات المهمة
التي قمنا بها .. هو أن طريقة الاشتعال في الطائرة الميج تقوم على
أساس الاشتعال بالمرس) .

إن هذا التقرير .. يدعو إلى القول بأن طياري الميراج
الإسرائيليين قد قضوا الساعات الطويلة في التدريب على توجيه

مدافعهم الموجهة إلى محرم وقود السرب المروء به الطائرة الميج،
وهذا يفسر لنا التسمية المرتفعة لطائرات الميج المصرية التي انجرت
وهي نظير في الجو موق حريرة سبهاء قبل أن يستطيع قائلها
استخدام تشغيل المتحرك القلبي .



و لواقع . أن أهمية سلاح الطيران بالنسبة للتنظيم العسكري
الإسرائيلي . قد عدلت مع بداية الدولة نفسها في سنة ١٩٤٨ .
من مايو ١٩٤٨ حتى يناير ١٩٤٩ كل الطيران الإسرائيلي الناشئ
هو الذي استطاع أن يوقف زحف المصريين في حرب ١٩٤٨ بعد
أن وصلوا إلى مسافة ٢٥ كيلو مترا من تل أبيب . من يومها . .
وإسرائيل أعطت الأهمية القصوى لتطوير وتجهيز سلاح الطيران
بها . وهذه الأهمية لم يستطع الدعيم عنها في الواقع إلا الجنرال
نولكوسكي الذي عين في ١٩٥٢ قائدا للسلاح الجوي . أن
قدوم نولكوسكي إلى السلاح الجوي أحدث انقلابا في الآراء
لنقلده . أسس كتاب مبادئه بالنسبة للمفيدة والاستراتيجية .
وكان عليه ، ليس فقط أن يكافح وبإامل ضد عدم فهم السلطات
لأهميته له . بل أيضا ضد عدم اهتمام هذه السلطات ، وعدم
اهتمام رئيس هيئة أركان حرب السلاح الجوي نفسه ، بكل ما
يتعلق بشؤون الطيران . أن نولكوسكي ، — من خلال عمله
السابق في السلاح الجوي الملكي البريطاني — ومن اشتراكه في
معارك الريبلتين ضد الألمان في الحرب الثابتة تعلم هذه مبادئه
سيطرة تلخص في المقط التالية :

● أولا - يجب تجهيز السلاح الجوي بطائرات حديثة دائما،
نظرا لأن الحرب الحديثة لا يمكن أن يحوصلها الحيوش دون مساعدة
عوامله من حاتم أسراب الطائرات — المطاردة والمقاتلة — التي
تحمي الأرض من أي هجوم مفاجئ ، وكذلك أسراب طائرات هاونات
القتال المطاردة التي تقوم بقتل الحرب إلى داخل أرض العدو .

● أن صغر مساحة إسرائيل حرماتها . واحتلظة الحيران
العرب بها . . يفرس عليها أن تصمم لسلاح طيرانها مبرتين
استراتيجيتين : السرعة والفعالية .

● ان عصر السرعة .. يقوّمه على وجود الطائرات الحديثة هذا ، وعلى درجة تدريب الطواقم البشرية . أما عصر الفعالية فيتوقف على الانسجام داخل سلاح الطيران ، وعلى تعدد استخدام الأجهزة .

ان المبادئ السابقة .. كان معناها السيطر في التطبيق هو المبدأ التالي . (يجب إعطاء الأولوية القصوى لسلاح الطيران .. وذلك داخل إطار التطوير الحديث للحشيش الاسرائيلي كله .. ويجب امداد هذا السلاح بأحدث المعدات لكي يكون سريعاً وبحول دون أى عهوض مفاجيء .. أو مفاجيء العدو في الوقت المناسب . لذا يجب أن تكون طائرات السلاح الحوى من (اسرة) واحدة .. وبحيث يمكن استخدام كل طائرة في مهام عديدة) .

وكان هذا المبدأ . يفرغ على (تولكوفسكي) ان يدخل في ملائشات عديدة مع الحكومة لاشاؤها بشراء أحدث الطائرات . وخلال الملتقيات .. كان يظن له ان يكرر الشعار الذي تملّيه من عمله في السلاح الحوى الملكي البريطاني ، وهو الشعار الذي يقول : (لا يوجد سلاح يمكنه ان يتمتع سرتين - الجودة .. ورحص السعر) لهذا فاني على اسرائيل اذا ارادت طائرات بمنازلة .. ان تدفع غالياً . وهذا ما حدث فعلاً عندما بدلت اسرائيل تحصل من فرنسا على طائرات (الميستر) قبل ١٩٥٦ . لقد وقعت الحرب بعد ان تمهّدت مفاوضات لاسرائيل بتقديم غطاء حوى لها .. وفي مقابل ذلك حظرت على اسرائيل ان تجاز طائراتها خط قناة السويس .

ومع ذلك .. على حرب ١٩٥٦ كانت فرصة لكي يقوم (تولكوفسكي) بتطبيق نظرياته . لقد قرر مثلاً .. ان تتم جميع رحلات الاستكشاف أو المساعدة أو المطاردة أو القصف بالتفصيل على اساس استخدام طائرتين فقط في كل تشكيل ، بحيث ، تقوم احدى الطائرتين بحراسة الثانية عند بدء الاشتباك في القتال ، أو تعطي انسحابها عند الضرورة . ان صيغة هذا (الزوج) الطائر تم تعميمها عند استخدام تشكيلات تضم أربع أو ست أو ثمانى أو ١٢ طائرة . كما تعمل الدول الاخرى .

وفي سنة ١٩٥٨ ، عين الجبرال (أيزير وايرمان) قائدا
للسلاح الجوي .. خلفا لتولكوسكي . وإذا كل الأحر قد أنهل
مبدأ تكتيكيا جديدا ، ملى وايرمان قد لكت تطبيق هذا المبدأ ، وهو
الأحر قد خدم من قبل في صفوف السلاح الجوي الملكي البريطاني
خلال الحرب العالمية الثانية . لهذا .. فإن وايرمان هو صاحب
شعار « أن السلاح الجوي الإسرائيلي يجب أن يضم أفضل الشباب
الإسرائيليين » ، وكذلك شعار آخر . « أن إسرائيل يجب حراستها
من على ارتفاع أربعين ألف قدم » .

وفي الأسابيع الثلاثة السابقة على حرب ١٩٦٧ ، كل وايرمان
يصف الورراء الإسرائيلي ماتهم مستضعفون عندما لم يردوا على
أعلاق ناصر لحليج العقبة فوراً . لقد وقف « وايرمان » وخرج من
على كتفه الشريط الذي يربط إلى رتبته العسكرية كلواء هوى ،
والقاء على سمده رئيس الورراء قائلا له : « أنكم — إذا لم
تهاجوا فوراً .. فلتكنم نضحون نحو الفناء » . أن وايرمان كان
يرى أن سلاح الطيران له مهتم رئيسيتان ، المهمة الأولى هي
القضاء على قوة العدو الجوية . وعندما تم هذه المهمة سحاج ..
يسك أن تبدأ المهمة الثانية ، وهي تقديم المعونة إلى القوات البرية .

أما بالنسبة للمهمة الأولى ، فإن النجاح فيها يوقف أولا وأساسا
على عصر المفاجأة . فالمهمة لإسرائيل ومصر مثلا .. من يقوم
بالمهجوم قبل الآخر .. هو الذي سيحصل جميع غرض التثاقف
الجوي ، وبالتالي سيضمن أحرار النصر .

أما العامل الثاني بعد المفاجأة ، فهو ما يسميه الفيون « قدرة
الاستيعاب » ، أي قدرة البلد على تحمل المرات الجوية . أن
هذا معناه أن على إسرائيل أن نفس وجود جهاز دفاعي مضاد
للطائرات شديد الفعالية .. جهاز يبدأ من المحبا .. وينتهي بأحدث
الأسلحة المضادة للطائرات .. بحيث تضمن في النهاية وجود مستار
دفاعي لا تستطيع طائرات العدو المصري — القاذبة من أربع
جهات — أن تخترقه .

والعامل الثالث — في رأي وايرمان — هو عدد الطلعات التي
تستطيع كل طائرة إسرائيلية أن تقوم بها في وقت معين .. بالنسبة

لمعد الطائرات التي تستطيع بطائرات العدو العربي أن تقوم
مها في الفترة نفسها الرمية . أن هذا العدد يتوقف على نوع
الطائرات الموجودة لدى إسرائيل ، وعلى كميتها وسرعتها ومستوى
صيانتها وكيفية بلاربها ومواقع قوامدها .

أن هذه العوامل الثلاثة ، التي كل براهها وإبرهن حاسمة
لتحقيق النصر .. هي التي ظل يؤكدنا ويعلمنا منذ سنة ١٩٦٢ ،
أي قبل حرب ١٩٦٧ خمس سنوات . أنه لم يكن يؤمن بالرأى
التقليدي الذي يرى أن النصر يتوقف على التفوق المصحدي في
الطائرات ، بل أنه كان يعلم دائما . « أن بسنة القوى هي العليل
الأخير الذي يتوقف عليه مصير المعركة . ونحن في حاجة إلى طراز
من الطائرات يستطيع أن يهترق نظام الدفاع المصري المصايد
للطائرات ، وأن تقوم هذه الطائرات بمعارتها وتكديف قائلها رغم
الرادار .. وأن تنفذ الصواريخ الوحشة من الأرض للجو ، ومن
الجو للجو . وبمجي آخر ، نحن نحتاج في إسرائيل إلى طائرة
سريعة تكون قادرة في الوقت نفسه على قتل القليل . أن الطائرة
التي تحمل عشرة طن من القنابل .. تكون مفيدة فقط جيبا
تسلط القوات البرية ، ولكنها لا تكون مفيدة في الهجوم العاطف
السريع على أراضي العدو » .

وعندما جاءت حرب الأيام الستة في ١٩٦٧ لتؤكد صحة آراء
(وإبرهن) .. كان هو قد رقى إلى منصب رئيس عمليات هيئة
أركان الحرب العامة في الجيش ، بينما كان قائد السلاح الجوي
قد أصبح الجنرال « مورحاي هود » .

أن « مورحاي هود » كان يقول للمقربين أنه قبل يونيو ١٩٦٧ :

« لن أنعم قط على ذلك الاتفاق الشهير الذي تم عقده في سبتمبر
سنة ١٩٥٦ بين بن جوريون (رئيس وزراء إسرائيل) وسليوبين
لويد (وزير خارجية بريطانيا) في « سفر » فشل العمليات الجوية .
لقد كان ذلك الاتفاق يضمن لنا المعطاء الجوي من جانب سلاح
الطيران البريطاني ، كما أنه كان في الوقت نفسه محرم علينا
اجتياز قناة السويس بطائراتنا . ومع ذلك كان في استطاعتنا أن

وربلائي - ونحن نقود طائرات الأوراجان والتشكيل الأول من طائرات المستير - لن نقدر مصر سلاح الطيران المصري ، لولا تلك الحقبة التي وضعوها أمامنا بتجديدهم هذا ، وكنا نستطيع بسهولة سببه . . أن نقوم بها لم يصنع السلاح الجوي الملكي البريطاني « المتطرس » في القيام به بصورة مرمية ، إلا وهو القضاء نهائيا على سلاح الطيران المصري وهو جاثم على الارض . . وكانت مصر حينئذ مفتوحا الى سواك طويلة لكي تقوم من كيوها بعد مثل تلك المربة التي كنا نستطيع ان نكيلها لها .

والواقع أن « مورخاي هود » الذي كان هذا رايه بالنسبة للطيران المصري سنة ١٩٥٦ . قد أصبح هو المسئول في سنة ١٩٦٧ من تنفيذة عندما قررت اسرائيل أن تبدأ هجومها ضد مصر .

فبعد أن اتحد القرار بالحرب . بدأ السلاح الجوي - مثل باقي اسلحة الجيش يستعد لمساعدة الصفر . ولأن السلاح الجوي كان عليه أن يقوم بالمهمة الأولى في الحرب ، ولأن المناجاة كانت أهم عصر لحاج تلك المهمة . . فقد تم ترتيب كل شيء يؤدي الى تحقيق النتيجة المطلوبة .

مبالغة الى الاستعدادات المتوقعة لبدء الحرب ، وبالأخص الى الطنعات الاستكشافية المسنرة التي قامت بها الطائرات سنون انقطاع ليلا ، وبهارا ، بعد اتحاد ناصر خطوته الشهيرة سحب قوات الأمم المتحدة . فلن السلاح الجوي الاسرائيلي قام بعدة قصفها حداد العدو المصري ، وتحويل مظهره من النوايا الحقيقية لاسرائيل في حقله مشوب الحرب .

فبمما كان زوعل من طائرات مراح الاسرائيلية تعوب بصفة مستمرة حدود غزة ، كما كانت تعمل مد مدلية حالة التوتر ، قام روج ثالث من الطرار نفسه بالتحليق فوق شرم الشيخ ، وكان هدفا لضرب مركز من جانب البطاريات المصرية المضادة للطائرات التي تركزت في الطرف الجنوبي من سيناء . وقد استطاعت الطائرات ان تلتقطا صورا فوتوغرافية تثبت أن لواء مصرياً قد

وصل الى هذا المكث لتدمير الدفاع عنه ، وعكست الطائرات المراج
تطلق موق شرم الشيخ فيلم ٢ و ٢ و ٤ يوميو . مما جعل هيئة
أركان الحرب المصرية تعتقد أن السلاح الجوي الإسرائيلي يستعد
لهاجبة سيما من الحلف - من جهة البحر الأحمر .

وكانت هناك خدمة أخرى من شأنها تضليل العدو المصري ،
وهي التي قام بها الجبرال موثي دايلى ببراعة غلقة حبيبا أعلن
يوم ٢ يونيو في مؤتمر صحفي قوله . « لقد جنى الوقت الآن وضاعت
فرصة القيام برد عسكري تلقائي . كما لم يحسن الوقت بعد
لإستخلاص النتائج من العمل الدبلوماسي الذي تقوم به الحكومة » .

وفي اليوم نفسه - السبت ٢ يونيو - مسح آلاف الحشود
الإسرائيليون يوما للراحة قصوه في المدن الكبرى والقرى ، كما
رغم عدد كبير من الطيارين بماء الجمه ومساء السبت على
أنعام الموسيقى في قل أبيب . إلا أن الموانع الإمامية الثرية من
غرة والواقعة على حدود سيما ومحطات الرادار المضادة للطيران ،
قد لاحظت عصبية غير عادية من الجانب المصري . فقد تحرك لواء
مصري مدرع ليلة ٤ و ٥ يونيو في اتجاه الحدود ، ثم ظهر سرب
حديد من طائرات الميج على تشكيلات الرادار عند بروج أول أضواء
النهار وهبطت تلك الطائرات في المريش .

وعلى ذلك . فخطط الدفاع الإسرائيلية .. نجحت تماما في
إفصاح العدو المصري بأنه لا يوجد هناك خطر هجوم وشيك الوثوق
من جانب إسرائيل ، بالإضافة إلى أن تحركات المصريين لم تكن
تتحركت حرب ، فقد ما كانت تحركات لإعطاء مظهر الحسب .

وهكذا كان الموقف عندما أعلن الجبرال « مورحاي هود » في
ذلك الليلة قتلا لرؤساء هيئة أركان الحرب . « الحطة كولومب
جاهرة للتشديد » مساعها أعطى « الجبرال رابين » رئيس هيئة
أركان الحرب الإثارة المتفق عليها وهي « اذهبوا » فذهبوا .

وكانت الساعة وقتها هي الساعة ٥ و ٤ دقيقة (الثامنة و ٤٥
دقيقة بتوقيت القاهرة) .

، وهكذا نفست الحرب .

الطريق إلى الحرب مجانين، وولتر لاهكير

١٦ - مخرج من الدواول

هذا الكتاب

وهذا المؤلف

الفكرة الرئيسية .. التي يعتمد عليها هذا الكتاب .. هي أن الأحداث التي سبقت حرب ١٩٦٧ أكثر أهمية من أحداث الحرب نفسها . أن العقبة السددة ، والأعكاز المنتشرة على جانبي خط القتال ، هي التي أدت إلى المهلة إلى الانتصار الضخم في جانب ، والهزيمة الساحقة في جانب آخر . بهذا المفهوم ، فإن الكتاب يتركز أساساً على الأحداث خلال الأسابيع الثلاثة السابقة للحرب، ولكنه يسلل أيضاً الظروف التي حالت دون تحقيق التقدم الاحتياقي والاقتصادي في العالم العربي، مع تركيز على مرض الأوضاع الاقتصادية في مصر قبل الحرب . ومع الأهمية التي يعطوها الكتاب لمسار المواجهة في جانب إسرائيل ، والصيف القلبي في جانب العرب .. إلا أنه يعطي أهمية كبرى لما يسميه (الضوضاء الدعائية الصهيونية) العربية . وخصوصاً مصر .. باعتبارها — في رأيه — سبباً رئيسياً أدى إلى الهزيمة . أن المؤلف — وولتر لاكير — كان رئيساً لتحرير محله (الشرق الأوسط) التي تصدر في لندن وقد أصدر من قبل كتابين الأول بعنوان (الشيوعية والقومية في الشرق الأوسط) .. والثاني بعنوان (الاتحاد السوفيتي والشرق الأوسط) .

وهذا الكتاب (الطريق إلى الحرب — ١٩٦٧) .. هو واحد من الكتب التي كان محظوراً حتى الآن .. تداولها في مصر والبلاد العربية .



كانت حرب يونيو ١٩٦٧ — بين إسرائيل والدول العربية — واحدة من أقصر الحروب التي شهدتها التاريخ وأقلها دمراً . ففي المجال الدولي لم يكن لها تأثير غير مباشر . ولا يزال الوقت

مبكرا للعلماء لكي يقرر ما اذا كانت مستعتر نقطة تحول في تاريخ الشرق الاوسط . ولكن الشيء المؤكد .. هو انها من اهم المواجهات في عصرنا هذا . انها تضم كلغة المقومات الضرورية : التحولات مير المنوقمة والاضطرابات والنصر والمأساة .

انني اريد ان اقول — في هذا الكتاب — ان الاسابيع الثلاثة السابقة على الحرب هي أكثر اهمية من الحرب نفسها . واريد ان اقول ايضا ان ما كتبت عنه الحرب هو أكثر حظورة . ان هناك قضيتين : قضية عربية .. وأخرى اسرائيلية . وأنا هنا احاول ان اؤكد ذلك بوصوح في كلنة اجراء هذا الكتاب ، ان العالم العربي يعاني الالم أزمة كبرى ، بعد ان كتبت الفكرة العسكرية في يونيو ١٩٦٧ عن مرض مستفحل للعلماء ليس موهودا في ساحة القتال متط بل وفي أجهزة الاعلام ايضا .

لقد قام الاعلام العربي .. بصنع الأمل العربية بصيغته ثورية الى حد عدم القدرة على تحقيق هذه الأمل .. وكأن لابد أن يؤدي هذا الى شعور عبثي بعبسية الأمل ، بل الى الفوضى في أغلب الأحيان . لقد كثر رد الفعل العربي فيما بين سنتي ١٩٦٨ و ١٩٦٧ يشتم بعدم المنطقية ، بشكل يشبه في بعض الحالات .. الثورة الثقافية في الصين . ان موقف الصين من العالم العربي ، شبه مثل العالم الإسلامي ، كل على مر القرون يشير بالثغور والرضا عن النفس ، حتى جاء القرن التاسع عشر واندركت الصين غداة ان العرب الحثري يفوقها في القوة الى حد كبير وأنه يرداد ثراء وقوة على مر الأجيال . لقد تغير الموقف الشرقي الى منقصة حادة ، وكلل المعتقد أنه عن طريق الدراسة والمحاكاة ، سيكون من الممكن اكتساب ، بل تطبيق السر الخادع لقوة العرب . وبدلا من ذلك الموقف العربي — موقف الإعجاب والمحاكاة — قد حل محله موقف الاحتقار والرضا عن النفس .

لقد كتبت الثورة الثقافية في الصين — شأنها شأن أزمة العالم العربي — هي نتيجة لاستمرار الفجوة بين الطموح وتحقيق الطموح ، ومما أدى الى تنبلم الشعوب باليأس في العالم العربي .. هو أنه لا يضم ٧٠٠ مليون نسمة ، بل لا يملك قسلة هيدروجينية ..

والاقتصاد الذي انتشر قبل ١٩٦٧ ماى النظرية السياسية والاقتصادية يمكنها أن تصحح - نفسها - المعطيات .

لقد أدت هزيمة العرب العسكرية سنة ١٩٤٨ - إلى سقوط جيل الملك عبد الله وبوري السعيد ، وقيلام جيل آخر من القادة الأكثر وطنية وطرفا ، بل الأكثر حيوية . ولكنه كل في الوقت نفسه أكثر مسئولية وأكثر طموحا ، بل أكثر كذبا وهيمتيرة في أغلب الأحيان . لقد انتشر بين القادة العرب - في السنوات السابقة على هزيمة ١٩٦٧ - شعور بالاحتقار لإسرائيل ، رددوه لأنفسهم ولشعوبهم . مما أدى إلى وقوعهم في المهلكة في (المذبحة) سنة الذي حبروه هم . ولو أحدا مثلا واحدا ، فليس - كيهودى - سوف أحار بجلة « القوات المسلحة » لمسلح حال الجيش المصري عندما كتبت في عدد ١٦ نوفمبر سنة ١٩٦٤ نقول :

« أن اليهودي .. بروحه وشخصيته .. لا يملك صفات الرجل الذي يحمل السلاح . أنه طبيعته غير مستعدة للتضحية بحياته في سبيل أى شيء ، حتى إذا كلف هذا الشيء هو أمه أو زوجته . فإذا كان هناك اليوم رجل في إسرائيل يحمل السلاح ، فانه يفعل ذلك ، لأنه يعلم علم اليقين ، أن هناك رجلا آخر سيسقطه ويقتل أمه ، وليس خلفه ، للدفاع عنه عندما يهين الوقت » .

وإذا كانت هذه هي اللمحة التي تستخدمها مجلة عسكرية مصرية مع جمهورها العسكري ، فانه على الوجه الدقيق أيضا .. كانت الادعاء المصرية تؤدي الدور نفسه - حتى في لحظات الأزمة والتعبئة والتحدى . ففى أداة صوت للعرب مثلا يوم ١٦ مايو سنة ١٩٦٧ - تعد هذه الصلوات :

« يا عرب .. هذه تفاصيل كئيبة وحقيرة لقوة إسرائيل العسكرية تم الحصول عليها من مصادر تعلم فيها الحقيقة الكاملة عن إسرائيل . أن إسرائيل لديها عدد من صواريخ شرمين القذيفة التي تم اصلاحها لكي تلائم مكيفات التبريد والمدافع الفرنسية عيار ١٠٥ ملميمترات .. وتستطيع إسرائيل وقت الحرب .. أن تسمى خلال شمال وأربعين ساعة ٢٥ ألف جدي للتعليم لمواجهة الحراسة في

الداخل ، ولكنهم لن يستطيعوا الاشتراك في المعارك التي تتدخل فيها الجيوش النظامية » .

إن هذه النظرة السيكولوجية العربية قبل ١٩٦٧ كانت مروجة ، وكانت متناقضة في أرواحيتها . مبيها كل الشعور باحتقار إسرائيل - كعدو - متاعلا .. عنهم كانوا يظنوا إلى اليهودي باعتباره متبعاً سمود واسع النطاق ، وهو يدير الأمور فيه في العالم العربي بفضل ما يميز به من دهاء بالغ واتصالات واسعة السطوح وموارد هائلة .. لقد كان اليهودي - في نظرهم - وراء كندي ، بل وراء عملية اغياله أيضاً ، وعموماً .. على أنه يدا في جميع المصالح ومظاهر الفساد في العالم .

وإذا كان هذا يصدق على العرب بصفة عامة ، فإنه يصدق على مصر بالذات . وبعد حرب ١٩٦٧ - أدرك المصريون أن دعايتهم وتصورهم لليهود كان خطأ تكتيكياً فاحشاً ، أعاليها ومسيها ، ولكن ألونت كل شيء قد غاب والكارثة كانت قد وقعت مُعلا ، فوس أن هناك العرب درساً على الإطلاق من هزيبه ١٩٥٦ .

أما لو أردنا أن ندرس أسباب حرب ١٩٦٧ ، أسبابها كهرية فائدة بالنسبة للمصريين .. وأسبابها كتصالح حجم بالنسبة للإسرائيليين .. فلن علينا في الواقع أن ندرس السموات بين ١٩٥٦ و ١٩٦٧ . أن درامته أسلوب نمك ومصرف وعمل الطندين خلال تلك السنة الفاصلة .. هو الذي جعل بعد ذلك الطريق مضوحاً إلى كل من الهزيمة الفاحشة والانتصار الضخم . لقد كانت الأخطاء التي ارتكبتها العرب في تلك الفترة .. هي مرأيا في جانب الإسرائيليين ، كما كانت الدروس التي استفادها الإسرائيليون .. هي مدورها أوجه تنص في العرب عندما حلت اللحظة الحاسمة المحدى في سنة ١٩٦٧ .

لقد دخلت إسرائيل حرب ١٩٥٦ بلفظ ملق مع بريطانيا ومروسا . وإذا كانت المظلة الحوية البريطانية الفرنسية في تلك الحرب قد جعلت مهمة إسرائيل أكثر سهولة .. إلا أن العلاقة بين الدول الثلاث قد أدت - من الناحية السيلية - إلى تشويه العملية

بأكملها ، الأمر الذي أضر بالمصالح الإسرائيلية .. من الناحية العسكرية كل النصر العسكري لإسرائيل مؤثرا . ولكن ، إما كان هذا النصر قد محقق بالتواطؤ مع مرسا وانحطرت ، فقد كان باستطاعه ماصر أن يقول - بطريقة مقبولة ظاهريا - أن مصر كانت تستطيع أن تهزم إسرائيل لولا التدخل الانحلو مرسى . وعلى ذلك .. على الدرس العسكري لم يكن قطعاً على نحو ما كان الإسرائيليون يأملون . وإذا كان الإسرائيليون قد خرجوا من حرب ١٩٥٦ وهم يملكون أنهم انتصروا عسكريا وهربوا سياسيا ، فإن مصر خرجت وهي تعلم - أنها انتصرت سياسيا . وتتصور أنها انتصرت كذلك عسكريا .

أما - كيهود - مسلم أن إسرائيل لم تكن حتى عام ١٩٥٦ سوى مترة راحة . غير أن إسرائيل استطاعت أيضا أن يخرج منها بدروس مستفادة برعلى ما بذلت في طبيعتها . وبالإضافة إلى العمل السياسي والعسكري ، فقد كانت هناك أيضا حالة من الرهاد الاقتصادي ، وكثرت السيوفات الجديدة التي ترجم المواصلات ، وأصبح بالوليا الكثير من الإسرائيليي القيام برحلة إلى الخارج كل مستحق أو ثلاث سنوات ، ورائت معدلات لنمو الاقتصادي ورائت الصيانة - في عام ١٩٦٢ مثلا نسبة ١٢ / منها في الصنم الذي سبقه . وحسب الزراعة - حيث التقدم مطيء العملية - أمكن النهوض بها بنسبة ٨ / ، وارتفع إنتاج المصنم بدرجة كبيرة ، بحيث أصبح إسرائيل تصدر كميات كبيرة منه إلى أوروبا ، بالإضافة إلى الفواكه والخضروات .

ولكن المصورة ، في الواقع ، لم تكن مشرقه شيئا . لقد ارتفعت مستويات المعيشة بدرجة أسرع من الانجليزية ، وكثرت البلاد تعيش بموا بيجلور مواردها ، ولم يكن التقدم الاقتصادي متفاسقا .. فقد كان هناك سوء تقدير خطير في بعض الميادين ، وكان عدد المتعطلي يتراوح بين ٥٠ و ١٠٠ ألف ، وهي نسبة عالية للغاية من إجمالي الأيدي العاملة .

وبالإضافة إلى ذلك ، فقد أحدثت المشكلات السياسية والاجتماعية المزيد من الإهتلم . ففي مجال السياسة الإسرائيلية ..

كان الميل نحو الانقسام والتفكك يتقدم بمعدل يدعو الى الارتعاج .
وقد أصبح المثل القديم الذى يقول « أن وجود ثلاثة يهود — معناه
وجود أربعة احراب سيليه — قريبا جدا من الحقيقة . لقد حدث
اشمالي في صفوف حزب الماباي .. وكذلك حرب جيروت ، بل
الحرب الشيوعية أيضا .

وعليك أيضا استياء وصخر مترايد بين الجيل المصغر ، نحو
الجيل الأكبر من القادة — الجيل العنيق من اليهود الذين جاءوا من
أوروبا الشرقية . ومما أكد هذه الفجوة هو أن سياسيين المدرسة
القديمة لم يبدلوا في سرعة بل يفسحوا مجالا للجيل الجديد
لقد انزعجوا فقط من ابتكار هذا الجيل للمثل والمبادئ التى كانت
في أعين الأحياء تصل الى حد السحرية المسرفة .

ومن الممكن أن نستطرد في ذكر مواهب القصور والفشل ،
ولكننا — كيهود — نذهب أن معلم .. أن ما حققه إسرائيل وما
فشلت في تحقيقه ، يجب أن يتلقى على سوء ما حققه الدول الأخرى .
لإسرائيل — بسكاتها البالغ عددهم مليونين ونصف مليون ، كان
اجمالي انتاجها القومي في سنة ١٩٦٧/٦٦ يساوى مع اجمالى
الانتاج القومى لمصر التى يبلغ تعدادها ٣٠ مليونا .

وفي مقابل ذلك ، علو لعبنا مصر في فترة ما بين الحربين ١٩٥٦
و ١٩٦٧ ، فسوف نجد صورة أخرى .. لقد هاضمت مصر ثورتها
الاجتماعية ، واحتلت الطبقة الحاكمة من النشوات وأتباعهم ،
وحلت محلهم الطبقة الجديدة من مملز الضباط والفكوفراطيين .
وقد أصبح من العادى أن يحصل معظم الضباط على وظائف مدنية .
وأصبح « صوت العرب » من الممارس السياسية الكبيرة في كلغة
أرجاء الشرق الأوسط .

ومما لا حدال فيه .. أن الطبقة الجديدة كثرت صداقة في رعتها
في تحقيق الانتماء القومى والإصلاح الاجتماعى ، وكان بعض
أعضاء هذه الطبقة من الرجال القادرين .. على حين كان البعض
الأخر من الفاشلين . ولكن بصرف النظر عن الانتخاات الضرورية ،
فقد فقدت الطبقة الجديدة تدريجيا .. مثليتها والاحساس المشترك

ليها بينها . لقد بدلت نؤيد الأمر الواقع بلاديت امتيازاتها التي تتمتع بها في ظل النظام الجديد لم يمسسها أي ضرر ، وساعد على ذلك .. أن النوليس السرى أصبح يشكل دولة داخل الدولة ، وهو جهاز لا يستطيع بطبيعته أن يتحرف في محتجع مستوح ، ولذلك فلا بد له دائما من محضع معلق بحيث أصبح رئيس الدولة نفسه هو مثلا الذي يقدم الكثير من الصحف ، وهو وحده الذي يعلم حقيقة ما يجري .

ولكن مع ذلك .. فإن الخبراء الاقتصاديين في مصر ، لم يكونوا راضين تماما عن الأوضاع الحقيقية قويا وراء الأرقام والتضريعات الحلاية عن الاتصالات الجديدة في المحبة الاقتصادية .

إن هذه الأشياء لم تنضج إلا بضعى المنى ، ولم تظهر أضرارها إلا بعد أن وقعت عملا . وعموما . فقد كل عام ١٩٦٠ هو أوج الماصرة .

ولكن في المالم التالي مباشرة — ١٩٦١ — بدأ المد يهيم . على شهر مستير انعمت سوريا من مصر ، وفي المالم التالي اشتملت الحرب الأهلية في اليمن ، وتدخل ناصر ستين ألف جندي في حرب ضروس . وبدأ المالم الثالث في السمك .. فقد نوى بهرو واحلفى كل من بن ميللا ونكروما وسوكارنو ، وبدلت نسو معارضة مقابدة للماصرة .. حتى داخل المالم العربى .

وفي الوقت نفسه — ورغم العلاقات الوثيقة بين مصر والاتحاد السوفيسى — فقد كانت لا تزال هناك علاقات طيبية بين مصر وأمريكا ، رغم أنها لم تكن علاقات ودية . وقد حابت بقطة النحول في عام ١٩٦٤ . ولم يكن هناك سبب معين واضح لهذا التدهور الذى لم يحدث فجأة . لقد كانت حرب اليمن أحد هذه الأسباب . وبالرغم من أن أمريكا كانت واحدة من بين الدول الأولى التي اعترفت بالنظام الموالى للماصرة هذا ، فقد أبدت أيضا السوفيين المؤيدين للملكيين في اليمن . وقد وقعت عدة حوادث مسمرة أوضححت أن المصريين قرروا إثارة الأمريكيين على قدر الإمكان . فقد أحرقت الجماهير المكسة الأمريكية في القاهرة . ولم تسطرع فرقة

المطافئ — التي تقع على مقربة من مكان الحادث عبر الطريق — إلى التحتل . واستطعت طائرة مدنية أمريكية . . وكانت السلطات المصرية بطشة حتى في تقديم الاعتذارات التي تتميز بعدم الاكتراث . وبالإضافة إلى ذلك . . كل هناك تردد متزايد في أمريكا لتقديم — أو الاستمرار في تقديم — مساعدة اقتصادية إلى مصر . وقد أدى هذا إلى إثارة غضب القاهرة بدرجة كبيرة .

أما بالنسبة للعالم العربي في فترة ما بين الحربين (١٩٥٦ و ١٩٦٧) فقد كان هناك عليل لم يسبق له مثيل . عدا مدانا سوريا . . فاقما سمجدها على الدول أكثر البلدان نظرا . وتعتبر الانفعالات السياسية في سوريا أكثر حدة منها في البلدان العربية الأخرى وأكثر تعصبا . ذلك أن السوريين — على عكس المصريين — لا يشتهرون بروح الفكاهة . أن سوريا بلد يشتم بالتمسك . لقد عاشت عدة انقلابات عسكرية خلال تاريخها القصير أكثر من أي بلد عربي آخر . والاحتكاك بين الجماعات الدينية والعنصرية لا يزال له أكبر الأثر على الحياة السورية

وعبوما . . من العالم العربي — بل العالم كله — كان يشهد تصميدها في حدة المشاكل الداخلية ، بحيث أنه عندما وصلنا إلى سنة ١٩٦٧ وكان يربح تلك السنة يضر بأنه قد أصبح أكثر خطورة من أي عام سابق . لقد صعدت أمريكا حرمها في فينهام . وأصبح هناك خوف من أن يكون صيف ١٩٦٧ أكثر منهوية من الصيف السابق . وكان للاتحاد السوفييتي هو الآخر إشاعته الخاصة . لقد تهابت تلك التطورات العالمية في بداية تلك السنة ، بحيث أصبح من الصعب — أن لم يكن من المستحيل — تحقيق التقدم بالنسبة إليه قضية على الإطلاق .

وفي مايو ١٩٦٧ — كلفت كاتبة السامر التي بحرم اندلاع الحرب في الشرق الأوسط قد أصبحت موجوده ومؤثرة ، وأصبح هناك مزيد من التوتر لم يسبق له مثيل بين سوريا وإسرائيل انصبت إليه مصر ، ومصر على ما بدلت الأحداث المعرومة من طلب مصر سحب قوات الطوارئ الدولية ، إلى إغلاق مضائق تيران .

ولقد شنت الحرب في شهر يونيو . . تقيصة لمسلطة من الحوادث بدلت قبل ذلك الموعد مقلته لسماع ، أنها حالة تنطوي

على الكثير من الشواهد التي تتم عن التصعيد .. ذلك ان حادثة تقود الى اخرى ذات نتائج مؤكدة .. كما ان التقديرات بدت أكثر مما كانت عليه في الماضي ، فضلا عن ان الاحتمال والمصالحة قد لصا دورا كبيرا ، كما ان التصريحات سرعان ما بدلت قدام سبق لتصعيد الموقف من كلا الحتمين .

ولكن المشكلة على الجانب العربي .. كانت الضوضاء الهستيرية التي تصبح ضارة من النقطة التي يبدأ فيها اصحابها في تصديقها ، لأنها تدل على حالة نفسية سرعان ما أدت الى نتائج مادية في ساحة القتال .

وإذا كان اسلوب الإداعات واجهزة الإعلام العربية — وخصوصا المصرية — في تلك الأسابيع الثلاثة ، لذا كل قد بدا باجحا وقتها .. فإنه يجح لان المسممين كرافوا ان يسموا دعائيه من هذا القبيل ، وهي الادعية التي جعلت مشاعرهم أكثر من الاسلوب العربي . (او حتى السوميتي) مع الماطس . ويقع اراء دراسة حامية حول مسئولييه اذاعه القاهرة في الكارثة التي حلت بمصر عام ١٩٦٧ . لقد كان هذا النوع من الادعية هو مصدر قوه ظاهريه ، ومصدر ضغوط حقيقي على السواء . وقد أمكن ادراك ذلك — ولكن بعد ان وقعت الهزيمة العسكرية .. مثل محلة (المصور) المصرية قالت بعد الهزيمة مثلا .. (لقد كنا نقول لشيء لم يكن معها على الدوام ، ومن ثم علينا كبتك أسدقاسا) .. ومما لا شك فيه ان هذا صحيح ، الا ان عمل استقصاء حول آثار هذه الدعية لا يضمن ان يكون محدودا في اطار الاثر الذي أحدثته في الخارج . لقد وقع تأثيرها أساسا على العرب ، ومن ثم كل اصحاب الدعية هم أولا وأخيرا ضحاياها . لقد أدت تلك الدعية الى إثارة توقعاتهم الى النقطة التي يحب بعدها ان تتحقق الوعود . لقد أدت مثل تلك الدعية الى تقوية الميل الداخلي لكثير من العرب نحو هذاع أنفسهم .

ان العرب يهتمون بكثير من الصفات الجذابة (التي يفتقر اليهود الى بعضها) وهم يهتمون مسخرة نكاد تكون غير محدودة

على أن يؤمنوا بما يريدون أن يؤمنوا به . أن هذه السبه من سياسات الشحمية العربية لا يمكن التأثير عليها بقوة . انها توضح كل ما يتعلق بشوب الحرب وما خلفت من آثار . ذلك أن الدعاية التي كانت تنبعث من القاهرة ودمشق وبيروت ، كالسيل الزهير حول ما يتم به العرب من ثقافته وتقدم اقتصادي وقوة عسكرية . قد قبلت بحسن لأنها متفق والمحاكاة العاطفية لشعب أس . تلك الحاجة التي قويت بدرجة كبيرة في كثير من الحالات في القرون الأخيرة ، ولكنها لم تستطع أن تتسنى ومكنتها في العالم الحديث ، وانما كانت تشعر باستياء تجاه هذا العالم . ومن هنا جاءت الحاجة إلى خلق عالم خيالي . حيث يمكن حل كانه المشكلات الهائلة التي يتعرض لها العرب . وفي ظل هذا العالم الخيالي يمكن بناء المشروعات الصناعية في وقت قصير للغاية ، كما يمكن كسب المحارك دون أية خسائر ، والتغلب على الأعداء . لغنى هذا العالم الخيالي لا يوجد مقنونة ولا توجد عقبات . وقد أدت هذه الدعاية إلى خلق التحيات بين العرب حول قوتهم ودعيت ميلهم — الذي كان قويا على الدول — إلى تجاهل الحقائق غير المرضية . وبعيدا من ذلك . بل هي هذه الدعاية لم تؤثر على الجماهير فقط ، وإنما أثرت في المدى الطويل على الفداء أنفسهم ، واسمى ذلك بالطبع على أرائهم ، وعلى ما يصدره من أحكام .

ومثلما كان للدعاية العربية في ١٩٦٧ أثرها على العرب أنفسهم ، فإن المشكلة كلها ، حتى شوب الحرب عملا ، كان لها أثر عميق على الرأي العام في جميع بلاد أوروبا وأمريكا . ولم يحدث منذ الحرب الأهلية الإسبانية أن كانت المشاعر منقسمة مثل ما حدثت في الأسابيع الثلاثة السابقة على حادثة يونيو ١٩٦٧ . ذلك أن هذا الصراع أصبح لفترة من الزمن مسألة داخلية خطيرة في فرنسا وإيطاليا ، بل كانت هناك مشاهد مأساوية داخل البرلمان الهندي .

إن وضع تحليل دقيق للرأي العام — إلى الأثرية — في عدد من دول العالم لا يمكن أن يتم إلا في صورة كتلة قائم بذاته ، بل ربما سلسلة من الكتب ، ولكن الاتجاهات العامة ظهرت وقتها بوضوح حتى من خلال عمليات البحث السطحية .

لقد تلقى ناصر والسوريون تأييدا كبيرا ، بل مجبها في اغلب الاحيان من حثب العالم العربي وشمال افريقيا والعالم الاسلامي .. أما خارج نطاق هذه الدائرة ، فكانوا يصمون بالبركات الرسمية من الكتلة السوفيتية والصين وبعض دول آسيا وافريقيا .. أما اسرائيل فقد كان هناك عند كثير من القائلين معها في أوروبا والأمريكتين ، ملاحظة الى عند قتل في لعراء من آسيا وافريقيا .

ان هذا السرد لتطورات الأزمة ينتهي صباح الخامس من يونيو ١٩٦٧ .. وان أبرز طفرات المستمر والميراج التي أحدثت ترفع من المظلمات الاسرائيلية ، يمكن ان يروى أحد المخرجين السيمائين بنهاية دراماتيكية .. في حين ان هذه النهاية غير مرضية من وجهة نظر المؤرخ للاحداث .

ولكن ، من الواضح انها المهلية القاطعة لهذه الدراسة ، ان ذلك اليوم قد شهد سلسلة جديدة من الحوادث لم تظهر نظريتها في الألف بعد . فقد حثبت الحرب والنصر الاسرائيلي السريع المعركة القديسية التي سبقت الصراع ، فترة المحاولات والشكوك والتردد . ولكن من الأشياء التي سرعالي ما أصبحت في طي النسيان ، تلك الارتباك والقرار المشنوم الحاص بفترة التاهب للقتال .

لقد أدت الحرب الى تعيير مظرة الجميع الى الأزمة التي شنت الحرب .. وكذلك ملها الفتت أضواء صحبه على سياسة الحكومة الاسرائيلية ، الى درجة ان التردد لصح بدو وكأنه لم يقصود وحى الإهطاء أحدثت شكل المناورات التوتيبية .. وفي الواقع انه — برغم كل تصور — على نتيجة الحرب كما يعرف جميعا الآن ، لم تكن قط موضع جدل . ومحميل الا تكون النتيجة قد تعمزت كثيرا لو ان الحرب قد شنت في الخامس والعشرين من مايو او في الخامس عشر من يونيو .

العرب وايسرائيل

مؤلف: شارلز موهانديس

هذا الكتاب

وهذا المؤلف

يقوم هذا الكتاب على نظرية أساسية ، هي أن المشكلة بين إسرائيل والعرب هي أساسا مشكلة سياسية ، ولا يمكن حلها عسكريا . وما دام العرب - منذ ١٩٤٨ حتى الآن - لم ينفذوا معلاية حلول عسكريه ضد إسرائيل ، من المفهوم أن المؤلف يقصد بمطلقه هذا .. أن ينحصر الأساس الذي يعتمد عليه التفكير الإسرائيلي أن المؤلف يقول في الكتاب بصراحة : أن اعتماد التفكير الإسرائيلي على استخدام الحلول العسكرية في كل مرة ، هو أمر لا يحل في النهاية أي شيء ولا يعبر أي وجه من أساليب المشكلة .

وإذا كانت هذه تعتبر نقطة إيجابية في تفكير المؤلف ، فإن هناك نقاطا أخرى كثيرة يختلف فيها المؤلف مع تفكيرنا فيما .

أن المؤلف هو « تشارلز دوخلانس هوبوم » وهو انجليزي قام بتمطية أخبار حرب ١٩٦٧ صحتيا باعتباره مراسلا حربيا لصحيفة « التايمز » البريطانية . لقد وصل إلى إسرائيل قبل نشوب الحرب بأسابيع قليلة ، واستمر هناك إلى انتهاء الحرب .

وفي تحليل المؤلف لأسباب حرب ١٩٦٧ ، فإنه يقول أن شيئا ما لم يكن ليوقف إسرائيل عن الهجوم .. اللهم إلا أن تعلن أمريكا وبريطانيا أنها سوف تستأجر العرب ، وهو الأمر الذي يرقى إلى مرتبة الاستحالة من الناحية السياسية .

ومع وجود علامات كثيرة مع النتائج التي انتهى إليها المؤلف في فصول الكتاب إلا أن المؤلف في كتابه هذا .. يمثل نموذجا للأسلوب

البريطاني في تحليل مشكلة فلسطين ومشكلة الوجود الاسرائيلي في الشرق الأوسط .



بعد قيام دولة اسرائيل في مايو ١٩٤٨ نشبت حروب ثلاث بينها وبين حيرانها العرب ، ومع انتهاء كل حرب . كل انتصار اسرائيل العسكري اكثر مضاء من سابقه ، وهزيمة العرب اتشد ادلالا من سابقتها ، ومع ذلك .. وليس هناك ما يدل على أن جيل المنازعات هذا قد ولى وانتهى .

ولقد ترتب على كل حرب موقف متعصير فالضرب الاولى تمحضت من قيام اسرائيل ، والصفية دميت مركزها ، أما الثالثة (١٩٦٧) فقد حققت لها اجراطورية ، غير أنه ليس هناك ما يدل على وجود نهاية لكل هذا ، بل الشك في التواليا الطيبة من كلا الجانبين .. والشعور بتعصير مبران القوى . كلها اتبعات مألوفة في الثورة الاولى لفترة ما بعد الحرب ، ثم لا تلبث تلك الاتجاهات أن تذوب وتنتفك تدريجيا على صخرة المستعجلات السياسية في الموقف العربي .

ان المشكلة بين اسرائيل والعرب هي مشكلة سياسية .. بلا حل عسكري . لقد واثت الشرق الأوسط فرص أكثر مما واثت غالبية المناطق الاخرى في العالم لكي يكتشف بصفة قاطعة .. أنه لا يمكن حل المنازعات بمجرد استخدام السلاح .

واذا كان النزاع بين العرب واسرائيل هو أكثر من مجرد صدام بين جيوش متصارعة — أو حتى بين مجتمعات متصارعة قدعها قوات عسكرية — لماذا عساه أن يكون إذن ؟

لعل من الضروري ، استبعاد الاعتقاد الحالي بأن هذا النزاع مظهر آخر من مظاهر العداء للسلبيه من ذلك النوع الذي قد يحده المرء في موادي الجولف البريطانية أو الأمريكية . أنه ليس بالتحديد نتاجا لنفور عنصري بين العرب واليهود ، فإزايح الجساعات اليهودية في العالم العربي ليس على نصف بشاعة تاريخها في المجتمعات المسيحية أو الشيوعية في لوريا . ومن

الإنصاف أن نقول بأن الجاليات اليهودية انتمشت حضاريا وتجاريا في جو تسوده خربة كبيرة من الأمن في العالم العربي ، خلال العشرين قرنا الأخيرة وهو ما لم يتوافر لها في أوروبا . ومهما قبل مثل حن مشكلة اندماج اليهود في المجتمعات الأوروبية ، وليس لهذا أية علاقة مشكلة فلسطين . لأن اعتبار الصهيونية لفلسطين أصيد على أن الشرق الأوسط يستطيع أن يمتص عمرا جديدا منها دون حدوث مضاعفات شديدة .

لقد أصبحت إسرائيل تمتلك الآن كلا من القوة والقدرة على أن تبقى وسط منطقة معادية لها ، ولكن ليس لديها القوة ولا القدرة على تغيير هذا العداء دون أن تضر هي الأخرى نفسها . والنقطة التي أريد أن أوضحها . هي أن إسرائيل التي كانت المصير اليهودي في المسألة الفلسطينية ، قد تحطت مرحلة التنمية وأصبحت المصير الأقوى في مستقبل ملطى .

إنها إذن مشكلة جغرافية بأكثر مما هي مشكلة عصرية . ذلك أن النزاع في الشرق الأوسط أصبح نقما الآن بين دول ذات سيادة ، وليس بين منطقتين لأجناس مختلفة ، لهذا السبب . من حل المشكلة العربية الإسرائيلية لا يمكن في حل مشكلة اليهود عالميا ، وإنما يمكن أكثر في تحقيق توازن أقليمي على بين دول الشرق الأوسط وإسرائيل واحدة منها .

ولقد تحقق توازن أقليمي بين القوى في المنطقة . ومع أنه حدثت تغييرات وربما تحدث تغييرات أخرى ، فإن النقطة الجوهرية هي أن التوازن يعكس تركيب القوى المحلية ، ولا يتأثر بدرجة خطيرة بأنه قوى خارجية . ولا يمكن لأي حل الآن أن يتضمن الرجوع إلى الموقف الذي كان سائدا حينما كان شعب آخر مبنولا من المنطقة — أي قبل عام ١٩٤٨ — والا كان معنى ذلك المطالبة بإعادة انحداب بريطانيا . أو مطالبة الأتراك بالمودة أو حتى مطالبة الرومان بأن يفعلوا ذلك . إن المرء لا يستطيع أن يوسع نطاق بحثه لمشكلة ما . أكثر من الإطار الذي تدور خلاله الأطراف الراعية للمشكلة . إن سلطنا في المنطقة انتهت بانتهاء مسئوليتنا فيها ، ومعها ثلاثت قدرتنا .

والانتمية في الواقع ، ليست قضية الوجود الاسرائيلي في حد ذاته كسبب للنزاع . ولكن هذا الوجود يساعد على خلق ظروف يحدها العرب غير محتملة . ملو ان اسرائيل قامت كدولة عربية ، لما كلى هناك نزاع . . اللهم الا ان اسرائيل والاردن حول استعادة تلك المناطق من فلسطين التي ضمتها الارض بعد حرب ١٩٤٨ .

لقد انتهت حرب ١٩٤٨ بتسويات مؤقتة للحدود وباتفاقيات الهدنة ، مما جعل هذه الحدود تصبح بعد ذلك مصدرا للنزاع المستمر - والواقع ان مشكله الحدود كانت مجرد تعبير عن نزاع سياسي اعمق وأوسع بين الطرفين ، ولان خطوط الهدنة كانت حقا غير منطقية وفي بعض الاحوال غير عملية مالمه ، فانها سببت للعرب التعبير عن استيائهم السياسي العام . لقد كانت حوادث الحدود فيما بين سنتي ١٩٤٨ و ١٩٦٧ هي ذاتها العملية التي يحبر بها العرب عن استيائهم ، كما انها ايضا كانت تعبرا غير مباشر عن عدم قدرتهم على القيام بأي ضغط فعال على اسرائيل - وهو تعبير ان تدل على شيء فانها بدل على عيبه امل .

ومن ناحية اخرى . . كانت اسرائيل من حين لآخر - تكيف استراتيجيتها وفق أسلوب عسكري معمرل نمائيا من العوامل السياسية الأخرى ، بينهما في ذلك ثمرور بالتفقه في تفوقها العسكري . وتجدر الإشارة هنا الى مثرة كتبها الجنرال « موشى دايان » رئيس أركان حرب الجيش الاسرائيلي سابقا ووزير الدفاع الآن ، تناول فيها سيلة الردع الاسرائيلية ، لانه يكشف في هذه الفقرة عن عدم المرونة ازاء مثل هذا الوضع . وادأ كانت الاستراتيجية تدل على شيء ، فتمت تدل على الاعتقاد الاساسي الى الصق في الفكر العسكري . ان ضرب فيقتلهم الشبكية بالتقابل الامريكية يقوم اساسا على مبدأ رفع ثمن العدوان في مصدر العدوان . وهذا بالضبط موقف اسرائيل العسكري ، دون ان يدل ذلك على اي لبل قائم في إيجاد حل لمشكلة أمن الحدود . يقول دايان في كتابه « حملة السويس » مفسرا سياسة الردع :

« كل الهمم هو ان من العرب انه بينما قد تعمر اسرائيل من حماية حياة كل صائق جرار يحترق بالقرب من الحدود ، أو

أن يسع ثلث الإعلام بالقرب من طريق قسويه .. فإن الدولة
المسئولة عن المحربين لن تلت من العقاب .. وعندما تقوم قوه
اسرائيلية بمحاصلة داخل الأرض العربية دور أن يتمكن الجيوش
المحلية من أن تتحداها بحفا جديا ، مثل القتل العسكري للدول
العربية مفتوح علنا أمام شعوبها . وهكذا ، فلهذا بدلا من أن
يرتفع شأن الأنظمة العربية من النتيجة النهائية لأعمال
الفدائيين هي انهيار ثقة الشعوب بذلك الأنظمة وبقواتها
المسلحة .

ولقد أحست بريطانيا للصهيونية أحساها كبيرا ، ومع ذلك
مربما تكون قد أساءت للعرب لشدة الإساءة .. وربما التي هذا
على بريطانيا مسئولة أكثر لفضل مساعدتها الحبيدة ، وأن تفهم
أن جانبها ضحيا من منافع هذا النزاع بقع عبء عليها . بيد أنه
لم يكن العرب من الضعف بحيث يستطيع إسرائيل أن تهبطهم .
كما أنهم لم يقيموا من القوة بحيث يدمرون إسرائيل . ومن ناحية
أخرى ، فسيما كانت إسرائيل من القوة بما يجعلها ترد في كل
غارة انتقامية ردا قاسيا ، فإنها لم تستطيع أن ترد على نحو
يجعل العرب لا يعودون إلى تكرار ذلك مرة أخرى .

لقد شأ الخطر في هذا الوقت .. لأن كلا الجانبين كل مختلما
بأنه على حق . ولم يكن أيهما قويا ماديا بما يكفي لدعم هذا الحق
على فهو يحسم النزاع ..

ولقد كانت حرب ١٩٥٦ نفسها هي في نوعها إجراء انتقامي
كبيرا قامت به إسرائيل ، تشمل كافة الدوافع النسبية
والسياسية وكذلك الاقتصادية .. التي لم تكن موضع الاهتمام
في السعة السابقة على الحرب .

وقد أدت حرب السويس سنة ١٩٥٦ إلى بعض التغيرات
السياسية الكبرى في المنطقة ، كما جلبت السلام على حدود
إسرائيل . ورغم أن الجامعة العربية أعلنت عن مشروعلت لمرء
من المقاطعة للضائع الاسرائيلية .. فإن العرب كانوا الجانب
الأضعف ، وكفوا مقسمين على أنفسهم ، ولجأوا إلى حيلات

الدعاية ضد بعضهم البعض أكثر مما كانت هذه الحملات ضد إسرائيل .

ولقد كانت السنوات التالية بين حرب ١٩٥٦ وحرب ١٩٦٧ هادئة نسبياً بالنسبة لحوادث الحدود بين إسرائيل والدول العربية، ولكن الموقف الأساسي ظل كما هو . أن رد الفعل التفتيشي لإسرائيل استمر ممتدداً على تصور أن كل حركة سينية تمر عبر رد ، وكل ملاحظة بدون حد من جانب إسرائيل . . لأن هذا يشكل خطراً لاحقاً على مستقبل أبنائها . بهذا الأسلوب أصبحت المشكلات السياسية في المنطقة ، لأن أي تغيير محتمل لم يكن ينصر من جانب إسرائيل إلا من زاوية عسكرية محضة . ويبدو أن هيال الإسرائيلي الحصب قد تكيف مع سنوات من المثلثات على الحدود بحيث لم يعد يتقبل سوى مفهوم واحد هو : أن المشكلة في جوهرها مشكلة عسكرية وليست مشكلة سياسية ، وأنه لا يمكن تسويتها إلا عسكرياً .

لقد كان هذا هو الأساس على الذي قامت عليه حرب يونيو ١٩٦٧ أنها لم تكن من نوع الحروب التي نشب عنها ، لأن كل حركة للأحداث كانت تشير سراً سريماً منذ أوائل سنة ١٩٦٦ - أن هذا لا يمس دخول أي مصر جديد على أساسيات المشكلة . وإنما يمس أن الخطوط القاتية راحت عمقا ، وأن النقائص احتتم واكتسب مرارة أكثر ، وأن الأمركة انخرعت أكثر ، وأن المهارات تحولت أكثر . . نادا بالأحداث تنور دورتها بين عمل ورد فعل ، حتى لم يعد هناك مجال للملحور .

لقد دارت الأحداث في مايو ١٩٦٧ دورتها المبرومة من طلب مصر سحب قوات الأمم المتحدة ، إلى قيام إسرائيل ومصر بالنسنة ، إلى إغلاق خليج العقبة ، إلى الحرب . وبصرف النظر عن الأحداث نفسها ، فله ما يثير الدهشة في أزمة ١٩٦٧ هو أن القيادة المصرية لم تظهر كثيراً من الحكمة في طريقة بمالحتها للأمور . صحيح أنه كان من المحتمل أن يكون ميران الشرعية في جانب مصر . إلا أن هناك علامات استفهام تكشف الحكمة من مقابلة تلك السياسة حتى لو قلنا أن القيادة المصرية كانت تمارس حقوقها . أن الدهشة من تصرف القيادة المصرية أبلى الأزمة تريد خصوصاً لو افترضنا أنها

كانت تعرف قوة إسرائيل وورد الفعل المحتمل من جانبها أزاء تسلسل الأحداث . وخلال فترة الأسبوعين السابقين على مشوب الحرب في يونيو ١٩٦٧ ، على تصرف القيادة المصرية لظهور من سوء التقدير أكثر مما أظهرت من عدم الشرعية .

إن الحروب تنسفر عن مسؤوليات غير طبيعية في الشؤون الدولية . وهي عالميا ما تشتمل عرصا أو بنحة لسوء التقدير أكثر مما تشتمل طبقا لمحنة موضوعية . ومن ناحية أخرى ، فلي الدول المتحاربة يكون لديها في العادة فكرة ما هي النسب الذي من أجله تبدأ الحرب — فلما أنها تريد أن تكتسب شيئا من وراء ذلك ، ولما أنها تريد أن يسمع الجانب الآخر من أن يحرر شيئا . وفي كلتا الحالتين فلي النتيجة قد تكون شيئا مختلفا جدا عما كان متوقعا أصلا من أي من الجانبين .

وعلى ذلك . . فلابد أن يسأل المرء نفسه : ماذا كان الإسرائيليون يتوقعون أن يكسبوا من حرب ١٩٦٧ ، أو ماذا كانوا يعتقدون أنهم يسمون الحرب من أرائه ؟ وهل كانت إسرائيل تعتقد أن ثمة هدما بهائيا وراء ما يمكن كسبه ، وإذا كان الأمر كذلك . . فما هو هذا الهدف ؟

إن إسرائيل تقول — من جانبها — أنه لم يكن أمامها من بديل في سنة ١٩٦٧ غير الحرب . انسى اعتقد أن هذا غير صحيح . وحتى يصل إلى هذه النتيجة لا بد أن نحلل التهديدات الحقيقية وأسوأ النتائج المحتملة في حالة عدم حدوث رد فعل فوري أزاء هذه التهديدات على النحو الذي رقت به إسرائيل .

إن التهديدات التي تعرضت لها إسرائيل في ١٩٦٧ ذات أوجه ثلاثة . ماولا — هناك التهديد العسكري ، الناجم عن بنية العرب الممنعة مرارا وتكرارا من عبور إسرائيل . وثانيا — هناك التهديد الاقتصادي ، وهو النشئ أيضا عن بنية العرب الممنعة من تدمير إسرائيل اقتصاديا أو شل اقتصادها . وثالثا — هناك التهديد التكنولوجي الذي إذا لم توقعه إسرائيل على العرب قد يصدون حملتهم المألح فيها .

ذلك كانت التجهيزات . فهل اشتمت في عام ١٩٦٧ على نحو
بمخيل معه تحاشي وتوقع الحرب ؟

ان ارتداد خطر ما ، لا يجعل من حق أحد الاطراف المعنية
بالضرورة ان يفترض انه لم يعد متقنيا سوى اتخاذ خطوة وقتئذيه
مباشرة ضد احتمال تزايد الخطر لمدي ابعد . لقد كان هناك خطر
متزايد من مشوب الحرب خلال المواجهة في كوبا بين روسيا وأمريكا ،
وكان هناك خطر متزايد خلال أزمة برلين . وأحيانا هناك خطر
متزايد بدرجة كبيرة من احتمال مشوب الحرب بين اليونس وبركيا
حول قبرص ، ومواقفه أخرى كثيرة تبعد الوسائل الدبلوماسية
فيها وقد اقتربت من الفشل التام ، وأكثر مما كان عليه الموقف بين
العرب واسرائيل عام ١٩٦٧ .

انني أعتقد بصفة عامة . ان قرار اسرائيل بدخول الحرب
في ١٩٦٧ لم يكن قائما على أسس ضحاجة او عدم ضحاجة الخطر
الذي تعرضت له في تلك المرة . اسي أعتقد ان القرار اعتمد على
ثمة مطلقة من جانب اسرائيل بأنها مستعرج من الحرب بوضع
الحصل من ذلك الوضع الذي وجهت نفسها فيه في مايو ١٩٦٧ .
لقد اعمد هذا على حساب محقول وموثوق به — بل وناكد —
من أنها مستعصر في العرب .

انما يعلم . أنه ما من حكومة مسؤولة لتدخل في حرب ما لم
تكن على ثقة معقولة من النصر ، او ما لم تكن تواجه الموقف البديل
وهو الهزيمة الكاملة دون اطلاق رسالته واحدة . وطبيعى ان
تقول اسرائيل انها كانت تواجه هذا الاحتمال نفسه في مايو ١٩٦٧
ولكن الاسرائيليين ترجوا على عدم التفرح من الاعتقاد بأنهم في
وضع يبدو فيه يتأوه القومي معرضا لخطر أعظم مما هو بالفعل ..
لقد سبب لهم ذلك موقفا يجدون فيه في كل مرة ان لا يخل من
اثنين : إما الهزيمة انفيه او النصر التام ، وذلك حتى ولو كان
الموقف أقل كثيرا مما يبدو .

لقد كانت المعادلة العسكرية بين اسرائيل وحيرانها ، تصورها
دائها كقولة صميرة مكونة من مليون ونصف مليون من البشر ..

تحيط بهم حلقة معادية تضم أربعين مليوناً من العرب كلهم تصميم على تدميرها ، أي سنة ٢٠ صد واحد ، لصالح العرب وضد إسرائيل . وقد يبدو هذا على الورق شيئاً مثيراً للأنفعال ، إلا أن التقدير العسكري للقوى النسبية للدول المختلفة لا يمكن أن يوضع على أسس عدد السكان أو حتى على أسس عدد الرجال المجهزين في القوات المسلحة بحسب .

إن جهاز الحرب في مورثه الشاملة ، أصعب كثيراً عند تقديره من مجرد الاعتماد على عدد السكان الإجمالي للدولة من الدول . إن تقدير مدى كفاءة الجهاز الحربي للدولة يسعى أن يتضمن القدرة الصناعية للدولة ، مثلاً يتنصّر بمها القوات المسلحة ومقدرتها على استخدام تلك المعدات ، وكذلك يعتمد على مدى كفاءة هيئة أركان الحرب في شؤون الإدارة ، من حيث قدرتها على الحفاظ على القوات المسلحة في حالة من الانضباط وحسن الاستعداد والنبويز من أجل المعركة .

وعامل آخر لا يمكن تجاهله ، وهو طبيعة الأرض التي يحتل إن تحرى عليها أية معركة ولعل أهم شيء أن يكون هناك هدف سياسي واضح لا عبوس فيه أمام القوات المسلحة نفسها . بالرغم التوسع في غضون الحرب ، إلا أن الجيش الذي يكون على درجة عالية من التنظيم والتدريب يسمح بها لخصوم أكثر عدداً وقوة أو كانوا يفتقرون إلى الحافز الضروري .

وعلى الورق . . يجد أنه على الرغم من عدد السكان ، على أنه الحرب التي تملكها إسرائيل ليست بأي حال بنسبة ٢٠ إلى واحد ضد إسرائيل ، إذا ما قورنت بما لدى العرب . ذلك أن إسرائيل تستطيع - في مدى السلم قليلة ما لديها من مظلم احتياطي بالغ الحقبة - أن تصح في الميدان جيشاً حقيقياً مدرباً قوامه ٢٥٠ ألف جندي .

وبغضلا عن استمداد أي قوة عددية ، فإن إسرائيل كانت لديها ميراث جغرافية وتكتيكية أخرى . فقد كانت لديها خطوط المواصلات

الداخلية والقدره على تحريك القوات بسرعة من حصة الى اخرى ،
والتيقيد المركزي التي لا تتعرض - كما هو الحال بالنسبة للعرب -
لحمله من التحيط والحصار في الطوارئ ، اراء الاوير المتعارضة
والمنادى المحتل في التوجيهات السلبيه من محتف الحكومات
المعينة . كما ان المصاعب الجغرافية التي تواجه من هجوم يرى
شديد مدعم على اسرائيل هي مصاعب ضخمة ، لانه كان ينبغي على
حطوط المواصلات المصرية ان تمتد وراء الجبهة عبر صحراء سيناء .

والى هنا . . غننى لم اثر معد الى قوة السلاح الجوي ، فالنفوق
المطلق في الجو كان دائما شيئا تعالط اسرائيل عليه في محاربتها مع
جيرانها العرب .

لقد حاولت حتى الآن . . ان اوضح ان فكرة تعرض اسرائيل
في اى وقت من الاوقات لخطر القتل في البحر هي مجرد أسطورة ،
حتى ببسطق الاحداث السابقة على حرب ١٩٦٧ . ولو اتحدا في
الاعتبار قدرة العرب على الادعاء بالاطل - على الأقل في دعينهم -
على من المهم مقاومهم امراء تقدر سوابهم المملة على ملائمتها . ان
اسرائيل تستطيع ان تفكك بوجود الرعية الرمية من جانب العرب
في ازاله اليهود في فلسطين ، والعرب انفسهم يمانون اسرائيل
في هذا الصدد من طريق ربح السمات الدعاية التي يعلمون
انهم هاجرون من تحقيتها . . ولكن الحصص الدقيق للموقف ينتم الى
اسرائيل لم تتعرض امدا لخطر خلد على وجودها ، وان الطريق
سوم يظل طويلا للوصول الى هزيمة اسرائيل وارالتها مائيا كتولة
حديثه .

وفي هذا . . كانت الاسرائيلية المعلقة للمصريين ، هي ان
ينزلوا اسرائيل عن طريق استئثارها لخطوط الخطوة الاولى وتصرب ،
في الوقت الذي يكونون مستعدين فيه لتلقى الصدمة . ثم يكون هم
ويبرلون بها ضربة قاصمة ، وكما نرى فيما بعد . . ما عيب هذه
السياسة هو ان القوات المسلحة المصرية على وجه الخصوص ،
لم تكن في وضع تستطيع معه تحمل الضربة الاسرائيلية لقد فشلت
مشكل محرز في (الاقلال الى الحد الاقصى من اتارها) . وكانت
هذه الاثر بخمرة الى حد انها لم تترك للعرب فرصة ثانية .

وعلى كل ، فلن هذه السياسة التي أعلنتها المصريون قبل حرب ١٩٦٧ كانت سليمة من الناحية النظرية .. بشرط أن تكون هناك النية ، ثم القدرة على تنفيذها .. ولكن يبدو أن المحادثات الإسرائيلية التي استطاعت أن تتعامل تلياً داخل دوائر الحكومات العربية ، قد خففت من أن القوات المصرية لم تكن حتماً على استعداد أن يكتفى لتعطية للسياسة المعلنة في الصحف .. ويحتل في هذه الدعاية قد تسلطت على القيادة الإسرائيلية ورحلت قرار العرب ، على المحاطرة بتحميل هزيمة نفسية تسمح بتطور الموقف أكثر إذا أصبح له المجال

التي هي ، ماضي حاولت أن أوسع أن الخطر العسكري النعطي على إسرائيل لم يكن وشيكاً في ١٩٦٧ ، سواء من ناحية تدمير إسرائيل أو من ناحية وقوع هجوم جوي على مدينتها . لقد كانت إسرائيل قادرة على تحطيم الفتح في ١٩٦٧ ، لأن المصريين لم يكونوا مستعدين لنصيبه ، لذلك .. فاني أعتقد أن العامل الحاسم وراء قرار إسرائيل بدخول الحرب كل مصر شك هلياً نفسها . أما أية اعتبارات أخرى تدعيها إسرائيل كسبب للحرب .. فإنها لم تكن تشكل أية خطورة في الموقف .

لقد جلبت الحرب الإسرائيلية مكاسب ثلثية عظيمة . ولقد بيّنت إسرائيل في نهاية الأمر أن لديها القوة الكامنة لشل المدافع العربية المحيطة بها . وأنا أعتقد - لذلك - أنه من غير الممكن - وخصوصاً بعد انتصار ١٩٦٧ - أن توافق إسرائيل على أي تسوية في المنطقة تتضمن خلا وسطاً لارضاء العرب . أن العرب والإسرائيليين يتكروا بمهجين مختلفين ، ولكن العرب لا يستطيعون شيئاً ، فتوة إسرائيل يصعب تحديدها . وما دامت إسرائيل ستحتفظ بقدرتها على الرد - وهو أمر سوف تضمنه لها دائماً الولايات المتحدة الأمريكية - وثانياً باحتفاظها بالحدود الحالية .. ففها لن تقدم أدء فازلات أسسها لحل المشكلة سياسياً .

أني أعتقد أن الإصصال الوحيد لتسوية عادلة للمشكلة بين العرب وإسرائيل ، يوجد في القرعة التي توأمت باستيلاء إسرائيل على الضفة الغربية لنهر الأردن . علاول مرة منذ عام ١٩٤٨ أصبحت فلسطين كياناً واحداً من جديد . وأنا شخصياً أرحب بفشل أية

نسوية قد تفصل مرة أخرى حرسى فلسطين ، لأننى لا أظن أن هذه النسوية ستقوم . ولذلك فأتنى أمل ألا تتم الموافقة على أية اتفاقية مركز فقط على مسألة هيلن ليس إسرائيل العسكري أو الاعتراف بها من جانب الدول العربية . والفردية المناهضة مرة أخرى هي أن معالج مستقبل فلسطين كاملاً ، لأننا من قبل كنا نقبل التقسيم المصطنع بين الأرض من ناحية ، وإسرائيل من ناحية أخرى ، الأمر الذى جعل للمشكلة اتجاهين لا يمكن التوفيق بينهما .

والواقع أن الحل المثالى . . هو اتفاقية دولة ذات خصبة مرفوعة في إسرائيل حيث تحتفظ الجماعة اليهودية بديناميكيتها دون أن يطمس عليها العرب ولا حتى الأغلبية العربية . وحيث يمكن إعادة توطين اللاجئين ومعالجة المشكلات الاقتصادية للمناطق المحتلة مشكلة مصادر المياه كمسألة واحدة في مجموعها .

ويبدو أن ليس هناك من الأسباب ما يحيل على الاعتقاد بأن العناصر المؤثرة في إسرائيل ستتمنى إذا أصبح هذا البلد جزءاً من دولة في الشرق الأوسط ، أو دولة ذات خصبة ثنائية أو حتى دولة عربية تضم أقلية يهودية . فبعد فترة جبل أو هيلن ، ما التطورات المصرية تسمى باليهود الشرقيين والعرب معاً سيفوتون اليهود الترحيل من أوروبا عدداً .

وأما لا أرى في الأفق القريب صورة اتفاقية ذات قيمة يمكن بواسطتها منع حدوث أزمة أخرى . كل ما استطعنا هو أن نأمل ألا تكون هناك أزمة أخرى . . وسندو أن احتمال بقاء التوتر طوال الحقبة القادمة ، هو الشئ الواضح الذى يتم دفعه لاحتمال أن يجد العرب في نهاية الحقبة أن إسرائيل قد تحلت من طلبها الصهيونى باستيعابها الأجاري لمثل هذا العدد الكبير من السكان العرب .

چوندا ماسٽر

متأليف: ماري ميروكين

هذا الكتاب ..

وهذه القراءة

. حتى لو كمل التاريخ يصعد نفسه عملا ، فلا يمكن أن يتم ذلك إلى هذه الدرجة . أن هذا الكتاب يشرح بالتفصيل في أحد فصوله ، قصة المفاوضات السرية بين جولدا مائير والملك عبد الله ، والتي أجراها الملك الأردني من خلف ظهر الدول العربية لتحقيق أطباعه الخاصة على حساب العمل العرس المشترك . ومن المثير للسحرة في هذا الكتاب .. أن مريطانيا هي التي صممت على ملك الأرض لكلا بستر في مشروعه المشترك مع الصهيونيين ، لأنها — باعتبارها حامية له — لا تريد أن « تحرق » أمام العرب . وبعد ٢٤ عاما تكررت الأحداث نفسها ، بين حبيب الملك عبد الله هذه المرة (حسين) ومائير جولدا مائير (أيجال ألون) .

أن هذا الكتاب له أهمية كبرى من هذه الزاوية . وله أيضا أهمية أصانية من حيث أنه يكتب عن أسلوب تفكير وعمل ونظور واحدة من رعايات الصهيونية الحالية في إسرائيل . وأخيرا .. طاب الكتاب يشرح لنا كيف تقدم إسرائيل رعاياتها إلى للرأي العام الأمريكي .. مسطوق لأمريكي .

ومؤلفة هذا الكتاب ، هي (ملري سيريكن) يهودية صهيونية ، تحمل حسية مردوخه : أمريكية وإسرائيلية . أنها سديقة وربما قديمة لجولدا مائير ، وكانت هي المسئولة عن تشغيل أول محطة إذاعة سرية متنقلة أقامتها المنظمة الصهيونية في فلسطين قبل حرب ١٩٤٨ بفترة وجيزة ، حيث تولت الإشراف على الإرسال

باللغة الانجليزية . وقد صدر الكتاب بعنوان « جولدا ماتير » واعيد طبعه في أمريكا اكثر من مرة .



كانت الحرب على الأتواب !

انها الحرب .. التي ستقرر ما اذا كان ممكنا قيام دولة يهودية في فلسطين أم لا . وهي الحرب التي أصبح من المحتم أن تنتهي بمجرد أن ينتهي انداد بريطانيا على فلسطين رسميا في 15 مايو سنة 1٩٤٨ .

وفي هذه الظروف .. اتفق الزعماء الصهيونيين في فلسطين على قرار واحد : اجراء مفاوضات مع الملك عبد الله ملك الأردن . لفتح نفرة في التحالف العربي المنتظر . قرار ثان : أن مهمة المفاوضات الجديدة — والسرية جدا — ستقوم بها جولدا ماتير ، رئيسة الادارة السبيلية في اتحاد العمال اليهود بفلسطين ، وهو المركز الرئيسي للمنظمة الصهيونية في فلسطين .

كان السبيل الوحيد ، الذي لا يزال يفتح على اليهود اكتشافه ، هو ما اذا كان بالإمكان اقناع « عبد الله » ملك الأردن بدعم الانضمام للعرب . وقد كانت هناك مخاوف ودية بين الملك عبد الله واليهود في مسائل سابقة .. وقد أعرب الملك علنيا عن تأييده لليهود اليهود الصرائونية في فلسطين مرات عديدة ، كما أنه دعا الى التوصل الى تسوية بين العرب واليهود بوسائل السلمية .

وحينما بدأ في شهر نوفمبر عام 1٩٤٧ أن الأمم المتحدة على وشك الموافقة على قرار التقسيم ، عقدت « جولدا ماتير » اجتماعا سريا مع الملك عبد الله في مرل « مجلس روتنجرج » الواقع على مقربة من محطة الكهرباء في « بحاريم » بالأردن ، وكانت المحادثات بينهما ودية . لقد أكد عبد الله أنه لن يشارك في أي هجوم بشبه العرب على اليهود . وأوضح أنه اذا وافقت الأمم المتحدة على قرار تقسيم فلسطين ، فله مبصم الحرة العربي الى مملكته ، ووعد بتبادل مشاعر الصداقة مع اليهود .. وتحدث بلطفانة عن

هوة الدول العرسه المجاوره ، وجكر ان ملتى فلسطين هو المحدثو المشترك .. واكد لحوادا مثير انه سيقبل قرار التقسيم بكل سرور . واستتت المقاتله بقتماقهما على عقد اجتماع ثلن بعد لى توافق الأمم المتحدة على قرار تقسيم فلسطين

وعلى الرغم من هذه التاكيدات .. مقد كانت هناك مقطنان اثارتا قلق « جولدا » . لقد سالها الملك عبد الله عن موقف اليهود من اقتراح يقضى بلى تقسيم مملكته دولة يهودية ، وعندما تلقى على الفور ردا سلبيا اسقط الموضوع ، ثم اهرى بعد ذلك عن أهله لى الا تكون الدول العربيه من الصغر بحيث تسبب له الاحراج .

ولم يتم اجتماع ثلن بين الزمعيين — كما كان مقتررا — نظرا لاضطراب الاحوال ، ولكن الاتصال ظل قائما مع الملك عبد الله . لقد تم تبادل المعلومات بينهما حول مخبة القدس التى حارص الحانسان فكرة تنويلها . وجيبا اشترت الشائعات بلى عبد الله على وثك الانصلم للدول العربيه ، بحثت اليه جولدا مثير برسالة تسأله فيها ادا كان انعامها لا يرال مارى المعمول أم لا ؟ ومثل رسول من الملك عبد الله ردا مطمئنا الى « جولدا » لقد طلب منها عبد الله لى متكر ثلاثة اشياء

- ١ — انه رجل بدوى يحافظ على كلبته .
- ٢ — انه ملك .
- ٣ — ان الوعد الذى يقدمه لامراء لا يمكن انتهاكه .

وعلى الرغم من هذا الثالث الروماتسى ، مصرعان ما حدث البدوى بوعد . وانضم عبد الله للدول العربيه . وعلى الرغم من انه لم يعد باقيا سوى مصيص حنبل من الابل ، فقد تقرر ان تحاول جولدا مثير اهرء مقابلة ثقبه مع الملك .

وقبل ان تقوم « جولدا مثير » بمحاولتها الثانية للاتصال بالملك عبد الله بفترة تصير : وصل مدفوف معه للبحث فيها ادا كان اليهود على استعداد للتفوز له من جزء من المنطقة ، التى

أصبحت تابعة لهم وفقا لقرار التقسيم الذي أصدرته الأمم المتحدة،
لقد استند الملك إلى أن مثل هذا التنازل سيؤدي من هيئته في
العالم العربي ، لأنه سيحصل على مناطق أكثر من تلك التي
خصصتها الأمم المتحدة للعرب أيضا . ووقتها قيل للرسول أن
هذا الاقتراح غير مقبول ، ولن يعطى اليهود عن أي منطقة من
دولتهم . وقيل له أيضا أن الحدود التي ترتبها الأمم المتحدة
لن تصبح حارية المفعول إلا إذا استتب السلام ، ولسوف يقاتل
اليهود في حالة وقوع حرب للحصول على أي منطقة تصل إليها
ليديهم .

وعلى الرغم من هذا الحديث المتبادل .. الذي لا يبحث على
التنازل ، فقد ساد الاعتقاد بأنه من الأفضل بدل محاولة أخيرة
للحيولة دون نشوب عدوات مع العرب .

وهكذا امتد الاحتجاج الثاني بين « جولدا مائير » والملك
عبد الله في الأسبوع الأول من شهر مايو عام ١٩٤٨ .

لقد رفض عبد الله في هذه المرة .. أن يذهب إلى « بحاريم »
لقد كان هناك خطر من أن يذهب إلى الحدود اليهودية ، إذ كان
من الخطورة البالغة بالسمة له أن يقترب من الحدود اليهودية ،
لأن إنشاء الاحتجاج السابق تسربت ، لهذا كان لابد من اتخاذ
إجراءات أمن غير عادية .

واقترح الملك أن ترندى « جولدا » ثياب امرأة عربية ،
وتذهب إلى عمان . وهكذا طارت « جولدا » من القدس إلى تل
أبيب لمقعد احتجاج مع س حوريون تقرر خلاله الاتصال بالملك
عبد الله .. ولم يكن يعرف بحبر هذا الاتصال سوى ثلاثة أشخاص
في البلاد . واستمر الرأي على أن يصحب « جولدا » رفيق واحد ،
هو « مرزا داتين » ، المشرق اليهودي الذي ولد في يافا ..
والخبر في الشؤون العربية .. لكي يقوم بدور المترجم لها

لقد تم الالتقي على الاحتجاج مع عبد الله يوم ١٠ مايو ،
وعلمت « جولدا » و « داتين » تل أبيب قاصدين حيفا ، حيث

حصلت جولدا على نيل امرأة عربية وخيار وغير ذلك من المستلزمات .. وتدرجت على التحرك بصورة متقدمة في هذه الثياب العربية الفضفاضة ، واتحها من حيفا الى ناصرة ، ولم تكن جولدا قد ارتدت الثياب العربية بعد ، وعبر السياره التي كانت يستقلها عدة مرات حتى يظل مقدمهما في طي الكتمان .. !

وكان الملك قد ارسل سياره الى « ناصرة » لتقل المبعوثين اليهوديين الى عمان . وحينما حل المساء .. ارتدت جولدا ثيابها العربية وحملتها وبدأت الرحله الى عمان . وكانت المجموعه المسافره تأمل في حجب الفيلق العربي (الجيش الاردني) الذي كان حراسه مرتبطين على الحدود بفنمل . ولكن اذا حدث واقعهم الحراس من « داني » - مرافق جولدا - لم يكن ليجد صعوبة في المرور لانيته المتمرد كرجل عربي ، نظرا لتحمكه في اللغة العربية .. ولعرفته الوثيقة بمعدات العرب .. ومع هذا فقد كانت « جولدا » تطول واسفل وربما من المراء العربية العائيه .

وعلى الرغم من انه كان موسعها الانكماش في مكانها في حضوع وهذوء اثناء الظلام .. الا انه كان يتحين - اذا ما اوقفها الحراس - ان يحرصا على عدم توجيه ايه اسئلة اليها ، كما انها وضعا ثيابها في نقاليد العرب التي كانت تحرم لمس امراء عربية .

ول اثناء الرحله التي استمرت عدة ساعات .. توقفت السياره عشر مرات للتحقق من شخصيه ركبها بدون ان تقع اية حاجته . ولم يذهب المسافر جولدا الى « قصر الملك » ولكنه اوصلها الى منزل احد اسقاء عند الله الاعياء الذي كان يتق فيه نمايا . ووصل الملك قبل بضعه وقت طويل . ومدا عليه الود .. ولكنه كان مكتئبا وعصيا .

لقد اعادت جولدا على لسماع الملك خلال الساعه التي استمرتها الاجتماع ، الوعد الذي قطعه على نفسه في شهر نوفمبر . ولم يبذل الملك عند الله اية محاولة لتكرار تعهده ، ولكنه اضاف ان

الموقف قد نمر . وقال أنه كل من يعتقد بذلك أنه حر التصرف .
ولكن الظروف لم تسمح له بمثل هذه الحرية .

كانت لهجة الملك تدل على أنه يشير إلى التوجيهات
البريطانية . ومع هذا كان الأمل لا يزال يراوده ، بأنه يمكن تجنب
الحرب رغم سحر الوقت . . بشرط ألا يعطى اليهود إنشاء دولتهم ،
ولن تقوّف الهجرة إلى فلسطين لمدة سنوات قليلة . وأوضح
الملك . . أنه سوف يستولى على فلسطين بدون تقسيم ، ويسمىها
إلى الأبد بعد عام واحد بحيث يسمح للطائفة اليهودية أن يكون
لها ممثلون في برلمان بلاده .

ووعده الملك بأن يعامل اليهود معاملة طيبة ، تثبت مع آرائه
الليبرالية ، وأنهى حديثه بالتمريح بأنه يرغب بحق في استمرار
السلام ويأسف للكارثة الحتمية الذي ستعرض له مجتمعات
اليهود العظيمة في مجال الزرامة والصناعة إذا ما اندلع لهيب
الحرب ، وأعرب من أهمه للسبب الذي يحقوهم المحطة في إنشاء
دولتهم .

وأخاته « جولدا » « ديفيد » . . بأنه من المفسر وصف شعب
ظل ينتظر مدة الس عثم بالمحبة . وربما كان اليهود في غلبة
الصبر . وأشارت « جولدا » إلى أن علاقات اليهود بجلالته كانت
ودية دائماً ، وأنها قد عبت بمعارضتها للبني . . عدها
المشترك . وقالت جولدا إن اليهود حققوا انتصارات خلال الحصة
أشهر الماضية ، بينما قوة النفس في اضطلال ، كما أن اليهود
صنوا المعبرين على اعتبارهم . وصرحت « جولدا » بأنه من الممكن
التوصل إلى تفاهم إذا ما تمسك عبد الله باقتراحه الأصلي . .
الذي يقضى بضم المنطقة المحصنة للعرب ، حيث أصبح اليهود
أكثر قوة من بضعة أشهر ولن يترددوا في القتال إذا تعرضت عليهم
الحرب في أي مكان ويقضى قذراتهم .

ولحظ الملك عبد الله على هذا القول بأنه يدرك أن اليهود
سيضطرون إلى رد أي هجوم يتعرضون له ، ولا شك في أنه يريد
حقاً وبإخلاص تمديد اقتراحه الأصلي ، ولكن هذه أشياء حدثت بعد

ذلك الحين ، لقد ألهمت حادثة « دير ياسين » مشاعر العرب ، وبالإضافة إلى ذلك .. « فأتى كنت بممردي صيداك . ولكنى الآن واحد من خمسة . ليس لمانى خيار آخر ولا يمكن أن أنصرف على نحو مختلف » .

وتوسل الملك إلى « جولدا » مرة ثانية .. من تدعو حكومتها إلى إعادة النظر في الأمر . وأعلن أنه إذا وصله رد مقبول في 15 مايو فإنه سوف يجرى مشاورات مع المعتقلين العرب للحفاظ على السلام .

وعندما طالبت « جولدا » و « داني » « سرامة » .. أن يفكر أن اليهود هم أسقلاؤه الوحيدون ، ألما برئسه وأجاب قائلا : « انس أعلم ذلك جيدا ، وليس لدى شك في معرفتي بكم وفي أهليتي سواءياكم الطيبة ، وأعتقد بكل حوارى في الله أملاككم .. أنا أعلم كل هذا وأؤمن به باخلاص ، ولكن الظروف صعبة ولا يجرؤ المرء على اتخاذ خطوات متهوره . ولذلك أطلبكم مرة أخرى الترام الصبر » .

وأجاب « جولدا » على حديثه هذا بقولها : « ليست لدينا أية رخصة في مصيل جلالتك .. ونحن نرغب في أن نوضح لك تباب أنه لا يمكننا حتى مجرد دراسة اقتراحك . ولنا يؤيد هذه الصلة أى من مؤسساتنا أو حتى عشرة من اليهود الذين يقتسمون ماى نفوذ وموسمنا أن مرد عليك في الحال .. بل جلالتك إذا أدركت ظهورك لاتفاننا الأسلى وأرقت الحرب بديلا .. نستكون هناك حرب . وعلى الرغم من الصعوبات التى تعرض طريقتنا ، إلا أننا نؤمن بانتصارنا وربما تقللنا ثمانية معد الحرب ، حيفا تكون هناك دولة يهودية » .

وتحول عبد الله إلى « داني » « مراقى » جولدا » .. وتحدث معه بلهجة أبوية ، وطلب منه - بوصفه مستشارا - أن يؤيد موقفه ، وقدم إليه « داني » أيضا بعض النصيح ، وذكر عبد الله بأنه ليس لديه أسقلاء حقيقين في العالم العربى ، ولكنه يمتد على ديبليات الفيلق العربى منأما كلل الفريسيون يعمدون على خط ماحيوا ، ولكن اليهود سيمطون هذه الصلطات .

وقد جرى « دائين » على أن يشرح على الملك بأنه ربما يكون الوقت قد حان لإنهاء المعاداة القديمة الحبيطة التي تقضى بالسماح لرملياه بتقبيل يده أو أطراف ثيابه ، وذلك لأن سكان المدن يحتفلون عن رجال القبائل من البدو ، ويحب على الملك أن يكون أكثر يقظة فيما يخص مصالحه نفسه من الاعتقال .

وامتعت المقابلة والملك لا يكف عن الإعراب عن أسفه للدماء التي سترأى ، وقد تركت القذلة انطباعاً لدى « جولدا » و « دائين » بأن عبد الله لم يكن سعيداً أو يسير بالثقة ، وبأنه لم يكن يريد القتال ، ولكنه كان متورطاً للغاية في روابط مع العرب والبريطانيين بحيث أصبح من الصعب عليه التخلص نفسه .

وبعد أن صدر الملك المثل أمد الصديق العربي المعاداة ، وصحت روحته « جولدا » لمساعدته مكتبته . ثم أن الأولاد لبدء رحلة العودة المحفوفة بالاحطار .

وفي طريق عودتهما كان بمخبرهما رؤية مصكر « الفرق » حيث كانت القوات العراقية محشدة فيه بالفعل . وقد انارت كثرة عدد بطق المراقبة ، التي كان عليهما اجتيازها ، خوف السائق العربي الذي قرر أنه من الخطورة بمكان . . تيلدة العربية التي « محاريم » ، وقد ترك مكانه في القتل على جمعه ميلج من الحدود . وكانت المساعدة الثالثة صباحاً ، كان الوصول إلى « محاريم » يستغرق بمصمصة مشرط إلا بضلاً طريقهما ولم تكن « جولدا » و « دائين » مسلحين ، بل أن جولدا اعترفت بعد ذلك بأن الحوب قد ساورها ، ولم يكن هناك أمل برجس في بقاءهما على قيد الحياة إذا اعترض الحراس طريقهما ، ذلك لأنه ليس من عادة السيدات العربيات الفاصلات السير الهويثا عبر النلال في منتصف الليل ! ومن حسن الحظ . . أن ثابلهما أحد جنود « المباحثات » من محاريم كان يبحث عنهما . وكان الظلام دامساً بحيث نذر على جولدا التعرف عليه ، ولكنه رآها بعد ذلك معاً وتم لها نفسه على اعتبار أنه الرجل الذي قادهما عبر النلال .

ان جولدا مائر ، التي تلبت بهذا الحور الاسمائي ، قبل سنوات طويلة من وصولها الي منصب رئيسة وزراء اسرائيل — كتبت تقويم في الواقع بهمة سرية لا يعرفها الأمريكيون حتى الان .

ولا يمكن للامريكيين ان يتخلوا عن اهتمامهم الشديد بمسائل مائر كواحدة منهم ، اذ انها تمثل في نظرهم لوما ححدا وحداشا من قصص النجاح الامريكية . فقد نشأت بمير مائر في ولاية « ميلووكي » ، وعملت كأمينة مكتبة ومدرسة . والروس ايضا ذكرياتهم ، اذ تمكنت هذه المرأة . . التي نكره وضع الاسباع على وجهها او طلاء شفتيها كأي امرأة سوفيتية من الطرار القديم وهي تمشط شعرها من منتصف رأسها وتلفه حلف عبقها — تمكنت من اثارة اهتمامهم عام ١٩٤٨ حينما ذهبت الى موسكو كاول وزير مفوض لاسرائيل في الاتحاد السوفيتي .

ان « جولداماير » هي الوحيدة من الزعماء الاسرائيليين البارزين من جبل الرواد التي حانت من امريكا ، بينما هي ولدت أصلا في مدينة « كيبين » السوفييتية الواقعة جنوب غرب روسيا في ٣ مايو سنة ١٨٩٨ . وكان معظم يهود روسيا يعيشون داخل نطاق « مناطق الاستيطان » ، وهي الاحياء الروسية التي كان يسورها لليهود بالعيش فيها في عهد القيصرية . لقد كمل انوها — واسمها « موشي ماموفيتش » بميل مجارا وصانعا للأثاث الفاخر ، ولم يبق على قلب الحبة من ايمانها الثابتة سوى ثلاثة هم « تسليتا » كبراهم ، و « جولدا » وشقيقة تمفرها تدهي « زيورا » .

وقد ترك « موشي » روسيا بمفرده في عام ١٩٠٢ ، وهو يرمع ان يرسل لزوجته واطفاله — حينما يستتب له الامر — كي يلحقوا به . وقد حدث هذا أخيرا في سنة ١٩٠٦ ، حينما وصلت من الاب التذاكر اللارمه لكي يلحقوا به في الولايات المتحدة ، التي قرر أخيرا ان يستقر فيها ، بعد ان ترك « بيومورك » واستقر في مدينة « ميلووكي » الامريكية .

وعندما انتهت « جولدا » من دراستها الابتدائية ، وارانفت الالتحاق بالمدرسة الثانوية لكي تعمل مدرسة بعد ذلك ، رنصت

أبها .. فقررت « جولدا » الهرب . وفعلًا هربت سرا وسافرت لتقيم مع أختها « شانا » التي تقيم مع زوجها في مدينة « دنفر » الأمريكية .. حيث التحقت هناك بالمدرسة الثانوية . وبعد هربها بحد بسيط ، وصلها خطاب من صديقة لها قالت فيه « أنك تالبتني عن رأي من يعزموك في ميلووكي في حادثة هربك . والحقيقة التي لا أريد بها أن تؤدي مشاعرك هي أن الجميع يعتقدون أنك هربت مع شاب يطلق » .

وحبها أوشك العالم الأول « لجولدا » في « دنفر » على الانتهاء ، كانت جولدا قد ضاقت فرعا بسبب قيام شقيقتها بفرض وصايتها عليها . وفي إحدى الأمسيات ، وبعد شجار حاد بين الشقيقتين ، ظالت جولدا « هانا سوف أعادر المنزل » .. وانصرفت حيث استأجرت غرفة مع إحدى العائلات اليهودية في دنفر ، بينما تركت الدراسة لتعمل . وأخيرا عادت إلى « ميلووكي » لاستئناف دراستها هناك بعد أن تأجلت لفترة طويلة ، بحيث تخرجت بعد عامين في المدرسة الثانوية والتحقّت بدور المعلمين الابتدائية .

وحتى ذلك الحين .. لم تكن فكرة الصهيونية قد جذبت انتباه جولدا ، بالعمل . ولكنها بعد قليل بدأت تشرى في الحملة التي بدأت لاثارة يهود أمريكا وحملهم على التفرع بأموال كثيرة لليهود الذين سلبوا ما يمتلكون في الدول الواقعة فيها وراء البحار .

وفي سنة 1915 انضمت جولدا رسميا إلى « بوعالي صهيون » أي عمال صهيون .. ذلك الحرب الصعير الواسع النفوذ الذي يقيم في معظمه العمال الصهيونيين الذين يتحدثون باللغة « اليديشية » ومن بين سماتها الميزة .. أنها لم تنضم تنظيميا إلى هذا الحرب إلا بعد أن التزمت بمضمونه سنة شخصية . وقد اختارت الانضمام إلى العمال الصهيونيين بدلا من الانضمام إلى منظمة « بادرنا ٦ » التي أنشأتها سيدها أمريكية أكبر منها مما تدعى « هرييتسا رولد » لأن برنامج حرب عمال صهيون ككل يدعو إلى انضمام كومنولث هانك في فلسطين .

وفي هذا الوقت .. وصلها خطاب من « موريس بيرسون » وهو أحد المهاجرين الروس الشبان ، الذي تعمرت به جولدا في منفى ولحبته هناك . ان انضمام جولدا الى حزب عمال صهيون ادى الى تعقيد حياتها الشخصية في هذا المجال ، نظرا لان موريس الذي ارتبطت به لم يكن صهيونيا . وقد اوضح لها ذلك في الخطاب الذي ارسله اليها من « منفى » حينما كتب يقول « لست امرت ما اذا كنت سعيدا حقاً او اني لشعر بالاسى لانضمامك للحزب الصهيوني . ولأنك تدين وطنية متحمسة . ان فكرة خلق دولة يهودية في فلسطين او في منطقة اخرى تبدو سحيقة في نظري . وقد وصلتني منذ عدة ايام دعوة لحضور أحد الاجتماعات المخصصة لهذا الغرض ، ولكني لم احضر لاني لا اناهي بوجه خاص بما اذا كان اليهود سيتعرضون للمعاب في روسيا او في الارض المقدسة » .

وحيثما تبعها موريس بعد قليل الى ميلووكي ، اوضحت له جولدا انها لن تتروحه الا اذا صحت الى فلسطين . لقد قررت جولدا الذهاب الى فلسطين لكن تصبح عضوا في الكيبوتز — أو المستعمرة المحلوبة — التي كانت تقوم باستصلاح مستنقعات « عيك » أو وادي « ارور الندي » . وكنت قد اتخذت هذا القرار قبل صدور وعد بلفور بعاميين . وفي وقت كانت فكرة إنشاء وطن يهودي في منطقة فلسطين الفاحلة التي على الانكراك يسيطرون عليها ، تبدو هائلة تماما .

وكانت المناقشة تدور وتنتد حول ما اذا كان يتعين ان يتعلم اليهود اللغة « العبرية » أو اللغة « البديشية » . لقد استقر الرأي في فلسطين منذ البداية على اللغة العبرية ، ومع هذا . كان الصهيونيون المال يمانون في الولايات المتحدة يتعلم اللغة البديشية على أساس انها اللغة الفعلية للطبقة اليهودية العاملة . وعليه ، فانها افضل من اللغة المقدسة الميتة ، وهكذا ظلت لغة « جولدا » البديشية أكثر غرارة وطواعية في الاستخدام من اللغة العبرية التي تعلمها بعد آن في فلسطين .

وفي هذا الوقت .. قابلت « جولدا » الرجل الذي كان من المفروض ان يترأس كثيرا عبيقا في تطورها المسلسل ، والذي سوف

مصل معه كشرىك وثيق الصلة في الكفاح المشرك . وقد وصل « بن جوريون » الذي كان يطلع من العمر ثلاثين عاما حينذاك الى لبريكا في عام ١٩١٥ برتبة صديقه « لاسحق بن زي » بعد أن استغتهما الحكومة التركية عن فلسطين بنهمه تدبير مؤامره صهيونية . ولم يحظ بن جوريون بمقدار كبير من الاهتمام خلال رحلته الأولى لأمريكا . بل أنه حتى حركة الصهيونيين الأمريكيين وحدث في هذا اليهودي القادم من فلسطين ، وفي آرائه المتطرفة التي تنادي « بالعودة الى الوطن » سحنا غريبا وغير مهذب . وكان تلاميذه الوحيدين هم أعضاء حزب عمال صهيون الذين ينتمون في معظمهم الى الطبقة العاملة .

وفي هذه الفترة . . ترك « جولدا » دار المعلمين الإبتدائية بطروكي وعملت كأمينه مكتبة وبدأت تدرس وقتها كله ، خارج عليها ، للحركة الصهيونية المثالية ، وكان المرتب الذي تحصل عليه من الحرب أقل كثيرا حتى من المرتب الموضح للخدمة ولأبيه مكتبه . ولكنها تكتت من أن تدبر شئون مبيتها بالخدمة عشر دولارا التي كانت تحصل عليها لسبوعيا من الحرب .

وكانت هناك مشكلة أخرى يتعين على جولدا حلها في الوقت نفسه تقريبا ، ماذا كان « موريس » لا يزال مصرا على رفضه الذهاب الى فلسطين بعد الحرب ، فلماذا من قطع علاقتها . وعلى الرغم من عدم اقتناع « موريس » . . إلا أنه استسلم لرغبة جولدا ، ووافق على السفر الى فلسطين . ولم يكن هناك أي مجرر آخر للتصريف في عقد الزواج الذي طالما ألح لآتمليه . وتزوج الاثنان في ٢٤ ديسمبر سنة ١٩١٧ .

وقبل هذا التراجع بأشهر قليلة . . كان قد صدر وعد بلفور . وقد أدى صدور وعد بلفور في سنة ١٩١٧ الى تحويل الصهيونية من مجرد حلم غامض الى واقع سياسي . وكانت بريطانيا العظمى قد وافتت في النهاية — قبل صدور الوعد بمدة أشهر — على تشكيل وحدة عسكرية يهودية حاملة — هي الفيلق اليهودي — للقتال من أجل تحرير فلسطين مع الكتائب الملكية البريطانية . وبعد تحول أمريكا الحرب سمحت الحكومة الأمريكية بالفجيد في

العلاق اليهودي . الذي سطوع فيه عدد كبير من الصهيونيين
المعاليين . وعندما شارفت الحرب على الانتهاء ، قررت جولدا
تكريس نفسها كلية لمعالجة مشكلة تحول فلسطين . وهكذا انجرت
هي وأختها الى فلسطين في ٢٢ مايو سنة ١٩٢١ - بالبحارة حتى
الاسكندرية ، وبالقطار من الاسكندرية حتى تل أبيب .



في السنوات الاولى لجولدا في فلسطين . . كان لابد عليها
أن تعمل وفقا للبرامج الكامل للصهيوني المعالي ، وهو برنامج
يتطلب انخازه الانضمام الى عضوية مستمرة لمصوبية زراعية .
وبمعنى آخر الى عضوية الكيبوتز ، وكل المستوطن القوي اليهودي
قد قام في ١٩٢١ بشراء احرار كبير . من الأرض في وادي عريريل
المعروف باسم « عيبك » ، وكل الاقليم ملئ بالمستقلمات وتنتشر
فيه حتى المالريا وهي الول الاسود ، وكل ينمي تخفيف هذه
الأرضي . وهكذا اجبرت جولدا أن تقيم في كيبوتز « بيرحافيا »

وحينما وصلت جولدا الى بيرحافيا مع زوجها موريس ، كتبت واحدة
من ساني مساء بين افراد الكيبوتز المانع عددهم اثنين وعشرين
رجلا . وسرعان ما بررت جولدا في الكيبوتز . وفي غضون ستة
اشهر . أرسلت لتتلقى دراسة حلصة في علم تربية النعاج . وبعد
موتها أصبح البيض الذي تصمه الدواجن تحت اشراف جولدا
مخصصا للبيع ، واستثمر نموه في تحسين حال الكيبوتز .

في خلال سنة ، أصبحت « جولدا » متقوية الكيبوتز في مجلس
المستدروت الذي شكل حديثا ، وهو بقية العمال اليهود في
فلسطين . ولم يكن المستدروت - الاتحاد الصام للعمال اليهود
في فلسطين - نقابة عمالية عادية تهتم أساسا بالأحوال المعيشية
لأعضائها . وقبل اقلية للدولة في فلسطين ، كان المستدروت
مئانة كومبولت معالي . وبعد البداية . . والمستدروت يعتبر نفسه
وكالة عمالية للقوطين تنحصر مهمته في جذب المهاجرين الطلائعيين
ومساعدتهم على استيطان فلسطين . ولم يكن هناك أي عزم
ضروري لتنمية البلاد يخرج من احتضانه . وحينما كان أصعب
المشروعات الحاصلة يخشون من الاقدام على تنفيذ مشروعات
تطوي على محاطرة أو تعتبر غير مثمرة ، كل المستدروت يقدم

رأس المال اللازم واليد العاملة المطلوبة من خلال مؤسساته
الائتمانية وشركات التأمين التابعة له . وكانت شركة البناء التعاونية
وقسمي « مولييل بوبيه » تقوم بشق الطرق في الصحراء ، وهي
عملية لم يكن أي مقاول خاص على استعداد للقيام بها ، ولم يكن
أعضاء المستعرون وأسرهم لا يمتلكون موط أكثر من ٢٠ إلى ٤٠ في
المائة من سعة السكاني اليهود ، ولكنهم كانوا أيضا نشط العناصر
في البلاد .

هكذا أصبح المستعرون مثله أداة لتحقيق حلم الصهيونية في
فلسطين . وكان معنى عضوية المرء في اللجنة التنفيذية للمستعرون
في عام ١٩٢٤ أنه في مقدمه الكفاح الصهيوني اقتصاديا كأي أو
سياسيا ، خلال الأعوام المصرية التالية .

إن هذا هو ما حدث فعلا بالنسبة لجولدا ، التي بدأت عملها
في المستعرون بتنظيم الإدارة السياحية التابعة له ومبعتها الترحيب
بالزوار المرموقين ، التي لن أنتجت لعضوية سكرتيريه النحبة
التفهدية للمستعرون . . وبطول عام ١٩٢٦ أصبحت مسئولة
عن كالة برامج المعونة المتبادلة للمستعرون ، كما أصبحت رئيسة
مجلس إدارة « كريات حويليم » - أو صندوق العمل المرمي .
وسعد لفترة قصيرة . . أصبحت مديرة للإدارة السياسية في
المستعرون وتم إرسالها في عام ١٩٢٧ إلى الولايات المتحدة لظلمة
إلى جميع الفروع لساء ميماء خاص لليهود في تل أبيب

سافرت جولدا إلى أمريكا وسط موجة من الاضطرابات الدامية
اندلعت في فلسطين سنة ١٩٢٦ بين اليهود والعرب . وعادت
لتصبح وسط الملتقيات المنعقدة بين اليهود الصهيونيين أنفسهم
لقد أدى الكتاب الأبيض الذي أصدرته بريطانيا سنة ١٩٣٩ إلى
وضع حد للأمال التي كانت تتطلع نحو إنشاء وطن قومي لليهود .
لقد أسفرت الملتقيات بين الصهيونية عن اتجاهين أساسيين ،
الأول يزعجه « حفييم وأيرمال » اليساري الصهيوني الذي لا يريد
اتباع العنف ضد بريطانيا ، والثاني يزعجه « بن جوريون » . ولقد
قال بن جوريون « يسمى أن يتصرف اليهود كما لو كنا دولة
في فلسطين إلى أن يتم إنشاء الدولة اليهودية » . لقد انضمت

جولدا الى بن جوريون . وحينما شمت الحرب العالمية الثانية كس السعار الذي رفعه بن جوريون وآمنت هي به هو « سوف محارب الكتاب الأبيض كما لو كانت الحرب غير قائمة ، وسوف محارب العدو المشترك (العرب) كما لو كلى الكتاب الأبيض لا وجود له » .

هكذا ظلت السيلة الصهيونية في فلسطين أبلى الحرب . وحينما انتهت الحرب العالمية الثانية .. بدأ الصهيونيون يركزون على خلق المناصب لبريطانيا في حدود هدف نهائي ، هو إرغامها على الانسحاب من فلسطين باعتبارها سلطة الانتداب . وفي ١٤ أيار سنة ١٩٤٧ أعلنت بريطانيا أنها ستعرض المشكلة برمتها على الأمم المتحدة . وعندما أثير مشروع تقسيم فلسطين بين اليهود والعرب انقسم اليهود الى تيارين ، تيار مؤيد لمشروع التقسيم وتيار معارض ، وخلال فترة قصيرة أصبح لاند من أن ينضم الجناح المتطرف . وهما أصبح على الرعايا المسيحيين والعسكريين للملائمة اليهودية أن يقوموا بتشكيل جهاز لمواجهة أهواء الحرب الحديثة . وشام عدد كبير من المعوثي مالمس الى نيويورك لمحاولة جمع الأموال المطلوبة من اليهود الأمريكيين . وعاد المسنون من رعاية الوكالة اليهودية من أمريكا بجر أيدل الحبية ، وأوصح للرعايا الصهيونيين أنه من الأمور غير الواقعية أن يتوقع يهود فلسطين أن يمنع اليهود الأمريكيون مطلقا يتراوح بين خمسة وسبعة ملايين دولار .

لقد كالى هذا التقرير مؤسسا ، فإذا تصدر شراء الأسلحة والحصول على الأموال للحفاظ على قوة الجيش ، أدن فقد ساعدت الحرب وساعدت الدولة اليهودية . لقد استقر الأمر أخيرا على أن تصافر « جولدا مائير » الى أمريكا حيث بدأت تركز أحابيلها لليهود هناك قائلا : « يسمى أن يطلب من يهود العالم أن ينظروا انبعاصبينا سئل خط الصحة ، ولن يفعلوا في سبيلنا ما معالته الولايات المتحدة في مسميل انظفرا حينما كانت الأخيرة تمثل خط الصحة في الحرب العالمية .. أن الملايين التي تحصل عليها في غضون ثلاثة أو أربعة أشهر لن تكون لها أهمية ، فالمشكلة تنحصر فيما يستطيع الحصول عليه فوراً . وحينما أقول أيها

الإعتناء فوراً ، فليس محبى هذا في مدى شهر و اثنين من الآن
.. وليس موسمكم إلا أن تقرروا شيئاً واحداً وهو ما أذا كنا
سنستمر في هذا القتال أو أن المبنى هو الذى سيخرج منتصرا .

لقد طلبت « جولدا » من يهود أمريكا مبلغاً يتراوح بين ٢٥ و
٣٠ مليون دولار فوراً ، وهو مبلغ يبلغ خمسة أضعاف المبلغ
الإحتمالى الذى حدد من قبل .

من باريس . بحث إليها أحد مبعوثي الهاخفاة بأن يوسعه
شراء بيانات إذا ما حصل على عشرة ملايين دولار فوراً . وأبلغته
جولدا بتقيونيا ' « أشر » . وأرسل لها مبعوث آخر في أوروبا
— كلى يحاول شراء ذخيرة — يقول أنه سيعود الى فلسطين، وكل
يحتاج أيضا الى عشرة ملايين دولار ، ولم تكن هناك فائدة من انتظار
حدوث المستحيل . وأبلغته جولدا برأيها : « ابق في مكانك » ،
ووصله المبلغ المطلوب .

استطاعت جولدا أن تجمع خلال مدة الشهرين ونصف الشهر
الذى قضتها في أمريكا مبلغ ٥٠٠ مليون دولار . وحينما عادت
الى فلسطين قتل لها من جوريون . « حينما يدون التاريخ في يوم
من الأيام .. سيقتل أن امرأة يهودية استطاعت الحصول على
الأموال التى جعلت قبل الدولة ليرا « مكنا » .»

الجزء الثالث

وأخيراً ..
كلمات ليست أخيرة

بقلم : محمود حواس

كن احي .. والا مسقتك .

هكذا يقول « ملحم بيغن » رعيم حرب حيرت الاسرائيلى في كتاب له بعنوان « الثورة » .

اما بن حوريون — رعيم حرب راق — فيقول في كتاب « اسرائيل . سنوات المحدى » : ان اسرائيل لا يمكن ان تعيش الا بالقوة والسلاح .

وفي روايه « الخروج » الى امها الكاتب المصيرى « ليون اوريس » .. يقول احد أبطال القصة . « انه لشيء بشع حقا .. ان اطفالنا يعبثون بالحريين . اتنا نبني وجوفنا على السلاح » .

وفي مقال نشرته صحيفة « مير » الاسرائيليه ، قال الكاتب مائس هومش . « ان رجال الدين اليهود قد اداروا ظهورهم لكل تحذيرات الانبياء والحكماء ضد القوة .. واصبحوا اكثر الفاس حينما واعجابوا بالعيش والروح العسكرية ، وبالسلم المسلحة الصيفة . اسهم بهذا يعطون للجيش الاسرائيلى شهادة الاتبات بانه يهدد تعاليم الدين اليهودى » .

و ...

كانت هذه اجابات مختلفة ، تقديمها السياسة والادب والدين في اسرائيل لسؤال واحد . من هو الاله الحديد في اسرائيل ؟ .

ان اسرائيل تحاول خلق حبل حديد يسميه بن حوريون « الصخرة » وبمصر بن حوريون بن هذا الحبل قد ادى الى ان « امسح الشعب اليهودى هو مجيع الحارين » .

ولكن يصح الجدل اليهودي الجديد هو « الصحراء » .. ولكن
تصح إسرائيل هي « تصح المحاربين » .. كل لابد من وجود
فداء يومي واحد للجيل الجديد في إسرائيل . هذا الفداء هو الروح
العسكرية العصرية . هذه الروح هي للشرط الأول .. اللزم
لتحقيق الهدف الصهيوني الأصلي : من النيل إلى الفرات .

ومرة ثالثة .. كل لابد أن ممكن كل ذلك على طريقه
تنظيم المجتمع الاسرائيلي ، ثم على التنظيم العسكري في اسرائيل .

لقد رأينا كيف يعمل هذا التنظيم في الصفحات السابقة ، ورأينا
النتيجة التي حققها خلال حرب ١٩٦٧ في الكتاب الاسرائيلي
الأول السابق لهذه الصفحات .. ولكن تبقى بعد ذلك التعطيلات
التي أود أن أسجلها مقدما قبل أن أتناقش التفكير العسكري
الاسرائيلي :

أولا .. بصرف النظر عن التفاصيل العسكرية التفصيلية ، التي
لا تدخل في مهتنا ونتم العسكريين أساسا ، على الذي يهتنا هنا
أولا بعد أن قرأنا الكتب السابقة ... هو أن نعرف على مدى
الحدية التي يعطيها العدو لأهدافه العسكرية التوسعية في المنطقة
العربية . جدير لا يعتمد عليها على اعتبارات عسكرية مؤقتة ..
بل تعتمد على تأمين وتعبق الروح العسكرية حتى بين
الأطفال .

ثانياً - أنه من المسائل الملفتة للنظر .. أن جميع المؤلفين
العربيين الذين كتبوا عن التكوين العسكري الاسرائيلي .. يقررون
أنه بوجه أساسا للحرب الصهيونية بالدرجة الأولى . وهذا يؤكد
الطبيعة العدوانية للسياسة العسكرية الاسرائيلية .. ثم يؤكد
أن الحملات العسكرية الاسرائيلية تحتل احتلالا شديدا - بل
قد تتقلب رأسا على عقب - لو أنها حافظت حربا دفاعية ، أو
حربا طويلة زمنا .

ثالثا .. أيضا مما لفت النظر .. أن العدو الاسرائيلي حين
يحاربنا .. فهو يعبئ كل موارده لخدمة المجهود العربي .

رابعاً — أنه مع كل ذلك .. وبالرغم من هذه التهمة العسكرية الملققة ، على إسرائيل لم تقم بسواحه الجيش المصري في أي حرب واسعة النطاق ، بدون خسائر مالتة تقضى تحركاً دولياً لمصلحتها . لقد أصبح معروفاً مثلاً أن بن « هوريون » رمض في سنة ١٩٥٦ أن يتحرك إلا بعد أن حصل على ضمان من بريطانيا وفرنسا بأنهما ستنكسان له مظهره جوييه وحراًماً بحرياً — وغسوق هذا كله — تدميراً كاملاً لجميع المطارات المصرية في الماعسات الأولى للقتال . وبعد أن حصل على هذا الضمان — بمدة فقط — وقع الاتفاقية المصرية مع ممثلي بريطانيا وفرنسا .

ثم — بعد هذه التخططات السريعة — يعود إلى العسكرية الإسرائيلية :

أن التفكير العسكري الإسرائيلي يقوم أساساً — في حياته المنسى — على خلق روح عسكرية لدى الطفل الإسرائيلي منذ سن مبكرة . وهي روح عسكرية مصرية بم تنبئتها لكي تحدم الأهداف التوسعية الواردة دائماً في جدول الأعمال الإسرائيلي .

وبإدام التوسع الإسرائيلي إلى ما تسميه إسرائيل (الأرض التدريبية) .. هو مسألة محل انشاق بين محتلف الأجيال الحربية هناك .. على تنمية الروح العسكرية العدوانية تصبح ضرورة مبدئية لتحقيق هذا المرمى .

وجميع الذين كتبوا عن التنظيم العسكري الإسرائيلي — بما فيهم الإسرائيليون أنفسهم — يختلفون على أن التدريب العسكري في إسرائيل يعتمد أساساً على المهوم ، والمهوم هنا صيغة إسرائيلية للعدوان والعدوان جوهر التفكير العسكري في إسرائيل ولقد كنى قيام إسرائيل بالحادثة بالمهوم — وهي دائماً تبادر — واحداً من الأسباب الرئيسية التي كفلت عنصر المفاجأة في حربها ١٩٦٧ .

ولكن المفاجأة لم تكن هي السبب الوحيد لانتصار إسرائيل وهزيمتنا ، كما أن الهزيمة كلها لا يمكن تفسيرها بناء على ميرات

موجوده في الجانب الاسرائيلي .. ومحصومة من الجانب العربي
بالمعكس . ربما كتبت الاسباب الرئيسية للهزيمة هي قنود اسرائيل
على استعمال اخطاء وقصا فيها نحن .. ولهذا مهدا بها الطريق
امام عبقرية وهمية اضعاها العقل الاسرائيلي على نفسه .

ان معرفتنا بعنوانا تسمى منا اشارة هذه اسئلة في وقت واحد
مثلا . هل كل انتصارنا مسحيلا ؟ هل كتبت هزيمتنا حميه ؟
هل كانت الاسباب الرئيسية للهزيمة ، اسبابا سياسية ام اسبابا
عسكرية ؟ هل . . . ثم : كيف مفسر الهزيمة ذاتها ؟ .

ان مثل هذه الاسئلة لا تبدو نظرية على الإطلاق . معي
لتفسير الهزيمة العسكرية مثلا . . هناك موقفا : موقف يفسر
الهزيمة بأنها ترجع الى اخطاء عرقية . بمعنى تصور في ادراك او
تصورات محد من الأفراد أو عدم قيامهم بواجبهم . وموقف يفسر
الهزيمة بأنها ترجع لأسباب تتعلق بالكتابة العسكرية للمقاتل
العربي - وبالذات المقاتل المصري .

والفارق بين التفسيرين هو فارق بين ما يقوله الصديق
وما يقوله العدو .

فحينما نقول مثلا . . ان واحدا في المائة من رجال مصنع
معين يتعيون من عملهم ، بمعنى ذلك ان التعيب هو ظاهره
عربية بحيث من اسبابها في الحالة التعيبة لكل فرد ، أما اذا
قلنا ان ٩٩٪ من رجال المصنع يتعيون ، قلنا نحكم مقدما بان
التعيب في هذا المصنع أصبح ظاهرة تمس كل عماله متأثرة . نادا
أصبح ظاهرة عامة غير عرقية . . قلنا علاجها لا يمكن ان يتم بتغيير
أو تعديل أو حلول سريعة في مدى قصير .

ومن الطبيعي ان محد مصلحة العدو قائمة في نشر التفسير
الثاني . التفسير الذي يحول الهزيمة الى ظاهرة عليه لا يجدي
معها العلاج نصير المدى . وهو على أي حال تفسير حرمست
التقوى الاستعمارية على برعه قينا طوال التاريخ الحديث والمستقة
الشرق الاوسط .

وبالمقنن نفسه . فلما مجد أيضا لي هناك موقفين في تبرير هربشتا الضحية أمام إسرائيل . الموقف الأول يقول إنها هزيمة حصارية . فعلى رجال سيما لم يكن هناك جيش يواجه جيشا . . . وإنما كانت حصاره مواحه حضارة ، وغربا يواجه شرقا . غادا كنا نريد أن سنصر على إسرائيل ، فيجب أن تكون هذه هي نقطة البداية : التفوق الحصارى .

والموقف الثانى يبرر الهزيمة بأنها هزيمة حيل ناكملة ، أو على الأقل هزيمة نظام سياسى هنا على بد نظام سياسى هناك . غادا كنا نريد أن سنصر على إسرائيل . . . فيجب أن تكون هذه هي نقطة البداية : نظام يدافع عن نفسه . . . وجيل يبرر وجوده .

أما نقطة الاتفاق بين الموقفين فلها تكبر في ادانة أشياء كثيرة كانت موجودة في مصر صباح الخامس من يونيو . ولكن بعد ذلك — من الفجوة بين الموقفين واسعة وعيقة . فجوة تحتاج إلى قروح لسدها . . . طبعا لأصحب الموقف الأول ، ونحتاج إلى سموات فقط ، طبعا لأصحب الموقف الثانى .



وبالطبع ليس هذا مجال الحديث تفصيليا عن أسباب هربشتا في سنة ١٩٦٧ . ولكن — بصفة عامة — نحن نحطى وكثرا لو تصورنا أن إمامنا غلابة حاضرة ومطلقة من الأسباب التي كانت تدور هربشتا الضحية أمام إسرائيل في ١٩٦٧ . لم تكن هناك مبررات كافية . لا مبررات للهزيمة ولا مبررات لمصانة الهزيمة .

إن السياسة ليست سوى حساب لتسبب القوة . إن الذى يهرم في ميدانها إما أن يكون قد أخطأ الحساب ، أو أنه ترك هذه القوى تنطق ضد مصلحته .

وما حدث في ١٩٦٧ هو أننا ارتكنا للخطأين سماء أخطأنا في الحساب سياسيا ، وكذلك تركنا علاقات القوى العالمية تنطق ضدها .

ولكن الحسابات الخارجيه لم تكن هي المايل الوحيد ضحينا
في صباح الخميس من يونيو ..

لقد كانت هناك عوامل داخلية كثيرة .. تقيد عضلاتنا في
الداخل ، حتى قبل ان نتجه الى ميدان القتال . ان النقطة
الحاسمة هنا ليست هي : متى وأين بدأت هذه المواقف؟ ان
التاريخ هو مسيج غير متكبل ، وقرار اختيار النقطة التي بدأت
عندها أسباب هزيمة سوف يكون دائما قرارا تصفيا . ان من
الممكن ان تكون الهزيمة قد بدأت عندما هددنا بالحرب ، دور ان
نقصد الحرب . ويمكن أيضا ان تكون الهزيمة قد بدأت قبل ذلك
ببضوات طويلة ، عندما سبوا اسرائيل كسوة رئيسي وحلفنا
لأعداء أعداء وهميين بين صفوفنا . ويمكن ثالثا ان تكون الهزيمة
قد بدأت : عندما أعفينا كل شيء عالمي حيانا من النقد والمراجعة
أو عندما أعطينا لبعض الأفراد شبكات على بياس ، يحصلون
بمقتضاها على سلطات مطلقة .. انتهت الى كارثة مطلقة . كذلك
يمكن ان تكون الهزيمة قد بدأت في اللحظة التي أصبح الاربعاء
لها قاعدة — وليس استثناء — في سياستنا . يمكن .. ويمكن ..

ولكن الذي لاشك فيه .. ان الهزيمة قد بدأت في اللحظة التي
أهمل فيها معرفة العدو ، ووضعناها في نقطة متأخرة من جدول
الأولويات في مجتمعنا .. ؟!

ان الانتصار الاسرائيلي الخامس في الساعات الأولى من صباح
٥ يونيو ، اعتمد ، مثلا ، على معرفة دقيقة بمواقع بطاراتنا وأنواع
طائراتنا وتشكيل قواتنا . انها بالطبع معلومات لم يهملها العدو ،
ولم تهمل نحن فيها ، قبل الحرب بحسب تقاليدنا .. ؟!

وعندما شببت للحرب فجأة .. اكتشفنا نحن — غفلة أيضا —
انه بينما كل العدو يركز مجهوده مثلا على معرفة تصميم طائرات
الميج كانت مراكز القوى عندما تقصر ملتها تعرف آخر مكان يربدها
الناس في محائبهم الخاصة ، وتعرف أين سهر عبد الصمد ..
ومتى ماتت بحري جارج سريره .. وماذا قالت ليلي في التليفون
أمس .

نعم — كانت التفاصيل الصغيرة في حياتك وحياتي
وحياتها وحياتنا هي من وجهة نظر الأم .. أكثر أهمية من التفاصيل
المطلوبة من العدو .

إن هذا معناه أن الأجهزة عندما كانت تصمم الأفراد ..
ولا تخدم الأمه . كانت تسعى لتحقيق الثروات .. بدل أن تسعى
لحوض الحرب . وعندما لم يتم تدارك هذا الخطأ الفادح في الوقت
المناسب .. غل الخطأ نضم ، إلى أن اكتشفنا في صباح العاشر
من يونيو أنه لم يصبح خطأ . أصبح مرضا .



ميدان آخر أخطأ فيه قبل ميدان القتال — ميدان الإعلام .
إن من كل يقرأ صحفيا ، أو يستمع إلى إذاعة ، في الفترة
السياسية على ٥ يونيو ، كل يحس بالطمأنينة المطلقة ، والفهم
المتزايد . أن الطمأنينة مطلوبة — طبعا — والمضر ضروري ..
حق .. ولكن بشرط ألا تكون طمأنينة وهمية لو بحرا كاذبا . لقد
كنا نحسب كل شيء — على ورق الصحف — بنقطة متناهية . وطالما
عملنا ذلك على الورق .. لمنا كنا نتأمل الصدقاء و ..
فسريح .

نعم . كانت الشعارات المبهمة .. مديلا من التطبيق المبهج ،
وكانت الأموال الضخمة .. مديلا من الأعمال الضخمة .

لقد خلقنا لأنفسنا — من طريق أجهزة الإعلام عندما — نسيانا
مثاليه ، نحن فيها أقوى الناس ، وصوتنا فيها أعلى الأصوات ،
وحساباتنا أنق الحسابات . نسيا مكسب فيها الحروب بقرار ..
ونحل فيها المعارك بهرة رؤى .. ونحل فيها المشاكل في غمضة
عين .

لقد كانت لاداعتنا ندياها الخاصة بها ، وحققتها الخاصة
بها .. وهي نديا وحقائق لا علاقة لها بالواقع .

لقد قلنا لانفسنا ان الحرب مزرقة ، والمركة هي مجرد ست دقائق نصل فيها الى تل أبيب وبمقدار ينتهي كل شيء . وعندما بدأت الحرب ، وعندما لم ينته كل شيء في ٦ دقائق ، مان خيبة الأمل بدأت في عقولنا من الحقيقة السامة . ان الذين دفعوا ثمن هذه الدعاية الكاذبة هم نحن ، وليس عدونا . لقد أصبحنا نحن الضحايا . ضحايا أوهمنا ومبالغات احترامها ، وبعد ذلك رددناها . وفي النهاية مقتناها .

لقد نظرنا الى الواقع فلم يمجنا ، وصيئت لحنا الى خلق واقع آخر يمجنا .. والنع وهي نقرا عنه في صحفا فقط ، وسيع عنه في اداعتنا فقط .

واذا كنا قد ارتكبنا اخطاء كثيرة بهذا الوضوح - واستعملنا اسرائيل الى الحد الأقصى - على حساب اخطاء اخرى أساسية ارتكبناها ، وان كفت أقل وضوحا مع انها أكثر خطورة

✽ من هذه الأخطاء .. اما قلنا لانفسنا مثلا ان ثلوثنا العددي سيحسم في النهاية المسئلة كلها . وطالما ان عدونا ٢ ملايين ، ونحن مائة مليون ، ان ملاء بالاحساب - لن المئة سيستهم الثلاثة . ان هذا ليس مطلقا صالحا دائما ، فمئة مما لا تهزم بمقدية واحدة - ولكن المطلق كل يمين مما حصوصنا عندما حصل الى مناقشة المسئل الحاسمة في حياتنا .

وطالما اعتقدنا من قبل ان الكتلات الضخمة هي بديل عن الأعمال الصحية ، كذلك هما ، اعتقدنا ان الاعداد المسحمة هي بديل عن الاستعدادات الصحية .

✽ وقلنا لانفسنا أيضا : ان الزمن هو طبيعته - معنا ضد اسرائيل . لقد اعتدعت الاستراتيجية العربية طويلا على وجود افتراض قوى يقول ان الوقت هو - في المدى الطويل - معضد اسرائيل . وقد نبشنا في التاريخ عن أمثلة تؤيد هذا الافتراض ، فقلنا ان الفلسطينيين استعمروا فلسطين ٨٠ سنة ، ثم خرجوا .

نعم . الصليبيون خرجوا . ولكم لم يخرجوا بكم
الإدبية الرسمية ، ولا بعض المد . ولم يخرجوا ، لأن منطق
التاريخ هو الذي أخرجهم ! لقد أخرجتهم القوة والقوة
وحدها . بصرف النظر عن الزمن . وعندها خرجوا — بعد ٨٠
سنة — لم يكن معنى هذا أنه كثر من الضروري أن يظلوا في
فلسطين ٨٠ سنة . ولكن معناه مسلطة أننا لم نملك القوة
اللازمة لأخراجهم إلا بعد ٨٠ سنة . ولو توافرت لنا تلك القوة
قبل ذلك . . أصبحت مدة بقائهم ٥ سنة ، أو ١٠ سنوات ، أو
حتى ١٠ أشهر .

إننا الآن . . لم نكن بلجا إلى التاريخ لكن بفهم معناه ، ولسكن
لكي نستجد به في دهر منطق مختلف برده لأنفسنا . منطق يرى
أن الزمن هو طبيعنا ومن تلقاء نفسه كميل بطل المشكلة بينا
وبين إسرائيل . لقد سبها أن الزمن طبيعته هو عنصر محايد .
أن الزمن لا يمكن أن يكون معنا تلقائيا . . أو ضدنا تلقائيا . أن
علينا نحن . . هو الذي يجعل الزمن معنا أو ضدنا .

ولكن يدخل الزمن عنصرا في حسابات القوى بينا وبين
عدونا ، فلابد أن نكون على المصائر ثلثة أو — على الأقل —
مساوية . لابد أن مساوي نحن والعدو في الأعداء منجزات
الحصارة . . في مساء الدولة المصرية . . في الاعتداء على
المؤسسات وليس الأعداء . الخ .

وأذا كان هذا هو المفهوم الصحيح لأهمية الزمن ، وأهميته
لوقت ، فليس معنى هذا أن علينا — بصر حساب — أن نخجل في
حرب مع إسرائيل الآن . . أو بعد ٥ دقائق . وليس معنى هذا
أيضا أن نطرح إلى عقارب الساعة في ليبيا مجوف وفرع وقلق .
أن الأمم لا تعيش حياتها وهي تحمل في يدها كروميتر ، أو
مقاسا للوقت . ولكن معنى هذا ببساطة هو : أن علينا وحده
— مقارنا بعل عدونا — هو الذي يستطيع أن يجعل الزمن سلاحا
معنا أو سلاحا ضدنا .

* وكلنا لانفسنا ربما طويلا ان محاربته الصحو تضجاج —
 أولا — الى الوحدة الوطنية . جسيبوط . ولكن الخطا ندا خيما
 قمنا بالوحدة الوطنية : الصمت . الصمت علي الميوب ، علي
 الاحطاء ، بل علي الخطايا . من منا مثلا لم يكن يعرف بوجود مراكز
 القوى قبل ٥ يونيو ؟ من منا لم يكن يعلم بفساد اخيرة المحبرات ؟
 من منا لم يكن يرى ما يعمله اهل الثقة ضد الحرية ؟ من . من
 .. من .. ؟ !

كلنا كنا نرى ، وكلنا كنا نعلم ، واذا لم تكن مسلم علي وجهه
 الدقة ، فقد كنا نحس . ربما لم يعرف بعضنا ان هناك تمثلا ..
 ولكن محظيها كل يثم الرائحة . ومع ذلك لم يرتفع صوت
 واحد . انه لم يرتفع لانا — قبل ٥ يونيو بوقت طويل — كنا قد
 قضينا علي اي فرد ، او اي مؤسسة ، يمكن ان نقول « لا » .
 لا .. لاهل الثقة ، لا .. للمحسوبية ، لا .. للفساد المحارث
 لا .. للاخطاء السياسية — لقد تصرفنا دائما علي اساس ان قوة
 السلطة هي قوة الحكمة ، وان الحكمة لها مفتاح سحري واحد
 يملكه شخص واحد في كل جهاز ، وجهاز واحد في كل المجتمع .
 لقد ادى هذا الي اشاعة احساس علم بأنه ليس بالامكان ابداع ما
 كان . وفي النهاية .. كل احظر ما في الامر — من وجهه النظر
 السيكولوجية — هو المراد الصريح للافكار المسقة الصاهرة ، غير
 القابلة للمناقشة .. والفني اصحت فالأ سنا للمستقبل . نشد
 وغضا المناس اماه بديلين لا ثالث لهما : اما ان نقول نعم لكل
 شيء — موافق اوجضا — واما ان نقول لا لكل شيء — صحيح أو
 خطأ — واما ان نقول لا لكل شيء صحيح أو غش . ان الخطأ في
 هذه النقطة تركز علي مفهوم خاطئ ، ررغناه في انفسنا وبطلناه
 لفترة طويلة ، مفهوم نقول ان الوقوف في الصف معناه الصمت عن
 الاخطاء . معناه ان نقول جميعا الكلمات نفسها ونردد الشعارات
 نفسها وبصلق للجميل نفسها !! لقد سبينا ان النوع هو نفسه
 فهو ، ونسبنا انه قد يكون من المستحيل ان يصحح كل خطأ ..
 ولكن لا خطأ يمكن تصحيحه الي ان يواجهه . نسبنا ان تطبعة
 القماش قد تعتمد فيها الألوان والحيوط .. ولكنها تنق في النهاية
 قطعها قياس واحد مقبلة .

ان اسرائيل لو قدر لها الاحتيار — لاخترت مصر الصامنة على احاطتها ، قبل ان تحتار مصر المهزومة في ميدان القتال . ان مصر المهزومة في الميدان لن تبقى مهزومة دائماً ، ولكن مصر الصامنة على احاطتها — المنعقة من الداهل — لن تنضم أبداً !!



واضحاً ايضاً حينما تركنا الجيش يتحول الى قوة بوليس اخرى ، لحراسة نظم الحكم . لقد كان من مظاهر ذلك ان نظم الحكم السياسية في مجتمعا الحرمين استدارت أولاً الى الجيش لكي تعمل فيه الأولوية لاستشارات اللواءات الشخصى ، قبل ان تكون للكفاءة العسكرية المحترمة ، وى معظم الأحيان كان يتم التضحية بالكفاءة لمصلحة اللواء .

وحينما مرجع الى المحتج الكبير تحد نفسى المبدأ قائلاً : اللواء قبل الكفاءة . . اللواء للنظام السياسي قبل اللواء للوطن . وطالبوا الأمر كذلك ، قبل اللواء للنظام السياسي كان يستلزم أمراً عند اللواء لشخص ، بدلاً من ان ينمى عند اللواء لمبادئ .

ولقد كان هذا يفرض بدوره نوع الأشخاص الذين يتم اختيارهم للمراكز القيادية في المحتج كله . أشخاص يملكون المبادئ قبل القدرة ، وانظمة مثل المائتة ، والتصديق قبل المعارضة . والمواصلة قبل المراجعة .

وطالبوا ان هؤلاء هم الذين يهتمون بالنقطة ، فانهم كانوا يملكون قوة طاردة مركزية لأية كفاءة لديها علم بملكه ، أو تخصصاً نتيجة ، أو دراسة تقديمها ، أو موهبة مرضها ، أو رأى تقوله .

ولم يكن غريباً ان هذه التبادلات نفسها هي التي أمرعت لحظة الكارثة في استحضار شهادات مرضية من التاريخ ، في محاولة لاعفائها من الحساب والمسئولية ، و . . اعفيت من المسئولية .

ولكن ، حتى قبل هذا بوقت طويل . . كانت هذه النتيجة تنحس في النطاق الذي يمكن للنسب له .

ففى أى نظام سيملى . يمنع بعض الناس لحسابيين فى السياسة .. وهؤلاء هم الذين يحصلون مسئوليات خاصة فى اتخاذ القرارات العامة . ومخالف هؤلاء الأشخاص ويوعهم وكثافتهم هو من الأمور الهامة والحدادية فى أى بحث سيملى . لأن هذا هو الذى يحدد فى النهاية ما هو المسار وراء اختيار كل شخص ، وأين تنتهى سلطته ، وأين تبدأ مسئوليته ، وما هى بالضبط الأشياء التى يحاسب عليها .

ورغم المطلق السيط الذى تعتمد عليه هذه النقطة ، إلا أننا لو بحثنا فى أمورنا السيملية قبل المكينة ، فسوف نجد أنفسنا نورا فى متاهة لا نهاية لها . سوف نجد أن السلطة السياسية فى مجتمعنا لم تكن أبدا سلطة موحدة تشتري دافعا من نفس العواصم ، وبكليات محددة ، وحسب سعر مستقر ، لكنى تستعمل فى أى موقف سيملى أبدا . الذين يتعرضون للحساب لا يهتمون بالسلطة ، والذين يهتمون بالسلطة لا يتعرضون للحساب . أنهم — أصحاب السلطة — هم غالبا أشخاص غامضون فى عواصم غير معروفة ، ومن الممكن أن يكونوا أبطالاً فى المساحة الثابتة ، وخوبة فى الثابتة والربيع .. والأسباب أيضا غير معروفة . لهذا كانت أخطر القرارات تصدر ونفس .. وأعظم الخطأ تبدأ وتنتهى .. وأكرر انشمارات تولد وتنتهى .. بغیر أن يعرف لماذا ولماذا .. ولا لماذا ماتت .

نعم .. نعم .. لم يكن معروفا أبدا . أين ينتهى قيصر .. وأين تبدأ الشعب .

● أن خطورة مثل هذا المناخ هو فى انتمكاته اليومية على المواطن العادى . مواطن كان يحد دائما أن الأحداث أكبر منه .. وأن من الأفضل له ألا يحاول فهمها . مواطن يحرم على الطاعة قبل النقد ، والمعادلة قبل الكفاءة ، والإتقمية قبل الابتكار ، والأمن قبل الاحتلاف ، والتصديق قبل الفهم .

لقد كانت النظم السياسية تنفع المواطن دفعا بوميا الى أن يكون شريكا سلبيا فى الأحداث ، وإلى أن يرى لهامه أعظم القرارات

تستند حيثيتها من المصانف العابرة ، ولتطرح القضايا بيزر أمله
فحاه من لا شيء .. وتنتهي فجاء الى لا شيء .

ان تعامل المواطن مع سلطته ، هو أولى السلحات التي يتدرب
فيها على القتال . ولقد كانت السلطة في مجتمعا العربي تعطى
المواطن الدرس بعد الدرس على ان الخضوع من أول دقيقة ،
والاستسلام من أول صدام ، والهرية من أول معركة .. هي
شيء لا يفر منه .

وكانت أخطر نتائج مثل هذا المناخ هي — في المدى الطويل —
أقصى على مستقبلنا من أي معركة . فلقد كثر المواطن يعمل هذه
الدروس اليومية المستفادة معه الى منزله ، الى أسرته ، الى
الجيل الجديد الذي سيكون عليه مستقبلا ان يعمل مسئولية
هذا الوطن . ان الأسرة هي — عادة — أقوى الهياكل الاجتماعية
مسودا للتعبير . ولكن ، عند ما يحدث التعبير ، فإنه يقع في
مكائيل آخر أولا ، ثم يتسرب الى العلاقة بين الآباء والأبناء فيها
بعد . وعند ما يبدأ الفساد .. منه يبدأ لولا خارج الأسرة .
ولكن ، بمجرد أن يصل الى الأسرة فإنه يصبح مرفعا حينها يحتاج
الى عملية هراخية في المصنع كله ، لكي يتم استئصاله .

هكذا وصلنا ، في سنة ١٩٦٧ ، الى نتيجة لم تكن في الحسبان .
ان مشكلتنا لم تعد هي الفساد . وانما هي التمرد عليه .

● ان دراسة التفكير السياسي في أي مجتمع معناه بالضرورة
دراسة الثقافة السياسية : كيف يفكر الناس ؟ ما هو شعورهم
بالنسبة للعالم السياسي ؟ ما هي معتقداتهم ؟ ما الذي يؤمنون به ؟
ما الذي يرومه هلم .. والذي يرومه أقل أهمية ؟

ومع ان كل انسان هو — في هذا الاطار — مشبع بأفكار كثيرة
ومتنوعة .. الا أننا لا محتاج دائما الى فحص كل شجرة في الغابة
على حدة . انما يكفي ان نفحص الأفكار الأساسية التي تشبعت
بها الأغلبية .. لكي نصل في النهاية الى صورة تربية .

والصورة أبلغنا - حتى ١٩٦٧ - لم تكن تتضمن غير لوبيين اثنين فقط الأبيض والأسود . المواطن العادي كان يتم تدريسه على أن العالم ينقسم الى نوعين : ملائكة وشياطين ، لصقاه وأعداء ، نول مما دائما .. ودول ضحيا الى ما لا نهاية . انه يقرأ دائما وجهة نظر واحدة ، ويستطيع دائما الى رأى واحد . ان هذا الرأى هو وحده الموالب ، وأى شيء آخر هو الخطأ . ان عليه أن يؤمن بأن كل ما يراه هو الحق .. وكل ما لا يراه هو الباطل . ان النظام الميدي هو دائما ممثل للخير .. طالما هو قائم ومستمر . ولجأة يصبح ممثلا للشر .. طالما هو قد سقط . ان كل قرار يتخذ بالنسبة عنه - من المواطن - هو قرار مقدس .. وكل قرار يرفض - بالنسبة عنه أيضا - هو كثر مقدس ! ان اسرائيل ليست خطرا على الاطلاق ، انهى مجتمع مشغون بالجبن وسوق يهمل غذا .

وحيثما نشبت الحرب في سنة ١٩٦٧ ، كان المواطن يعلم لأول مرة ان اسرائيل هي الخطر الأكبر ضحيا ، وسد مستقبلنا . ان اسرائيل لها جيش يعمر لأراضينا ، وجودها يصيرون على فقلت طبول حربية ، وبدانها تحدث جروحا قاتلة ، كما ان ليها بيوتا ومدارس ومحطات للاذاعة واشارات مرور ودميات وعيلة وسجون وشرطة طائرات . ان اللماعة الكلامية والمبررات العظيمة معها لم تهدمها أباننا في ميدان القتال ، وان المسألة أكثر حدية من ذلك . أكثر هذا . لم تكن ممارسة خطية هذه المرة ، ولكنها مبنزة بالذائع والدميات والطائرات في هذه المرة ليست اسرائيل هي التي تبحث عن ضحايا قولي لوجودها ، وانما نحن - نحن العرب - هم الذين أصبحوا يحتاجون الى ضحايا لوجودنا ، بعد ان سجل علينا التاريخ - منذ سنة ١٩٤٨ - تراجعنا مستترا لأمنا ، وغروا مستترا لأراضينا تعرض له منها .

● ومن المخطط ان جزءا كبيرا من مطلقا الرخيص اسنبر بيتنا .. حتى بعد كارثة ١٩٦٧ . ان البناء للضخم انهال بأسرع مما نتصور ، والكثيرة أصبحت أكبر مما توقع ، والهزيمة أكبر فداحة مما مقدر ، وعلى الثغور خرجت من بيتنا أصوات تحاول

أرقابنا على ابتلاع هذه الهزيمة ، بل — وهذا هو الخجل في الموضوع كله — تصويرها كما لو كانت انتصارا !

كان هذا المطلق بسيطاً وصحياً ، مثل كل الاكثافب الكبرى في التاريخ . مطلق يقول : ان اسرائيل حيما هاجمتنا في يونيو ١٩٦٧ ، فاتها لم تكن تريد بذلك ان تصرو أرضنا ، وانما كانت تريد ابابا ان تسقط نظمنا السياسية . وطالما ان هذه النظم لم تسقط .. ان اسرائيل لم تحقق اهدافها . وطالما ان نحن لسلمح لاسرائيل ان تحقق اهدافها — بشكها هذا — ان .. نحن انتصرنا !

باسلام !!

كم من الوقاحة ، عملا من العمل ، يحملها مثل هذا المنطق ! لقد سببا ان اسرائيل هي في صراع صداما جديما : حكابا وحكومين .. يميما وييسرا .. مسلمين ومسيحيين ، نفسينا اثنا لو لم تكن مصريين ، لو لم يكن عربا ، لو كنا اسكيو .. لو هنود صير .. او شيوخيين .. او راسماليين مثلا .. فل اسرائيل كانت ستنظر لها بحركتها الخاصة بمما ابابا .. نفس الحركة ، ونفس الاهداف . وحتى لو خرجت من بيما حكومة لتمساح مع اسرائيل غذا ، فلن يكون هذا مطلقا مهنية للاهداف الاسرائيلية ، وانما الاهداف ستستمر ، والصدام سيستمر .. طالما المصالح تتعارض . مصالحنا ضد مصالح اسرائيل ، ولرشنا ضد توسعات اسرائيل .

● ومطلق مريض آخر خرج ايضا بعد النكسة ، هذه المرة اكثر بساطة ، ومن ثم اكثر اغراء هذا هو : نعم .. نعم .. لقد واجهنا بكسة كبرى .. وعلينا ان نصحها . لماذا اثنى ضميم وثنا في معرفة اسباب النكسة ؟ ان لبايا المستقبل ، فلا داعي لنسج جراح الماضي . المستقبل اكثر اهمية . وحينها نصحح أكثر لعموان ، نسوم يكون لدينا مخرج من الوقت لكي نعرب وسنلتش في حينها : ماذا جرى .. ولماذا جرى !

ومثل كل حق يراد به باطل ، فإن هذا المنطق أصبح نوعاً جديداً ، من المحدرات شملناها باسم التركيز على المستقبل . لقد سيد أن الانهزامي ليس هو فقط الذي يتبنى وجهة نظر العدو ، وأناب هو أساساً الذي يمتنع من معرفته بنظ خصمنا في مواجهة العدو . وحتى في حياتنا اليومية ، فإن أي طبيب يعلم أن تشخيص المرض — بدقة وصراحة — هو نصف العلاج . وما لم نعرف منشأ ابن يوحنا المرض ، فلا فائدة ترحى مطلقاً من أي علاج . وما لم يتم حلنا أدانة كل النماذج والأسباب ونقط الضغط التي أدت إلى الكارثة . . فلا يوجد أي بديل لتعادي كارثة جديدة . لقد هربنا في سنة ١٩٤٨ فقلنا : كان السبب هو نمساك نظام الحكم ، ثم : سكوت . وهربنا في سنة ١٩٥٦ ، فقلنا ، كان السبب هو تأمر دولي ثم : سكوت . وفي هذه المرة قلنا أشياء أخرى غامضة ومطاطة ، ثم : سكوت ! قلنا أن قوى سرية غريبة وقتت علينا — أحياناً نسميها الله . . وأحياناً نسميها أمريكا . وقوى أخرى غامضة سوف تفل معنا : أحياناً نسميها الله . . وأحياناً نسميها الاتحاد السوفيتي . ثم : سكوت ، فالمستقبل أكثر أهمية من الماضي .

بالتأكيد : المستقبل أكثر أهمية من الماضي . ولكن ، بغض دراسة وتمحيص وتشريح — حتى — لهذا الماضي . . فإن المستقبل لن يكون أبداً شيئاً مختلفاً ، ولا هو معجزة سحرية تهبط علينا من السماء . أن المستقبل هو شيء جاد للعبة ، وهو لن يكون كذلك إلا إذا خرجنا من الماضي بدروس محددة ودقيقة و . . جادة للعبة .

إنما لو تأملنا الفروخ الأساسية لحرب ١٩٦٧ ، فإنها لن تخرج غالباً من بدروس حرب ١٩٤٨ . ولكن ، لأننا كنا دائماً نكره هؤلاء الذين يقتلون باحثة في وحوهنا . ولأن ثمارنا كانت تعبر عن الأماني بأكثر مما تصر عن الواقع ، ولأن جداع النفس كان أكثر أهمية — وأكثر راحة أيضاً — من مواجهة النفس ، فإننا كنا بفاجاً في كل مرة بأن كارثة جديدة قد وقعت ، وأن أسلوب هذه الكارثة قد لازمنا طويلاً ، وكفقت معنا دائماً . . فون أن يلتفت إليها ، وفي لفسن الفروخ ، فون أن نستوعبها لو تتجاوزها .

لقد دخلنا حرب ١٩٥٦ بسبب حرب ١٩٤٨ ، ثم دخلنا حرب ١٩٦٧
نتذكر سنة ١٩٥٦ .

لقد كل العالم كله يعرف حقيقة المكاسب التي خرجت بها
اسرائيل من حرب ١٩٥٦ . للعالم كله يعرف .. ما عدنا نحن .
نعم .. نحن الطرف الأول ... كنا الطرف الأخير .. وحينما
هربنا ، فانا عرفنا بعدها ماحدى عشرة سنة ، وبطريقة هابرة غير
مؤكدة . أن السبب في ذلك هو أننا تصورنا أن الأمر يجب أن يتم
هربه للناس باعتباره انتصارا مطلقا لنا ، وهزيمة مطلقة لعنونا .
وبينما العالم كله كل يرى انسحابا العسكري في سنة ١٩٥٦
باعتباره انسحابا ، كنا نحن نراه باعتباره انتصارا . ونتيجة لهذا
الحلل في التفكير ، فلفد استقر في أذهاننا أن الانسحاب هو عمل
عقري فذ . وعند أول استدارة للأحداث ضلنا في حرب ١٩٦٧ -
صدر قرار بالانسحاب .. وكأن الانسحاب قد أصبح تقليدا يجب
أن نحافظ عليه .

ولقد بلغ الاستهتار بأمن الوطن مذاه ، حينما اكتشفنا فجأة
أننا نحارب اسرائيل من الذاكرة ! فبمنذ سنة ١٩٥٦ - وطوال
أحدى عشر سنة كاملة - حتى سنة ١٩٦٧ ، بلغت حساسة
القيادة العليا - أو استهتارها بتعبير أدق - إلى حد أن منعت
أي استطلاع جوى أو أرضي داخل اسرائيل . ونتيجة لذلك ، لم
تخترق طائرة مصرية واحدة المجال الجوى الاسرائيلي طوال تلك
الفترة ، كأننا - لحظة الحسم - سوف نلزم ضد اسرائيل
حربا غيابة . !

● كل هذه كانت أخطاء قاتلة ، في حق وطننا بالدرجة الأولى ،
أخطاء عاشت معنا ، ولكن الإقتراب منها كل مموما .. حتى
لا نتشوه الصورة الوردية التي صنعناها لأنفسنا . إن الأمثلة
هنا كثيرة ، ولكن الأهم منها أنها نمر عن أسلوب مريض في التفكير
عشما به ، وعاشي معنا ، طويلا . أسلوب لا يريد مواجهة المشاكل
والأخطاء ، ولكنه - بدلا من ذلك - يتظاهر بأنها غير موجودة .
نعم .. كنا نشمت بذلك أنه ليس هناك أعشى أسوأ من ذلك الذي
يرغض أن يرى .

لقد كانت النظرة السائدة هي أن من الأفضل دائماً أن نخفي
 مشاكلنا في « البؤروم » .. حتى لا يرى العالم نقط ضعفنا .
 كان هذا أسهل ، ولكنه أيضاً كل لسوا . فالعالم رأى كل شيء ،
 وبحر حقط اللبس لم تر أي شيء . وعندما تحركت الأحداث في
 مايو سنة ١٩٦٧ — كانت إسرائيل تقول على لسلس فلاة حيثها :
 « إذا أردنا أن نكسب الحرب ، فلا بد أن نكسب المعركة الأولى » ..
 بينما كنا نحن نقول وبطلن : « إذا أردنا أن نكسب الحرب ..
 فلا بد أن نحصر المعركة الأولى » .

أن هذا يعطينا من جديد إلى مثلثية سؤال رئيسي .. ما
 هو هدف إسرائيل من الحرب ؟ حرب وقعت في الماضي .. أو
 حرب ستقع في المستقبل . ؟



إن الخبراء العسكريين يعلمون ، خصوصاً بعد الحرب
 العالمية الأولى ، أن هناك درساً أساسياً هو : « أن هدف الحرب
 الحقيقي هو روح العدو .. وليس أجساد جنوده » .

فالمفهوم النهائي للضرر .. هو خلق حالة استئعداد
 للاستسلام لدى العدو .. وتصبح العمليات العسكرية هنا مجرد
 وسيلة للوصول إلى هذه النتيجة .

وما دامت إسرائيل لم تحقق هذا الهدف ، وما بينما نحن مقتبهن
 لهذا الهدف .. فلي الكلمة الأخيرة لم يلقها أحد بعد .

أن الذين يتنامون القتل الإسرائيلي وهو بفكر (ونحن عملنا
 شيئاً من ذلك لو حللنا الكتب الإسرائيلية التي عرضها هذا
 الكتاب) فإنا سنكتشف أن حروب يونيو ١٩٦٧ لم تكن احتراها ..
 وإنما كانت مجرد تطبيق لمن الحرب الذي عبر عنه « سنان نسي »
 سنة ٥٠ قبل الميلاد حيثما قال :

« أن الحيلة هي أسل من الحرب . لذلك .. ينبغي
 التظاهر بالمعز عندما تزداد القنرة على الهجوم ، والتظاهر بعدم

العمل عند الرغبة في استخدام الحيوش ، واتباع العدو باننا
يميدون منه عندما نكون على مقربة منه ، وباننا قريبون ومن
يميدون منه . استحدثوا النج لجذب العدو ، وتظاهروا
بالقوضي .. ثم هاربوه .

ولعل شيئا من هذا كل بدور في راس « بن جوريون »
عندما قال أكثر من مرة « يجب ان ننكح من السلام كما لو كنا
ان محارب .. وننكح من الحرب كما لو كنا لا نريد السلام » .
ولعله ايضا - بن جوريون - كل أكثر وصوحا عندما قال في اعقاب
حرب ١٩٤٨ . « نحن لم نسير لاننا لننا معانين ، بل لان الجيوش
العربية لم تكن في حالة جيدة » . وبعد ١٩٦٧ قال « ليجال
آلون » نائب رئيس وزراء اسرائيل : « ان الانصهار الاسرائيلي
يرجع الفضل فيه أولا الى الاطباء الضحية التي ارتكبها العرب » .

ان اي فحص لاستراتيجية اسرائيل العسكرية ضلنا ، سوف
يقودنا الى استهجة التي لا مفر منها * ان اسرائيل لم تهربنا بفضل
اختراع مدغش ، ولا بفضل قوة بحرية غامضة . ان ما فعلته
اسرائيل هو ما يجب ان يفعله أي محارب في اي موقف عسكري
حلم .

لقد كان العرب - منذ سنة ١٩٤٨ - يلتزمون موقف الدفاع
في مواجهة عدو يطبق دائما استراتيجية هجومية . استراتيجية
تعتمد أساسا على ان يحتفظ لنفسه دائما بحرية العمل والمبادرة ،
التي هي أحد المبادئ الستة للحرب . وحتى حينما كانت اسرائيل
تهاجمنا ، فاننا كنا نرد على الهجوم بدفاع مباشر ، وهو حل سوء
يتساوى مع الثورة الذي ينتص على الغلبة الحبراء ، بينما كان
يجب عليه ان ينتص على مصارع الثيران نفسه .

ان ما فعلته اسرائيل في حروبها ضلنا لم يكن اختراعا ، ولكنه
شيء موجود في أي كتاب عن جباية الحرب يتم تدريسه للطلاب
في أي كلية عسكرية . لقد كانت اسرائيل تهاجمنا دائما ، مستخدمة
في ذلك استراتيجية للهجوم غير المباشر . استراتيجية تعتمد
- بمسير الضلال بومر مدير معهد الدراسات الاستراتيجية

الفرنسية - على « .. عدم إيمالك الثور من قرنيه » .. أى عدم مواجبة العدو في احتشاد قوة مباشر ، وعدم التعرض له إلا بعد إثارة قلقه ومماحقته وكسر توازنه عن طريق مدخل غير متوقع ووسائل ملتوية . بصورة أخرى تعتمد استراتيجية الهجوم غير المباشر على مفاجأة الخصم من اتجاه غير متوقع .

وبهذا الشكل - يقول الجنرال بوغر - فإن « .. هدف المركة يرمى الى نشر الفوضى في القوات المسلحة المتسلطة والتي تتكون من حائط من المقاتلين ، وبشر الفوضى يتحم عن عمليات تطويق أو قطع أو حرق . وعند ما يتم تصدع حائط العدو فإن الدفاع يهتار . والخطر من ذلك هو انه يولد بالنسبة لكل جندي صدمة سيكولوجية تؤدي الى تضرر الرابط المعنوي الذي يجمع بين المقاتلين ، ويحول الجيش المتصدع الى جمهرة من الأشخاص .. »

ليست استراتيجية الهجوم غير المباشر اختراعا ان . ومع ان اسرائيل كانت تستخدمها معاً في كل مرة ، ومع انها لم تكن تلجأ الى الدفاع الثابت أبداً ، إلا أننا كنا نصاب في كل مرة بدهشة بالعمة وبواجهه سراًلأروما : كيف حدث هذا ؟ !

لقد كانت استراتيجية الهجوم غير المباشر هي دائما احد الامعدة الاساسية التي يعتمد عليها كل قائد عسكري في التاريخ .

لقد استخدمها الاسكندر الأكبر في زحفه على فارس وفلسطين ومصر .

واستخدمها هانيبال ضد الجيش الروماني ، في غزوه لاطاليا عبر حال الالب .

واستخدمها قنفيوس ضد هانيبال نفسه .

واستخدمها خالد بن الوليد في معركة اليرموك .

واستخدمها نابليون ضد الجيش النمساوي في ايطاليا .

واستخدمها هتلر في غزوه لفرنسا .

واستخدمها الحلفاء في دخولهم بشمال افريقيا .

ثم — أخيرا — استخدمها الجيش الاسرائيلي في حرب يونيو سنة ١٩٦٧ .

وقبل حرب ١٩٦٧ بست سنوات كاملة ، على « ايجال ألون » — النائب الحالي لرئيسه ووزراء اسرائيل — نشر مقالا في لندن بعنوان « اسرائيل يجب ان تضرب أولا » .. وقال فيه : « انه بالنسبة لاسرائيل .. على من الأفضل — في حالة الضرورة — ان تقوم بعمل مصاد في الوقت المناسب ، ثم ندان .. عن ان ننظر الى ان يتم تنميرها ، ثم نحمل على عطف العالم » .



ان الحركة الصهيونية كانت واضحة الاهداف منذ البداية .. واضحة الاهداف للجميع .. ما عدنا نحن .

عندما انتهى المؤتمر الصهيوني الاول في « بازل » سنة ١٨٩٧ كتب « تيسودور هرتزل » يقول : « في بازل ، تأسست الدولة اليهودية »

وعندما صدر « وعد بلفور » في ٢ سونبر ١٩١٧ ، نشرته صحيفة « الديلي اكسبريس » البريطانية بعنوان : دولة لليهود ، ونشرته « التايمز » بعنوان ' فلسطين لليهود ، ونشرته « الاوبزرفر » بعنوان : معد حبل واحد يصبح فلسطين لليهود .

وبعد البدايه .. كانت الصورة التي قدمت بها الحركة الصهيونية نفسها الى العالم .. هي صورة الحركة القومية التي ترمد العودة الى ارض سلت منها - حركة قومية .. مثل كل الحركات القومية الأوروبية التي بزغت في القرن التاسع عشر . ومعظم الكتب الاسرائيلية التي تدميهاها في الصفحات السابقة .. كانت تعرض هذه الصورة بشكل أو بآخر .

وبالطبع لم يكن هذا صحيحا ، لا علميا .. ولا تاريخيا . وأى مقاربة سرعان ما تلمس الأسس القومية للحركة الصهيونية .

فالحركة القومية لتوحيد المستعيا ، جعلت بين دول كاثوليكية مثل باميريا .. ودول بروتستانتية مثل بروسيا .

والحركة القومية الإيطالية اقترنت بحرب دامية بين الإيطاليين والبنسويين ، مع أن كليهما ينهى للذهب الكاثوليكى . واقترنت أيضا بتجريد البابا من سلطاته الرعية ، ومن ممتلكاته الواسعة .

والحركة القومية اليوغسلافية ، وجدت « العرب » الأرثوذكس مع « الكروات » الكاثوليك مع « النوساق » المسلمين .

وبصفة عامة .. فإن الحركات القومية لم تجد أساسها في الدين ، ولم يئل الدين ولا المذهب في أى مما نورا رئيسيا أو فرعيا .

ولا يمكن أن تصبح اليهودية حركة قومية ، إلا إذا أصبح الأرثوذكس مثلا .. توحى ، أو أصبح الكاثوليك قومية ، أو أصبح الشيعة قومية ..

أن هدم هذا الأسس النظرى للصهيونية .. هو أمر ضرورى في مخاطبة العالم الخارجى ، لأنه المنظمة التى تستخدمها الصهيونية في المطالبة — « أرض اسرائيل التاريخية » . أن هذا التعبير هو الهدف الأسس للحركة الصهيونية من البداية . وبعد قيام اسرائيل .. أصبح هذا الهدف قائما وواردا في جدول أعمال التفكير السياسى والعسكرى الإسرائيلى . أنه هدف يريد الحصول على سيناء والأردن ومرفعات سوريا وجوب لبنان . وبالتسببه لهذا الهدف النهائي لا يوجد بين ويمسار بين الأحزاب السياسية في اسرائيل . لا يوجد معتدل ومتطرف . أن الاعتدال والمتطرف أمر يتعلق فقط بالأسلوب أو بالتوقيت .

مثلا ..

في سنة 1897 كان الصهيوني المتطرف بطلان بوشل قومي لليهود . والمعتدل يطالب بحصصيه يهودية .

وفي سنة 1917 أصبح المعتدل بطلان بوشل قومي والمتطرف بطلان بدولة يهودية .

وفي سنة 1947 كان الصهيوني المعتدل يطالب بدولة يهودية في جزء من فلسطين والمتطرف يريد كل فلسطين .

وفي سنة 1957 أصبح المعتدل يطالب بكل فلسطين والمتطرف يطالب بضم سيناء والعريش وعدم الانسحاب منها

وفي سنة 1967 أصبح المتطرف يطالب بضم سيناء والعريش والأردن ومرتفعات سوريا .. أما المعتدل فيطالب بمساعدة ملح نهائي مع العرب .

إن الهدف النهائي الثاني قائم دائما ، بالرغم من أن أهدافه بديله قد تحل محله من وقت لآخر ، أو متمير « تيودور هرتزل » مؤسس الحركة الصهيونية العنصرية « إنما في هركتنا هو الهدف النهائي .. يجب أن يكون كالقطار الذي يتوجه إلى محطته النهائية . أن القطار قد يتوقف في محطته هنا أو محطته هناك لكن يفروا بالوقتود . لكنه يستأنف سيره دائما نحو محطته المتصورة . فهو لا يتراجع عنها ولا يتراجع منها إلى الوراء » .

هذا من الهدف .

أما عن الأسلوب . فإن النسخة التي نخرجها هي دراسة أسلوب العمل السياسي الصهيوني منذ بدايته فتركز في

ان الحركة الصهيونية منذ بدايتها تفسح عيها على
القوتين الكسرتين اللتين تملأ على مناطق النفوذ في العالم عاة . وفي
مواحدة ذلك تحمط الحركة الصهيونية لنفسها دائها بصاحين .
كل جناح منها يعمل مع - وداخل - كل من القوتين الصاكتين
في العالم .

وبن يجد هذا الأسلوب قاعا فعلا في التطبيق ابتداء من
الحرب العالمية الأولى بلادات . فعمدا قامت الحرب في سنة
١٩١٤ واحتم المنظمة الصهيونية نفسها سؤال : مع أي من
الطرفين المتحاربتين تقف ؟ مع ألمانيا وبركيا ؟ أو مع بريطانيا
ومرندا .

وقررت المنظمة وقتها الا تفسح « كل البيض في سلة واحدة » .
قررت أن تقسم نفسها إلى فرعين يعملان مع الطرفين المتحاربين .
كل أحدهما يعمل مع ألمانيا وبركيا ، والثاني يعمل مع بريطانيا
ومرندا والولايات المتحدة . وعلى كل فرع من الإثنين أن يفسح
الطرف الذي يعمل معه ومن داخله . . أنه أكثر تحقيقا لمصالحه .
وبهذا الأسلوب ضمنت المنظمة الصهيونية أن تنفصل أي طرف في
النهاية . . سيؤدي إلى تحقيق مطالبهم معه .

وفي جميع المراحل التالية ، يجد هذا واضحا في أسلوب
عمل المنظمة الصهيونية ، ثم إسرائيل بعد قيامها . فهي تحمط
دائما تحت الطلب - جناح موالي لكل طرف من الطرفين المؤثرين
في العالم .

وحين يعمل كل جناح من أجنحه الصهيونية لحساب أحدي
القوى الدولية الكبرى فانه - في الواقع - لا يمتني إلى هذا
الطرف أو ذاك . أنه صهيوني أولا ، وصهيوني إلى النهاية . . أنه
قد يعمل لحساب هذه الكتلة لفترة ، لكنه يعمل لحسابها بالتقدير
الذي يحقق له في النهاية مكاسب جديدة .

وقد سمح هذا الأسلوب في عمل الحركة الصهيونية . . بالا
تقارير بمصيرها كله مع أحدي الكتل الدولية ، ولأن أهدافها حين

تتحقق فهي تتحقق بمناسبة ، وبمحلية ، تحرك الكتلة الدولية
التي تعمل معها .

وبعد قيام إسرائيل وهي تطبق هذا الأسلوب تبان . بل أن
العيش الإسرائيلي نفسه ، بدأ أصلا في مشربات هذا القرن كقوة
تعمل لحساب بريطانيا ، وعلى نفقتها . وفي الحرب العالمية الثانية
قامت المنظمات الصهيونية في فلسطين بالتمسك ضد المحور
لصالح قوات الحلفاء . وبهذا الأسلوب حصلت على التحويل
والسلاح والعمرة لنفسها واستحدثت كل ذلك فيها بعد لصلحتها
العامة ، وأحيانا ضد الدول الموردة نفسها .

وقبل حرب ١٩٦٧ مفترة وهجرة ، أصدر « أبا ايبلن » وزير
خارجية إسرائيل الحالي كتابا بعنوان « صوت إسرائيل » . أن
الكتاب هو مجموعة خطب ومحاضرات ألقاها أبا ايبلن « ٢٣ » محاضرة
وحظية « ، أسل حيله سيرا لإسرائيل في أمريكا » .

ولأن مادة « أبا ايبلن » موجهة أصلا للرأي العام الأمريكي ، لماثنا
مجد أن الفكرة الرئيسية التي لا تعيب مرة في هذا الكتاب ، هي
أصرار « أبا ايبلن » على ربط مصر إسرائيل بمصير السياسة
الأمريكية مصفة عامة في الشرق الأوسط . أنه يقول : « أن إسرائيل
دولة صميرة حديثة ، خصاله ، ديموقراطية ، تريد العيش في
سلام . . بينما يحيط بها حيران كسلر ، اقوياء مدائيس ،
القطاميون . وازاء العرب الذي تعيش فيه إسرائيل بماثنا أحيانا
تعد نفسها مضطرة لأن تهب إلى النقاء من نفسها مثلما حدث في
١٩٥٦ . وإسرائيل بعملها هذا إنما تدافع عن الحضارة العربية
نفسها .

هكذا يقدم « أبا ايبلن » إسرائيل باعتبارها جزءا من المعنيين
في الأرض ليس هذا هو المهم . ولكن المهم هو أنه يستمر إلى أن
يصل إلى النظر الذي يؤجله ٢٩٩ صفحة - أن الصراع بين الدول
العربية . . وإسرائيل ، هو في جوهره صراع بين الشرق والغرب .
صراع بين حضارة . . وحضارة .

يعني اذا كل على العرب ان يدافع عن نفسه في الشرق الاوسط . فليبدأ بالدفاع عن اسرائيل . واذا كل العرب يعيش في حالة عداء مع العرب فليست اسرائيل هي السبب . ان هذا العداء العربي نحو العرب هو عداء حتى لا تدخل لاسرائيل فيه . انه عداء له لمحبته للتاريخية الخلة ، ولسرائيل ليست واحدا من هذه الاسباب .

والمالة التي لاشك فيها مملأ . . ان لدينا شيئا الخاصة لعاداء العرب . هذا صحيح . ولكن مسئلة العرب لاسرائيل هي راس هذه الاسباب . لقد اشتركت غريبا في المصنوع على مصر سنة ١٩٥٦ ، وقبلها العرب ما تستحقه جراء على هذا النواط . لكن غريبا الآن - انما وبعد حرب ١٩٦٧ - تقب موقف الحياء ، وبالتالي فالعرب أعلنوا لها من تقديرهم لهذا الموقف . ولم ينف مربي واحد ليعلن : ان عداءنا نحو قريتنا هو مسألة « هنية » . مسألة قدرية لا مفر منها ولا منك .



ان هذا ينكرنا بالأسطورة الشرقية القديمة التي تقول : ان ثعلبا ركب على ظهر غيل . وحسب كل الدبل يشق طريقه في العابة دائما الاشجار جانباً ، فان الثعلب كل يفتح صدره بعجب قائلا : كم انا قوي !

وقد لا تكون اسرائيل هي بالوسط الثعلب نفسه الذي تحدثت منه الاسطورة ! ولكنها بالنكيد تتحرك بمصاحبة الفيل الضخم الذي يسحرك طبقا للأسطورة . لهذا . . علينا ان نفهم كل القوى التي تحالفت معها اسرائيل لو « ركبها » اسرائيل .



ان اسرائيل التي مراها اليوم . . هي شجرة الضظلة المرة التي فرست في الارض العربية . شجرة روتها قوى دولية عديدة تحالفت معها في كل مرحلة . في البدء كل التحالف الصهيوني الاول مع

بريطانيا . في النهاية كان التحالف الصهيوني الثنائي مع أمريكا . وعلى الطريق بين البدء والنهية كانت هناك تحالفات جانبية كثيرة امتدت لأكثر من ٧٠ سنة . فخلال تلك المدة وضمت الحركة الصهيونية على رأسها شععات كثيرة ، كان آخرها القبضة الأمريكية التي تضعها على رأسها الآن .

وإذا كان الصراع بينا وبين إسرائيل أصبح يحتاج أكثر من أي وقت مضى ، إلى الحركة . . وإذا كان التوازن الدولي وموقف القوى الكبرى قد وصل الآن إلى أقصى ما يمكن من درجات اسكون والشلل . على الأمر أصبح يحتاج إلى مجهود خارق من جانبنا لكي نملأ من وسط طرق المقص ، الذي أصبحنا نفتق فيه .



إنها ليست أول مرة نرى فيها وسط هذا المقص . من الضحك هنا — بقدر ما هو مؤلم بلعية — أن نرى كيف يكرر التاريخ نفسه . فقبل حرب ١٩٦٧ بفترة ثلاثين سنة ، تعرضت مصر لنفس الموقف بالضبط .

لقد رأى محمد علي — حاكم مصر وقتها — أن العالم تنتقل فيه قوتان كبيرتان هما بريطانيا وفرنسا . ولأن التنافس على ممتلكات النفوذ كان شديدا بين الدولتين الكبيرتين ، فقد رأى محمد علي أن يستعني بالثانية على الأولى . ولقد أغراه النجاح المبدئي لهذه السياسة بأن يستمر فيها ، فلم يعرف ما هي بالضبط النقطة التي يجب أن يتوقف عندها . . إن فرنسا ساعدته اقتصاديا وعسكريا ، على أساس أن كل أنكمش في نفوذ بريطانيا هو مكسب أوتوماتيكي لها .

ولكن في اللحظة التي بدأت مصر تصبح فيها قوة مصرية ، فطن القوتان الكبيرتان اتحدت مصلحتهما ضدّها . نعم : لم تكن بريطانيا تريد مصر فرنسية ، ولم تكن فرنسا تريد مصر بريطانية . . ولكن الاثنان معا لا يريدان مصر مصرية . وفي لحظة الادماء الزهية ،

تلقى محمد علي الدرس بكل قصوة : لانه قامو بالكثير مما يجب .
ان مرشد ليست مستعدة لبخاطرة بصادام دولي مع بريطانيا من
احل اهداف مصرية . والنسيحة - اتحتت القومى ضد مصر ، وضد
محمد على .

ولقد كان المجهود الدبلوماسى الاسرائيلى فى السنوات العشر
ما بين ١٩٥٤ و ١٩٦٤ ، يركز على مسألة حياة للماية : كيف
تقامر اسرائيل على الجواد الرابع فى المعركة ؟ لقد حلت لعبة
الحرب الباردة الى المنطقة وعلى كل طرف فى الصراع — نحن
واسرائيل — ان يختار حليفه . وخلال عشر سنوات نالبة كانت
النسيحة هي : انها لم تعد معركة عربية اسرائيلية ، واسا معركة
بين الشرق والغرب ، بين الاتحاد السوفيتى وامريكا .

ومرة اخرى اطل لنا الدرس بكل وضوح : ان يحمل هجوم مصر ..
غير اسائها ، ان يخلق آمال العرب .. غير العرب . درس هيف
ظهر لنا كما لو كنا اكتشفنا مفاجئا ، مع انه موجود فى السربيع
— تاريخنا نحن بالفرجة الاولى — قبل تاريخ أى شعب آخر
لهربا .

ان « أدوات الشرط » فى التساربع تبطل فى العادة أسئلة مثيرة
لللباس وخيبة الامل ، لانها أسئلة افتراسية ، ولانه لا جواب
لها . مهل « لو » اخفى ذلك السبب .. كانت ستحتفى اسنيحة ؟
لو .. لو .. لو . كلها أسئلة افتراسية احلناها فى محال
الاجتهاد الشخصى الذى قد تختلف فيه .



ولكن الذى لن تختلف عليه أبدا ، هو ان هذه هي المرة الثالثة .
فى هذا القرن — بعد الاتفاقي — الودى فى سنة ١٩٠٤ وحرب ١٩٤٨
اتنى بقى فيها نحن وسط طرق القصر ، بينما يعاد النظر الى خريطة
الشرق الاوسط داخل إطار صراع دولي . لهذا .. قل السر
أو الهزيمة هذه المرة هو مصر — أو هزيمة — لفترة طويلة قادمة ،
وربما القرون طويلة قادمة .

لهذا السبب .. فأتينا أمام معركة وطنية . معركة ، لن يكون الاختيار فيها بين موقف اليمين وموقف اليسار . انما الاختيار سوف يكون بين الوطنية والخيانة .. انما حرب لاعادة استقلال الشرق الاوسط . وهي حرب تولد فيها العروبة من جديد .

وليس هذا اول امتحان تدخله منطقنا بروح الثورة .

لقد كنا ثوارا في سنة ١١٨٧ ، يوم حارب الشعب بقيادة صلاح الدين ضد جهافل النعصب المملوكي القادم من أوروبا .

وكنا ثوارا في سنة ١٢٦٠ ، عندما رفضنا انذار « هولاكو » قائد جيش المغول ، وانتصرنا عليه في عين جالوت ، وكانت اول هزيمة نزلت بالمغول في عهد هولاكو .

وكنا ثوارا يوم ان نجحت المقاومة الشعبية المصرية في طرد الفرنسيين سنة ١٨٠١ .

وكنا ثوارا في سنة ١٨٠٧ — عندما ثارت رشيد ضد الحملة الانجليزية بقيادة « ليربزر » ، وانتصرنا عليهم انتصارا حاسما في قرية الحمال .

وكنا ثوارا سنة ١٨٨١ بقيادة احمد عرابي .

وكنا ثوارا في سنة ١٩١٩ — عندما وثقت روح الشعب ضد مدافع الانجليز .

و .. لا أريد أن استطرد ، ففى كل مرة نعرضنا فيها لتأثير دولي .. كلن الشعب الواحد الشجاع يصبح أغلبية .

وفي مواجهة حالة الميوعة والجمود في الموقف الدولي بعد ١٩٦٧ ، فلن رد الفعل الاساسي هو ان القوة أصبحت هي الحق

وليس العكس . والقوة بالنسبة لازمتنا المعاصرة انما تعنى اسلحا
 — ومقط — القوة العربية . فهي وحدها التي يجب أن تضرب
 المثل ، وهي وحدها التي مستعدة في المواجهة مع اسرائيل . ولكي
 نكون الطرف الاخرى في هذه المواجهة ، فلا بد أن نفهم عدونا أولا :
 كيف يفكر ، كيف يتحرك ، كيف يعمل . فكلما زادت معرفتنا
 الآن .. قل استغنا في المستقبل . لان الاتوياء فقط هم الذين
 يحرصون على هذه المعرفة . وفي النهاية .. نجد ان المعرفة هي
 ايضا .. قوة . وفي النهاية ، نقول مع الصينيين القدماء : اعرف
 نفسك مرة ، واعرف عدوك مرة ، ثم حاربته مائة مرة .

وفي هدامنا مع اسرائيل .. لم يقتل احد بعد .. الكلمة
 الأخيرة . والذي يميم أكثر ، وبعد أكثر ، ويمرر أكثر .. هو
 الذي سيفضحك في النهاية أكثر ! .

ان هذا معناه .. ان لايماننا امتحانا قلبيا لصلابتنا
 ورجولتنا . ولا بد أن يساعد بعضنا بعضا في اجتياز هذا
 الامتحان .. 1

* من يتقدم .. نهبه .

* ومن يتأخر .. تشده .

* من يتقهقر .. نرفعه .

* من يستط .. نرفعه .

* من يمت .. تقار له .

دار الشروق

مطابع الاهرام التجارية
رقم الإيداع بدار المكتب
١٩٧٢ / ٢-٨٤

هَذَا الْكِتَابُ

عنتر سنوات : ظهور
 "موشي دايان" وزير الدفاع
 الاسرائيلي على ثلاثة التليفزيون
 البريطاني ، ووقتها .. سألته
 الذئب : ان الخطبة التي ائتمتها
 في حرب ١٩٦٧ هي الخطبة
 نفسها التي ذكرتها في كتابك
 "مذكرات حملة سيناء - ١٩٥٦"
 .. ألم تكن تخشى ان العرب قد يعرفون
 من كتابك .. خطبك المستقبلية
 التي ستبعتها في حرب ١٩٦٧ ،
 فيستعدون مقدما لمواجهةها ؟
 قرر موشي دايان قائلا :
 لا .. لأن العرب لا يقرأون !

